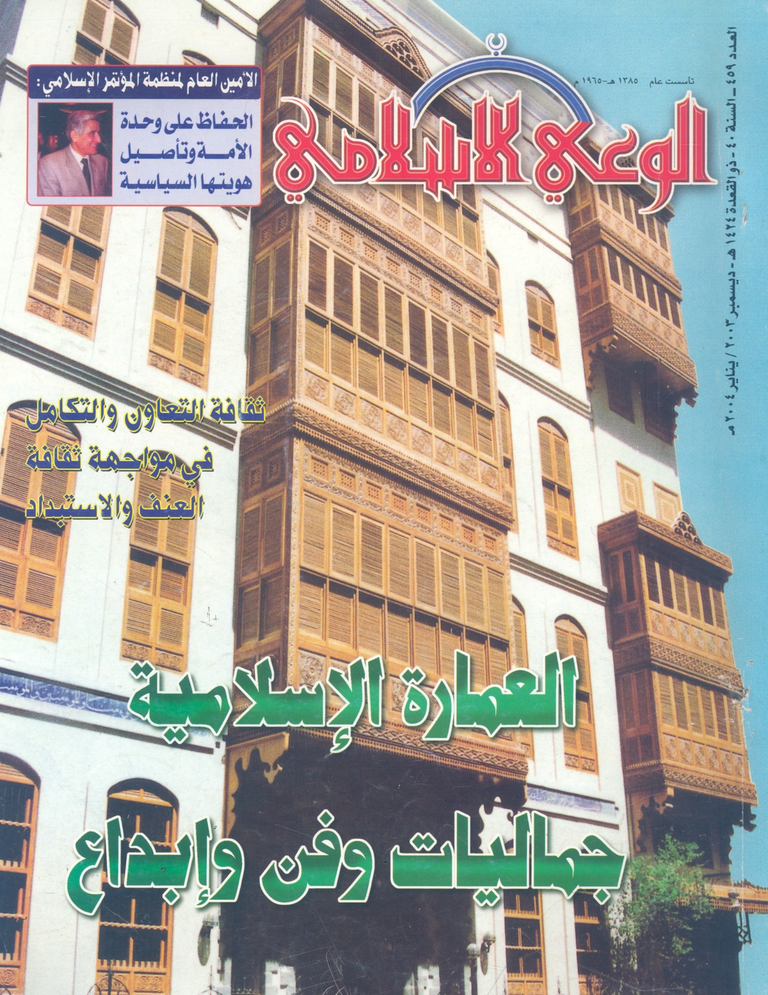

الوعي الإسلامي
تأسست عام ١٣٨٥ هـ-١٩٦٥ م
العدد ٤٥٩ ـ السنة ٤٠ ـ ذو القعدة ١٤٢٤ هـ ـ ديسمبر ٢٠٠٣ / يناير ٢٠٠٤م
الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي:
الحفاظ على وحدة الأمة وتأصيل هويتها السياسية
ثقافة التعاون والتكامل في مواجهة ثقافة العنف والاستبداد
العمارة الإسلامية
جماليات وفن وإبداع


حصاد الخير
إفتتاح مسجد المرحومة شيخة حمد ناصر الغانم - جامعة حلوان

رئيس التحرير



بقلم : جاسم محمد مطر شهاب

e.mail: alwaei@awkaf.net

حاجتنا إلى الفن الملتزم

في هذا العدد حرصنا على خوض تجربة جديدة في حقل الفن الذي يتوافق ومتطلبات شريعتنا الغراء وفتحنا ملفاً خاصاً حول الفن الإسلامي، وآفاقه في جميع مناحي الحياة... في التعبير القرآني والعمارة الإسلامية وروعتهما على مر التاريخ الإسلامي.

إن الحياة وطبيعة النفس البشرية تلهث وراء الجمال في كل شيء... في الكلمة وفي الملبس وفي سكن الإنسان وهيئته، وفي البحث في الطبيعة الخلابة في سهولها وجبالها وأنهارها وأزهارها وفي اختيار نوع الطعام وألوانه التي تبث في النفس السرور والغبطة... إنها فطرة الإنسان وطبيعة الكون في البحث عن الجمال وأسراره.

وفي سبيل الوصول لذلك فإننا معشر المسلمين مدعوون إلى النظر إلى كل أنواع الفنون الجميلة في هذا العصر بما فيها فن الرسم والتعبير والإلقاء والتمثيل والتصوير والبناء والخطابة والمتاحف وغيرها من الفنون الحديثة والقديمة... ننظر بعين المتأمل والمبدع لإبراز جوانب الحضارة الإسلامية الزاهية والغوص في أسرارها واكتشاف روائعها... يقول الله تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق من ربهم)..

لقد عشنا تجارب مبدعة في بعض الأعمال الفنية في مجالات عدة في عالمنا الإسلامي... وعلى سبيل المثال فقد كانت حلقات المسلسل التلفازي «صقر قريش» وفيلم «عمر المختار» وفيلم «صلاح الدين» نماذج رائعة في تصوير مسيرة حقبة من التاريخ الإسلامي الزاخر... كما برزت قنوات فضائية استطاعت أن تكون بديلاً ناجحاً من الفضائيات المبتذلة مثل قناة «إقرأ» وقناة «المجد» وما نريده اليوم وسط هذه المحاولات الفنية المبدعة الرعاية والاهتمام من الحكومات الإسلامية وتشجيع هذه الفنون الجميلة...

كما نطالب المؤسسات المالية والقائمين على الأوقاف بخاصة بالدعم المادي السخي لضمان استمرار ونجاح هذه المحاولات الجادة في جميع المجالات الفنية... إننا أحوج ما نكون اليوم إلى السمو في أذواق الجماهير وبعث الحياة من جديد في نفوس هذا الجيل الذي يعيش حالات كثيرة من الإحباط وعدم الثقة...

ولعل هذه الفنون إذا أحسن صياغتها ورعايتها فإنها ستكون رافداً مهماً من روافد الفكر الإسلامي كما كانت أيام التاريخ الإسلامي الزاخر وبخاصة العهد الأندلسي الزاخر بالإبداع في كل الفنون والعلوم.

دعونا نبدأ ونشجع كل تجربة جديدة، وكل مبدع وفنان... أضاء وأنار زاوية من زوايا حضارتنا الإسلامية... وبارك الله في جهود كل المخلصين الذين يقفون وراء هذه التجارب الناجحة... (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) ●



إسلامية • شهرية • جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي
Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد 459 - السنة الأربعون - ذو القعدة 1424 هـ - ديسمبر 2003 / يناير 2004 م

e.mail: alwaei@alwaei.com
Homepage: www.alwaei.com

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ . الصفاة 13097 . الكويت
هاتف: ٨٤٤٠٤٤ / ٥٣٤٨٩٧٤
فاكس: ٥٣٤٨٩٥٤ (+٩٦٥)
Al-waei Al-islami P.o. Box 23667
Safat 13097 Kuwait
TEL.: 844 044 / 5348 974
FAX : (+965) 5348954

كلمة العدد

ملف العمارة الإسلامية لماذا؟

الإخوة القراء:

يبقى موضوع الفن الإسلامي في جميع مجالات الحضارة الفكرية والثقافية والعمرانية موضوع أخذ ورد وبحث ونقاش بين العاملين في الحقل الإسلامي، وبين خصومهم المتأثرين بالفنون الوافدة، ففي حين يؤكد المفكرون والعلماء المسلمون أن فطرة الإسلام للفن عموماً نظرة متوازنة لا تطرف فيها ولا شطط يقول خصومهم: إن الإسلام ينظر إلى الفن والجمال نظرة سلبية ولا يعيرهما أدنى اهتمام.

ومن أجل ما سبق ركّزنا في هذا العدد على موضوع الفن والجمال في المجال المعماري من خلال موضوعات عدة متكاملة، سبرت لنا غور الجماليات الإسلامية في الجانب التفكيري والإيماني، وقدمت لنا أحكام الفقه الإسلامي في مجال الفن المعماري وكيف راعت العمارة الإسلامية العوامل البيئية في عملية التشييد والبناء، إضافة إلى التحديات التي تواجه العمارة الإسلامية المعاصرة في عصر العولمة، عصر الغزو الثقافي الغربي لكل ثقافات العالم •

الوعي الإسلامي



موضوع الغلاف

الوعي الجمالي الإسلامي وعي معرفي، سبيله التفكر في جماليات الكائنات والأشياء، والشريعة الإسلامية أولت الناحية الجمالية في البناء والعمران اهتماماً كبيراً لدرجة أنها وضعت لها من الأحكام والشروط والمواصفات ما لا يوجد في الشرائع والقوانين الوضعية •

الاشتراكات
• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
• للمؤسسات : ٢٥ دينارا كويتيا (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار
• الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
• الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير
• اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٥٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : دينار واحد
• اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله. • امريكا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

في هذا العدد

تحقيق

مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية

تسعى مؤسسة الأقصى بكل طاقاتها وإمكاناتها لصيانة وإعمار المساجد والمقدسات الإسلامية في فلسطين المحتلة وقد توجت أعمالها بمسح هندسي مفصَّل لكل المواقع الإسلامية في القرى المهجَّرة عام ١٩٤٨م.

صفحة 10



ثقافة

ثقافة التعاون والتكامل في مواجهة ثقافة العنف والاستبعاد

من أهم عناصر التصور الإسلامي للوجود الإنساني «التعدد» في إطار وحدة التنوع الإنساني فهو أداة التعارف الكبرى والمثلى في الحوار الذي تتحقق به معرفة كل طرف لشريكه.

صفحة 46

اقتصاد:

البلدان الإسلامية واتفاق تجارة الخدمات

لتجارة الخدمات خصوصيات في البلدان الإسلامية، فهي تستحوذ على نسبة عالية يصل معدلها إلى ٤٢٪ من الناتج المحلي بينما لا تشكل سوى ٦٪ من التجارة العالمية للخدمات... ترى ما سبب ضعف البلدان الإسلامية في المنافسة العالمية في هذه التجارة؟

صفحة 52

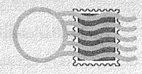
المحتويات

الصفحة	الموضوع	الكاتب
٣	الافتتاحية: حاجتنا إلى الفن الملتزم	رئيس التحرير
٤	كلمة العدد: ملف العمارة الإسلامية لماذا؟	التحرير
٦	بريد القراء	التحرير
١٠	حوار مع د.رائف نجم وزير الأوقاف الأردني	سهير محمد حسنين
١٣	تحقيق: مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية	ميرفت عوف
٢٠	أحكام: عناية الفقه الإسلامي بأحكام العمران	د.يحيى حسين وزيري
٢٤	تراث: جماليات إسلامية	عبدالفتاح رواس قلعه جي
٢٩	بيئة: مراعاة العوامل البيئية في العمارة الإسلامية	م.محمد الفقي
٣٤	شعر: إلا صلاتي	د.عبدالمنعم حسن
٣٥	حوار: د.عبدالحليم عويس: لا معنى للبقاء في خنادق اجتهادات فرعية	حسين الجرادي
٣٨	فكر: هل هناك إشارات عن أزمة في الحضارة الغربية؟	غازي التوبة
٤١	رأي: التغيير والتحرير طريق لنهضة الأمة	سمير أحمد الشريف
٤٢	دراسات: العقل الإسلامي	حسن الأشرف
٤٦	ثقافة: ثقافة التعاون والتكامل في مواجهة ثقافة العنف الاستبعاد	د.أحمد كمال أبوالمجد
٥٢	اقتصاد: البلدان الإسلامية واتفاق تجارة الخدمات	د.صباح نعوش
٥٦	قصة العدد: هاوية القنوط	علي محمد محاسنة
٥٨	شخصيات: بلال بن رباح	د.حسن أبوغدة
٦٠	طب وعلوم: عامل ريزوس	د.محمد السمري
٦١	طب وعلوم: سم النحل	البدري مطاوع
٦٢	دراسات تربوية: سبل الوقاية من الأزمات النفسية	د.محمد الفيومي
٦٧	ملف البيت المسلم	–
٨٤	الوعي نت	وائل عبدالرحمن
٨٦	الاقتصاد الإسلامي	معن خليل
٨٨	نافذة على العالم	التحرير
٩٠	ثمرات الفكر	محمد هاني
٩٢	حديقة الوعي	أحمد عبدالجبار
٩٤	ترجمات: عرب إسرائيل يواجهون خيار الولاء أو الترحيل	عبدالمنعم أحمد
٩٥	فتاوى وآراء معاصرة	التحرير
٩٨	النافذة الأخيرة: إرث الأجداد	عبدالستار خليف خليف

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ - فاكس: ٤٨٣٦٦٨٠ - ٤٨٤١٠٢٦ - ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت

● السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٣٧ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) ● اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر ● لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ ● الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٢ ● مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع ● الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع ● مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام ● المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ● المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس -- ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف ● سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع ● قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

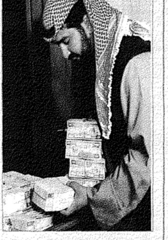
ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء، وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ بحق تنقيح الرسائل واختصارها.



بريد القراء

أمتنا في حاجة لأموالنا

هناك دول ومؤسسات كثيرة غير عربية أو إسلامية استفادت من أموال العرب والمسلمين المكدسة لديهم فقد قامت هذه الدول بتدكيس الأموال وترويجها، فأفادت بذلك بنوكاً ومؤسسات مالية إقراضية تعمل ضد الأوطان العربية والإسلامية، ويمكن الإشارة هنا إلى ما قاله مسؤول سابق في الحكومة الفرنسية: إن بنوك فرنسا استفادت من ودائع مختلفة عربية وغير عربية وتساوي نحو من ٩,٧ مليار دولار كُدست في أول الثمانينات، ورتبت لذلك من حيث الأولية الأموال العربية والإسلامية الصرفة بالدرجة الأولى تليها الأموال الأوروبية، ثم الودائع الأفريقية، وتليها في الدرجة الأخيرة الأموال أو الودائع الآسيوية، فقد قال خبير مالي بريطاني تصريحاً شكر فيه المستثمرين الأجانب في بريطانيا وفي مقدمهم العرب والمسلمون، الذين قال عنهم: «إنهم أحسن من استثمر واستفاد وبلغ حجم هذه الاستثمارات ما يزيد على مليار دولار، وهذه نظرة خاطفة من الواقع».



وإذا كانت الصحوة الأخيرة قد كشفت النيات الدفينة ضد العرب والمسلمين في مختلف القضايا التي تهم أمتنا، إضافة إلى ظاهرة الهجمة الشرسة على البنوك الإسلامية، فقد آن الأوان لمراجعة الموقف وإعادة النظر في استثماراتنا الخارجية.

إن الأوطان العربية والإسلامية في أمسِّ الحاجة للاستثمارات التي تساعد على إيجاد الكثير من فرص العمل للملايين الجياع من الأيدي العاملة في بلادنا الإسلامية، وإنعاش الاقتصاد العربي والإسلامي لتحقيق التكامل بين هذه الدول.

محمد السيد عامر - مصر

ردود خاصة

- القارئ أحمد محمد أحمد السمراتي - مصر: النشر في المجلة مفتوح أمام الجميع، يمكنك الاطلاع على ضوابط النشر المذكورة في المجلة.
- القارئ العربي فتحي عبدالعزيز نسيم - مصر: اعرض قضيتك على بيت الزكاة الكويتي لعلك تجد حلاً لها.
- القارئ إبراهيم عبدالله أبوسليمان - نيجيريا: المركز الإفريقي مقره الخرطوم في السودان وعنوانه: ص.ب: ٢٤٦٩ - الخرطوم - السودان - هاتف: ٢٢٤٦٩ - ٢٢٤٤٣٠ - وفقكم الله وسدد خطاكم لما فيه الخير ●

أصفار الحساب!!

مع أن العرب القدماء برعوا في الحساب، والدين الإسلامي جاء ليوم الحساب والميزان وقراءة الكتاب، غير أن العرب في عصورهم الحديثة لم يعرفوا للصفر المخترع منهم ومن خوارزمهم العالم الشهير، لم يعرفوا لهذا الصفر موضعاً يمينياً، بل كل أصفارهم يساراً ومن ثَمَّ خسروا الدنيا والآخرة، فلا دنيا فازوا وتقدموا بها، ولا آخرة عملوا لها، فالله سائلهم عما ضيَّعوا وفيم فرَّطوا. فإلى متى يظل العرب حسابهم صفراً وحياتهم قبراً، وأمرهم عسراً.

عصام الحسين حميد - مصر

هل هذا يرضي الله ؟

تصفحت عدداً من الصحف والمجلات، ويا لهول ما طالعت!! «يقتل شقيقه من أجل الميراث»، «يُلقي بأمه المسنَّة في الشارع ليظفر بالشقة»، «يضرب والده لرفضه منحه المال ليتزوج»، (يقتل أمة بناءً على رغبة وتحريض زوجته»، «يضرب والدته بتحريض من زوجته»!!.

ما الذي يحدث، ولماذا، وكيف؟، وحتى، متى؟!

كل هذه الأسئلة راحت تشغل فكري، أين الود، والتراحم الأسري، وطاعة الوالدين وبرهما، والسهر على راحتهما بعدما عاينَّاه من أجل تنشئة الابن والبنت التنشئة التي كلفتهما المال!، والصحة!، ليصير الابن في مركز مرموق، هل هذا جزاء الأم، وجزاء الأب؟.

إنها أمور محزنة أغرقت عيناي بالدموع، وأنا أتدبَّر، وأتأمل ما يحدث للوالدين من عقوق، صحيح إنها نسبة بسيطة لا تُشكِّل الأغلبية.

ولكن لِمَ ذلك، وما الداعي لذلك؟! وهل هذا جزاء عطف وحنو ورعاية وسهر الوالدين؟ هل هذا يرضي الله؟ بالطبع لا.

رفعت محمد بروبي - مصر

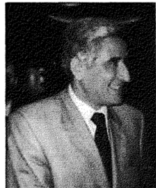
حوار

الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الدكتور عبد الواحد بلقزيز لـ الوعي الإسلامي :

الحفاظ على وحدة الأمة وتأصيل هويتها السياسية

تناول الحوار الذي أجريته مع الدكتور عبد الواحد بلقزيز أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي خلال زيارته للقاهرة الكثير من القضايا التي تهم الأمة الإسلامية .. حيث أكد أن الهدف من إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي هو العمل على توحيد القرار السياسي الإسلامي .. وتعزيز التضامن والتعاون بين الدول الأعضاء .

وتناول الحوار سبل الحفاظ على حقوق الأقليات المسلمة في العالم .. وحماية اللاجئين المسلمين وأهمية الحفاظ على المقدسات الإسلامية ..والمعايير والاعتبارات التي على أساسها تمنح العضوية للدول وحقوق هذه الدول والتزاماتها تجاه المنظمة .. وكيف تكون الدولة إسلامية ؟ كثير من علامات الاستفهام وضعتها أمام الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الدكتور عبد الواحد بلقزيز .. وإلى الحوار:



● د. عبد الواحد بلقزيز ●

حوار أجراه: محمود بيومي

كيف تكون الدولة إسلامية؟

● في بدء الحوار سألت الدكتور عبد الواحد بلقزيز عن المعايير التي تمنح على ضوئها عضوية المنظمة للدول؟ .

- أود أن أوضح في البداية أن هناك عضوية أصلية لمنظمة المؤتمر الإسلامي .. وتشمل الدول التي وقعت على ميثاق إنشاء المنظمة في عام ١٩٧٢ ميلادية وعددها ٣٠ دولة إسلامية ..ثم هناك عضوية بالانضمام وتشمل الدول الإسلامية التي تم قبولها بعد التوقيع على الميثاق .. وهناك شرط أساسي في قبول العضوية، هو أن تكون الدولة العضو دولة إسلامية وأن تكون مستقلة وصاحبة سيادة .. وذلك لأن منظمة المؤتمر الإسلامي منظمة دولية .

وأضاف الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي .. أما كيف تكون الدولة إسلامية ؟ .. فمن خلال ممارسات المنظمة تعتبر الدولة إسلامية اذا كان ٥٠٪ أو أكثر من عدد سكانها يدينون بالإسلام .. وهذا هو ما نطلق عليه اسم «المعيار الكمّي»، فمثلاً ألبانيا أو أثيوبيا تتجاوز نسبة المسلمين فيها ٥٠٪ من السكان وبالرغم من ذلك لم يتم اعتبارهما دولاً إسلامية .

ثلاثة اعتبارات لمنح الدول عضوية المنظمة

وأضاف الدكتور بلقزيز: أما إذا كان دستور الدولة ينص على أن الإسلام هو دينها الرسمي .. أُعتبرت أيضاً دولة إسلامية وهذا ما نطلق عليه اسم «المعيار الدستوري»... وبالرغم من ذلك قُبلت تركيا في المنظمة بالرغم من أن دستورها لا ينص على ذلك.

وقال أيضاً: وإذا كان رئيس الدولة من المسلمين اعتبرت الدولة في هذه الحال دولة إسلامية .. وهذا ما نطلق عليه اسم «المعيار الشخصي» ومن ذلك قبول أوغندة عضواً في منظمة المؤتمر الإسلامي - أيام

حكم عيدي أمين وكذلك الغابون بعد اعتناق رئيسها الإسلام.. بالرغم من أن نسبة المسلمين فيها أقل من ٥٠ ٪ من عدد السكان.

حقوق الدول الأعضاء

● ما حقوق الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي؟ وهل من حق المنظمة توقيع العقوبات على بعض الدول التي لا تلتزم بميثاق هذه المنظمة الإسلامية؟

ـ لا شك أنه من حقوق الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي .. حق التصويت على القرارات والتوصيات، وحق المشاركة في الاجتماعات على قدم المساواة مع الدول الأعضاء.. أما بالنسبة للالتزامات فتنحصر في تسديد التزاماتها المالية والالتزام بأحكام المنظمة والعمل طبقاً لمبادئ المنظمة واحترام قراراتها وتوصياتها والعمل على تنفيذها.

وأضاف: أما بالنسبة لمعاقبة الدولة العضو التي لا تلتزم بمبادئ المنظمة أو تخرج عن أهدافها أو تخالف ميثاقها.. فلم ينص ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي على عقوبة الطرد أو الفصل من العضوية .. ولكن هذا لا يمنع الدول الأعضاء من اتخاذ إجراءات عقابية .. مثل تعليق عضوية الدولة المخالفة لميثاق المنظمة .. وذلك من خلال مؤتمرات وزراء خارجية الدول الإسلامية .

نماذج للعقوبات

● هل توجد نماذج للعقوبات التي اتخذتها المنظمة بشأن

فكرة إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي

- **تعززت فكرة إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي الحالية بعد حريق المسجد الأقصى المبارك في عام ١٩٦٩ ميلادية ..**
- **عقد مؤتمر القمة الإسلامي الأول في مدينة الرباط بالمغرب في العام نفسه ..**
- **شاركت في أعمال المؤتمر ٢٦ دولة إسلامية ..**
- **تقرر عقد اجتماع لوزراء خارجية الدول الإسلامية في مدينة جدة عام ١٩٧٠ ميلادية .. حيث تقرر إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي ..**
- **تم وضع ميثاقها عام ١٩٧٣ ميلادية في مؤتمر آخر عُقد في جدة بالمملكة العربية السعودية ..**
- **منذ ذلك الوقت تؤدي منظمة المؤتمر الإسلامي دوراً إيجابياً وبناء باعتبارها أهم المنظمات الإسلامية في العالم .**

الدول المخالفة لميثاق أو مبادئ منظمة المؤتمر الإسلامي؟

ـ نعم .. ومن ذلك تعليق عضوية مصر في منظمة المؤتمر الإسلامي عام ١٩٧٩ ميلادية بعد التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد ..وبقيت كذلك إلى أن دعتها المنظمة لإستئناف عضويتها بالمنظمة .. وذلك بناء على قرار صادر عن مؤتمر القمة الإسلامي في الدار البيضاء في المغرب عام ١٩٨٤ ميلادية .. وكذلك تعليق عضوية أفغانستان بناء على القرار الصادر عن مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية خلال انعقاده في اسلام أباد عام ١٩٨٠ ميلادية في دورة غير عادية .

دعم وحماية الأقليات المسلمة

● تحتل قضايا الأقليات المسلمة مساحة كبيرة من اهتمامات المؤسسات الإسلامية العالمية.. فما نصيب الأقليات المسلمة في خريطة اهتمامات منظمة المؤتمر الإسلامي؟

ـ لا شك أن الأقليات المسلمة جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية ومشكلات هذه الأقليات لم تغب أبدا عن بال الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي .. فجميع المؤتمرات التي عقدتها وتعقدها المنظمة تُولي أهمية كبرى للأقليات المسلمة في العالم في جميع المجالات.

وأضاف: كما أن المؤسسات الثقافية والاقتصادية والاعلامية والتعليمية التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي التي بلغ عددها أكثر من ٢٥ هيئة ومؤسسة إسلامية، تعمل لدعم المشروعات الدعوية والتعليمية والثقافية للأقليات المسلمة.. كما أن الدول الأعضاء في المنظمة قائمة بدورها الإيجابي في دعم مشروعات الأقليات المسلمة في العالم .. وكذلك الجامعات الإسلامية تضم العديد من أبناء الأقليات المسلمة للدراسة فيها .. كما أن الدول التي تعيش في نطاقها هذه الأقليات المسلمة .. تدرك الدور الفاعل الذي تؤديه المنظمة من جانب والدول الإسلامية الأعضاء بالمنظمة من جانب آخر .. لرعاية وحماية الأقليات المسلمة حيث تنشط الدبلوماسية الإسلامية لاحتواء الأزمات والمشكلات والتحديات التي تواجه الأقليات المسلمة .

احترام وحدة وسلامة أراضي الدول الأعضاء في المنظمة

استراتيجية إسلامية

● هل توجد استراتيجية إسلامية موحّدة لمواجهة التحديات التي تحيط بالأمة الإسلامية ؟

ـ من قدر الأمة الإسلامية أن تحيط بها تحديات كثيرة في كل المجالات .. ولا شك أن الاهتمام بوضع استراتيجية لمواجهة كل هذه التحديات أمر مطلوب في هذه المرحلة المهمة من تاريخ الأمة الإسلامية ..

وبصفة عامة فإن الأمة الإسلامية بفضل تمسكها بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف وهداياته الربانية .. قادرة بإذن الله تعالى على الصمود في مواجهة جميع التحديات المعادية بل قادرة أيضاً على احتواء جميع الأزمات والمشكلات التي تواجهها .. فالأمة الإسلامية قد حققت استقلالها السياسي وامتلاك مقدراتها وتخطو خطا ثابتة لتحقيق تكاملها الاقتصادي .. بل إن زمام أمورها لا يزال في قبضة يد المسلمين .. ولا جدال أن ذلك من شأنه تأصيل وجودها باعتبارها

خير أمة أخرجت للناس .

جهود في طريق الوحدة

● **ما الجهود التي بذلت لإنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي؟وهل هي البديل المعاصر للخلافة الإسلامية؟**

- يقول الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي: تعود فكرة إقامة منظمة إسلامية عالمية تعمل على توحيد القرار السياسي للأمة الإسلامية، إلى العام ١٩٢٦ ميلادية، وذلك بعد انفراط عقد الخلافة الإسلامية .. وقد جرت محاولات عدة لإنشاء مثل هذه المنظمة الإسلامية العالمية .. حيث تم إنشاء المؤتمر العالمي الإسلامي في هذا العام وعقد أول اجتماع له في مكة المكرمة ..

ثم توالت الاجتماعات في القدس العام ١٩٣١ ميلادية وكراتشي ومقديشيو لمعالجة الشؤون الثقافية والسياسية والاجتماعية التي تهم العالم الإسلامي .. ثم تشكلت بعد ذلك ندوة المؤتمر الإسلامي في عام ١٩٥٣ ميلادية .. حيث عقدت أول اجتماعاتها في القدس وفي بعض المدن العربية ..

ثم أنشئ المؤتمر الإسلامي العام وتأسس عام ١٩٥٥ ميلادية وتوالى بعد ذلك انشاء المنظمات الإسلامية العالمية .

● **لماذا تأسست فكرة إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي الحالية التي تتولون فيها منصب الأمين العام؟**

الحفاظ على هوية الأمة

● **هل ترى أن منظمة المؤتمر الإسلامي قد حققت أهدافها المرجوة؟ وهل أسهمت في تحقيق أمن الأمة الإسلامية؟**

- لا شك أن من أهم أهداف منظمة المؤتمر الإسلامي .. العمل على تعزيزالتعاون بين الدول الأعضاء وذلك في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية والتعليمية والإعلامية وغيرها من المجالات الأخرى .. والعمل أيضاً على دعم مسيرة السلام في العالم باعتبار أن الإسلام ينادي بالسلام والأمن في الساحة العالمية .

المقدسات الإسلامية

● **ما أهداف منظمة المؤتمر الإسلامي؟**

– أن من أهداف منظمة المؤتمر الإسلامي.. العمل من أجل الحفاظ على سلامة المقدسات الإسلامية ومساندة الشعوب المسلمة للحفاظ على حريتها واستقلالها .. ودعم الشعب الفلسطيني ومساندته لاسترداد جميع حقوقه والحفاظ على المقدسات الإسلامية في فلسطين وفي مقدمها المسجد الأقصى المبارك

وأضاف: ومن أهم مبادئ منظمة المؤتمر الإسلامي أيضاً .. المساواة التامة بين الدول الأعضاء في المنظمة .. واحترام حق تقرير المصير لكل دولة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء .. واحترام سيادة واستقلال ووحدة أراضي كل دولة عضو .. وحلّ ما قد ينشأ بين هذه الدول من منازعات بالحلول السلمية كالمفاوضات أو التحكيم .. وامتناع هذه الدول عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها ضد وحدة وسلامة أراضي الدول الأعضاء أو تهديد استقلالها السياسي ●

٧٥٪ من إجمالي عدد اللاجئين في العالم من المسلمين



د. بلقيز في سطور

- ولد الدكتور عبد الواحد بلقزيز في ٥ يوليو عام ١٩٣٩ ميلادية في مدينة مراكش بالمغرب
- تعلم في مدارس المغرب .. وواصل دراسته في كلية الحقوق حتى حصل على الدكتوراة في كلية الحقوق في جامعة «رين».
- عمل عميداً لكلية العلوم القانونية والاقتصادية في جامعة المغرب للعلوم الاجتماعية من عام ١٩٦٨ . ١٩٧٤ ميلادية.
- عمل سفيراً للمغرب في بغداد من عام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ ميلادية.
- عمل وزيراً للإعلام بالمغرب من عام ١٩٧٩ . ١٩٨١ ميلادية .
- ثم عين وزيراً للإعلام والشباب والرياضة بالمغرب من عام ١٩٨١ . ١٩٨٣ ميلادية .
- وعيّن وزيرا للشؤون الخارجية للمغرب من عام ١٩٨٣ . ١٩٨٥ ميلادية.
- أختير رئيساً للجنة التنفيذية لاتحاد جامعات العالم الإسلامي العام ١٩٩٧ ميلادية ●



حـوار

رائف نجم وزير الأوقاف الأردني الأسبق :

الغزو المعماري الغربي يهدد العمارة الإسلامية بالتشويه

حوار أجرته: سهير محمد حسنين



أكد المهندس رائف نجم وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأسبق الأردني.. أن عملية النمو العمراني في ديار المسلمين.. تتطلب سياسة معمارية تستلهم روح الإسلام وتعمل على تطويع التكنولوجيا المعمارية وإجادة توظيفها للحفاظ على هوية العمارة الإسلامية.

وأوضح في حواره.. أن الغزو المعماري الغربي.. قد أحدث متغيرات سلبية في المدن والعواصم الإسلامية وأن مستقبل العمارة الإسلامية في خطر ما لم تتنبّه الأمة إلى ضرورة درء هذا الخطر.. بالحفاظ على هوية العمارة الإسلامية إلى جانب الحفاظ على التراث المعماري في ديار المسلمين.

وأشار إلى أن القرآن الكريم قد تضمّن ركائز متينة يجب الالتزام بها عند تصميم الأبنية والقصور.. وتناول الحوار الكثير من القضايا الإسلامية المهمة. وإليكم الحوار:

جماليات اسلامية

الهندسة المعمارية في القرآن

- في بداية الحوار.. سألت المهندس رائف نجم عن هدايات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في مجال تصميم وإنشاء المباني في ديار المسلمين فقال:

- لقد تضمّنت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.. الكثير من الضوابط والركائز المتينة التي يجب أن يستلهم منها المعماري المسلم جميع الأصول عند وضعه للتصميمات الهندسية لإقامة المباني في البلدان الإسلامية.. من ذلك قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون) النور: ٢٧ فهذه الآية الكريمة تُرشد المعماري المسلم إلى ضرورة مراعاة الخصوصية والاستقلالية وضمان حرمة البيوت ومراعاة حرية العائلة المسلمة وتحقيق شعورها بالأمان.

وأضاف المهندس نجم: إن المعماري المسلم مطالب بالالتزام بآداب وتوجيهات القرآن الكريم في هذا المجال.. إذ يجب أن تخلو الأبنية من وسائل الإطلاع على شؤون الجار ومعرفة ما يدور في داره من أسرار ومعاملات.. يقول تعالى: (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) التوبة: ١٠٩، فعند تصميم المبنى يجب أن ندرس العلاقة بين الأبنية وما يحيط بها من مبان أخرى حتى نحافظ على خصوصيات الجار.

تكنولوجيا العمارة الإسلامية

وأردف المهندس نجم: لقد وضع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.. منهجية العمارة الإسلامية.. التي تركز على عدم التبذير والابتعاد عن الإسراف والبذخ في إنشاء أبنية المسلمين.. تنفيذا لقوله تعالى: (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً) الإسراء: ٢٧، فالآية الكريمة تطالبنا بالتزام البساطة.

وأضاف: يجب أن نتأسى بالمنهج المعماري البسيط الذي أرساه الرسول صلى الله عليه وسلم.. في إقامة أول مسجد في الإسلام بالمدينة المنورة بعد الهجرة مباشرة.. واستعمال المواد المتيسّرة والمتوافرة بالبيئة المحلية عند إنشاء العمارة واستخدام التكنولوجيا التي تتضمن المواد الخام اللازمة الموجودة في هذه البيئة.. حتى يتضح للجميع مدى التزامنا بما جاء في الكتاب والسنّة في المجال المعماري.

التراث المعماري في خطر

● تشهد المجتمعات المسلمة نمواً واضحاً.. وتقام المباني وفقاً للنمط الغربي.. فما الأصول المعمارية الإسلامية التي يجب مراعاتها عند إنشاء المدن الحديثة؟

- يقول الدكتور نجم: لابد أن ندرك أن المدينة الإسلامية هي النموذج الطيب للعمارة الإنسانية بصفة عامة.. ويجب أن يتميز أسلوب التخطيط العمراني في المدن الحديثة التي تقام في ديار المسلمين.. بمراعاة التكتّل السكاني ومساحات الفراغ وذلك في نسيج معماري إسلامي متجانس.

● وكيف يتم تنفيذ ذلك؟

- نحن نعرف أن المسلمين يجتمعون كل يوم لأداء الصلوات الخمس في المساجد.. كما يجتمعون كل يوم جمعة لأداء صلاة الجمعة.. ومن هنا لابد من مراعاة انتشار الناس في أنحاء المدينة أو الحي بعد انتهاء الصلاة.. عن طريق تخطيط مساحات الفراغ والشوارع الرئيسة والفرعية المؤدية إلى المساجد.. بحيث تستوعب حركة الانتشار في سهولة ويسر.

وأضاف وزير الأوقاف الأردني الأسبق: نحن نرى براعة التخطيط العمراني للمدن الإسلامية تظهر في «مكة المكرمة» و«المدينة المنورة» و«القدس الشريف» ونعتبر تلك هي النماذج المثالية للمدن الإسلامية.. فمكة المكرمة والمدينة المنورة يفد إليها

النماذج المثالية للمدن الإسلامية مكة المكرمة، المدينة المنورة والقدس الشريف



جماليات اسلامية

المدينة الإسلامية هي النموذج الصحيح للعمارة

آلاف بل ملايين من المسلمين لأداء الفريضة وزيارة بيت الله الحرام.. كما أن تخطيط مدينة القدس القديمة داخل الأسوار نموذج حي للمدينة الإسلامية.

وأوضح المهندس نجم: لقد رُوعي في التصاميم المعمارية لهذه المدن المقدَّسة القدرة على استيعاب الأعداد الضخمة من البشر وسعيهم في المقدسات لأداء المناسك والتوجه إلى الأسواق لشراء ما يلزمهم من متطلبات وذلك في سهولة ويسر.

الصراع المعماري

● **وهل ترى أن انتشار العمارة الغربية في ديار المسلمين.. يهدد العمارة الإسلامية ؟ وأن هناك صراعاً معمارياً في هذا المجال؟**

وأوضح المهندس نجم: أن العمارة الغربية لها فلسفتها ولها ركائزها التي لا تتفق مع مبادئنا وقيمنا الإسلامية.. فالعمارة الغربية قضت على مفهوم الجوار الذي يحرص عليه الإسلام.. فنحن نرى أن سكان المبنى الواحد لا يتزاورون ويحرص كل منهم على العيش في عزلة عن الآخرين من جيرانه.. وهذه هي إحدى السلبيات التي أفرزتها العمارة الغربية.. والتي نتج منها وجود صراعات فكرية بين سكان المبنى الواحد. كما أن طرز العمارة الغربية تهتم بالشكل والمظهر دون المضمون والجوهر وانتشارها في المدن الإسلامية ظاهرة سلبية خطيرة.. كما يجب أن نعمل على التصدي لها بالالتزام بالمنهج المعماري الإسلامي الأصيل.. ويجب أن نصون هويّتنا المعمارية من أخطار التغريب المعماري الذي لا يقل خطراً عن التغريب الفكري والعقائدي.

لكل أمة عمارة

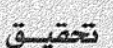
● **لكل بيئة إسلامية ظروفها التي تتحكم في ملامحها المعمارية.. فهل ترى أن التطور المعماري المعاصر قد بهتت فيه منهجية الالتزام بالفن الإسلامي؟**

- لاشك أن العمارة الإسلامية كغيرها من فنون العمارة.. تؤثر وتتأثر بالكثير من المؤثرات الحضارية.. ونحن ندرك أن العمارة الإسلامية قد اكتسبت هويّتها من المجتمعات والبيئة التي وُجدت فيها.. وأستطيع القول: إن العمارة الإسلامية هي فن إنشاء الأبنية التي تعكس حضارة الإنسان وثقافته.

وأضاف المهندس نجم: تأثرت العمارة الإسلامية بعوامل تاريخية وجغرافية ونفسية وعقائدية.. فنجد أن الدول التي فتحت صدرها للإسلام.. قد تأثرت بالروح الإسلامية في المجال المعماري.. بالإضافة إلى تأثرها بالمستوى الاقتصادي والمستوى التعليمي.. ونجد ذلك واضحاً في مدن القاهرة وفاس والقدس والقيروان واسطنبول وحتى مدن بخارى وطشقند وسمرقند وغيرها.

والذي أود أن أؤكد عليه أن الغزو المعماري الغربي يهدد العمارة الإسلامية بأخطار التشويه ●





تحقيـق

شيخها رائد صلاح...معتقل منذ أشهر

مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية: مشاريعنا قائمة رغم كل ما نتعرض له من معوقات

فلسطين: ميرفت عوف. الوعي الإسلامي



في ظل تعرض المقدسات الإسلامية في فلسطين إلى أشد ألوان الانتهاك باستمرار إعلان المؤسسة الإسرائيلية، الحرب الطاحنة عليها، قاصدة بذلك اقتلاع الجذور التاريخية للشعب المسلم الفلسطيني في تلك البلاد، فهدمت ما يزيد عن ١٢٠٠ مسجد، وجرفت مئات المقابر وصادرت الأوقاف الإسلامية، وحولت الكثير من المساجد إلى خمارات وحظائر للأبقار، ووضعت يدها على الأوقاف الإسلامية متذرعة بعشرات القوانين التي سنت خصيصاً لمصادرة الأراضي وعلى رأس هذه القوانين قانون أملاك الغائب، في ظل هذه المعطيات المبكية برزت مجموعة من اهل الخير وعلى رأسها الشيخ رائد صلاح واعتبروا أن قضية المقدسات يجب أن تكون في سلم أوليات عملها فسخرت لها الطاقات وبدأت بمشوارها المضني الشائك، نحو حماية المقدسات وعلى رأسها المسجد الأقصى، الذي بوضعه الراهن يجسد مأساة الحرب على المقدسات الإسلامية، «مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الاسلامية» كانت واحدة من أهم المؤسسات أوجدوها للتصدي لكل ما سبق ذكره من اعتداءات إسرائيلية.

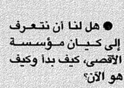
«الوعي الإسلامي» حاورت «علي سعيد أبو شيخة» رئيس مؤسسة الأقصى في قرية «عارة» داخل الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م، وكشفت عن الكثير من الاعتداءات والمخططات الرامية لنيل من كل ما هو إسلامي في فلسطين.

الكيان الصهيوني يقتلع الجذور التاريخية للشعب الفلسطيني بهدم المساجد

وهذا نص الحوار:

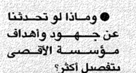
جماليات اسلامية

حظي المسجد الأقصى المبارك باهتمام كبير من قبل مؤسسة الأقصى وذلك لمكانته الرفيعة لدى المسلمين ولكون الظلمة يتربصون به من كل مكان



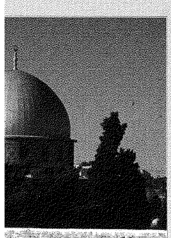
● هل لنا أن نتعرف إلى كيان مؤسسة الأقصى، كيف بدأ وكيف هو الآن؟

- ابتسم قليلاً ليتذكر البدايات ثم قال: بدأ أعضاء مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية العمل في مشاريع الإعمار والصيانة عام ١٩٩١م، وقد كان الجهد متواضعاً واقتصر على معسكرات عمل وقفية في المدن الساحلية الفلسطينية وبعض القرى المهجَّرة، وعلى مستوى الدفاع عن حرمة المقدسات فقد بدأنا نتحرك حيث تلزم الحركة للدفاع عن مقبرة منتهكة أو مسجد منتهك، إذ تقوم المؤسسة مع عدد من الشباب العامل بترميم ما يمكن ترميمه وتسييج المقابر المنتهكة، وكان أعضاء المؤسسة يتوجهون مسرعين للموقع لينصبوا خيام الاعتصام ويتابعوا الموضوع قانوناً، ومع مرور الوقت تطور أسلوب عمل مؤسسة الأقصى، هذا العمل العفوي القائم على ردود الأفعال إلى عمل منضبط مؤسسي قائم على الخطط والبرامج والمشاريع، حتى تحولت مؤسسة الأقصى إلى مشروع رائد يشكل الرد العملي المنهجي العلمي على سياسية الانتهاك والتهميش المبرمج، وما زالت مؤسسة الأقصى مستمرة في أعمالها ومشاريعها المتعددة وتقوم بدور ريادي في هذا المجال.



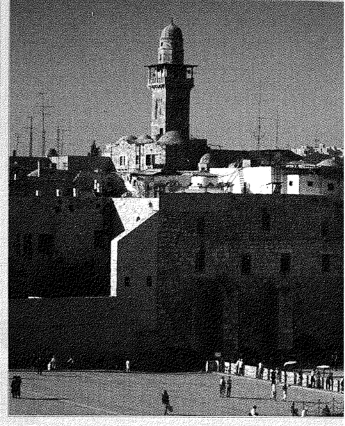
● وماذا لو تحدثنا عن جهود وأهداف مؤسسة الأقصى بتفصيل أكثر؟

- خلال عملها المتواصل قامت مؤسسة الأقصى بمشاريع إعمار وصيانة واسعة للمقدسات الإسلامية، حيث نجحت بإيقاف الكثير من الاعتداءات التي كانت تتمثل بجرف مقابر لتنال من عظام الموتى في قرانا المهجرة ضاربة بعرض الحائط حرمة الأموات والأحياء، ونجحت بعون الله أن تسترد الكثير من المقابر لترعاها





وتحفظها، وعملت المؤسسة على إنقاذ عشرات المساجد والمقابر التي كادت تطمس بسبب الإهمال وعدم رعايتها، ومن أجل ذلك نظمت مؤسسة الأقصى عشرات المعسكرات العملية لصيانة المقدسات وخصوصاً في المدن الساحلية (عكا، حيفا، يافا، اللد والرملة) والقرى المهجرة، فقامت بأعمال التنظيف والترميم وإقامة صلوات الجمعة في المساجد، واعتمدت مؤسسة الأقصى مشروع «رش المقابر بمبيد الأعشاب» وهو مشروع سنوي يستمر لأشهر حيث تقوم المؤسسة برش المقابر المهجورة في مختلف أنحاء البلاد بالمبيدات التي تمنع نمو الأعشاب حتى لا تصبح المقدسات الإسلامية فريسة سهلة لأسنان جرافات المؤسسة الإسرائيلية التي تستغل قانون أراضي البور لانتهاك حرمة المقابر ومصادرتها بحجة عدم الاهتمام بها والعمل على صيانتها وهذا جزء من سياساتها الرامية



لطمس هويتنا الإسلامية عبر تدمير شامل لمقدساتنا وأوقافنا الذي بدأ عام ١٩٤٩ ولما ينتهي بعد.

هنا صمت أبوشيخة قليلاً ليرتب أوراق سرده عن أهداف مؤسسة حمت بإذن الله إسلامية الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨، وتابع حديثه قائلاً: قامت مؤسسة الأقصى بترميم المساجد وخصوصاً في المدن الساحلية، حيث قامت بتجديد وإعمار مسجد البحر في يافا، ومسجد الحاج عبدالله في حيفا، ومسجد الرمل والزيتونة في عكا ومسجد حسن بك في يافا، وغيرها من المساجد في اللد والرملة.

وقد توجت مشاريع مؤسسة الأقصى المتعلقة بالأوقاف الإسلامية بمشروعها الرائد «مشروع الخارطة المفصلة للمقدسات»، وهو عبارة عن مسح هندسي مفصل لكل المواقع الإسلامية في القرى المهجرة منذ عام ١٩٤٨ من قيساريا خط عرض حتى أقصى شمال فلسطين التي يقدر عددها بما يزيد عن ١٢٠٠ موقع، تشمل المساجد، مصليات، مقامات، مقابر، ويهدف هذا المشروع إلى تحديد هذه المواقع ووضع الخطط المناسبة لصيانتها ومنع انتهاكها وقد أنجزت المرحلة الأولى من هذا المشروع.

● المسجد الأقصى... هل أخذ حقه من اهتمامات مؤسسة الأقصى التي سميت باسمه؟

ـ قبل الإجابة على سؤال «الوعي الإسلامي» لاحت أعين أبو شيخة في المكان وكأنه يتذكر هيبة هذا المسجد... ثم قال: حظي المسجد الأقصى المبارك باهتمام كبير من قبل مؤسسة الأقصى وذلك لمكانته الرفيعة لدى المسلمين ولكون الظلمة يتربصون به من كل مكان، وكرر الجملة مرة أخرى فقال: حظي المسجد الأقصى بالاهتمام الأكبر فمن خلال معسكرات العمل الأسبوعية الثابتة على مدار ست سنين التي كان يشارك فيها الشباب المسلم من الجليل والمثلث والنقب بالمئات قدمنا كل ما كان باستطاعتنا، ومن ذلك إعمار المصلّى المرواني (التسوية الشرقية) يعد هذا الإعمار الأول من نوعه، فقد بدأ العمل فيه تحت رعاية هيئة الأوقاف وبالمشاركة مع لجنة التراث المغلقة حالياً من قبل السلطات، وقد شارك الآلاف من الشباب المتطوعين الذين قدموا من الجليل والمثلث والنقب حيث هيأت أرضيته وبلطت الأرضية بالرخام اللائق، وتم إنارته بالكهرباء وتبلغ مساحته نحو ٤٠٠٠ م٢ حيث يؤمه المصلون والحمد لله، يذكر أن أطماع اليهود كانت تتجه إلى هذا المسجد وكانوا ينتظرون الفرصة المواتية للاستيلاء على هذا المصلى وتحويله إلى «كنيس»، وما زالت أطماعهم ولعابهم يسيل على هذا المصلى، ومازالوا حيث يصرحون دائما بضرورة منحهم إياه كبديل عن هيكلهم المزعوم ودليل على ذلك تصريحات وزير شؤون القدس «ناتن شيرانسكي» لصحيفة هآرتس في السيطرة على المسجد الأقصى التي يعتبر أهم بكثير من كل مسيرة السلام، وكان الرد العملي الذي محق أحلامهم وأطماعهم، حيث تم ترميمه خلال فترة قصيرة رغم كبر مساحته.

وباشرت مؤسسة الأقصى بفتح بوابتين من الجهة الشمالية للمصلى المرواني اللتان كانتا قد أغلقتا منذ زمن قديم، بعد الزلزال الذي أصاب المسجد الأقصى، والذي دمر كثيراً من أجزائه وذلك عام ١٩٢٧، وفي تلك الأثناء أضطر المسلمون إلى إغلاق الأبواب ووضع مخلفات الزلزال من التراب والحجارة عليها مما أدت الى دفنها وإخفائها، فبادرت مؤسسة الأقصى وبمشاركة لجنة التراث وتحت إشراف الأوقاف الإسلامية إلى فتح هذين البابين العملاقين.

وتابع أبو شيخة الحديث قائلاً وهو يقلب أوراقه.. لقد تم إعمار المسجد الأقصى القديم وهو المسجد الواقع تحت مبنى المسجد الأقصى طولي الشكل بطول مبنى المسجد نفسه والمدرسة الختنية، وعرض أقل من ذلك بكثير، فبدأ أعضاء مؤسسة الأقصى وبالمشاركة مع لجنة التراث حملة الترميمات الجذرية فيه منذ مطلع عام ١٩٩٨م، وآزرهم آلاف الشباب المسلم

جماليات اسلامية

نجحت مؤسسة الأقصى بإيقاف الكثير من الاعتداءات الصهيونية التي كانت تعتمد جرف مقابر المسلمين لتنال من عظام الموتى

من الجليل والمثلث والنقب والمدن الساحلية، فقد أخرجوا منه آلاف أكوام الأتربة والحجارة والأوساخ، وهيأوا الأرضية ليتم تبليطه وطلاء سقفه وجدرانه وفتح الغرف الملاصقة له من الناحية الجنوبية وتمت إنارته وفرشه بالسجاد، وقد تم الانتهاء من إعماره في أواخر عام ١٩٩٩، وافتتاحه للصلاة في شهر رمضان عام ١٩٩٩م، واصبح الجزء الأمامي منه (أي المدرسة الختنية داراً للقرآن الكريم).

● **ولم تكتف مؤسسة الأقصى في مشاريع إعمار وصيانة المسجد الأقصى المبارك بل طورت ذلك الى مشاريع إحياء المسجد الأقصى وربط المسلمين فيه وتكثيف الوجود فيه وخصوصاً بعدما منعت المؤسسة الإسرائيلية إدخال أي مواد بناء للمسجد الأقصى المبارك ولكن كيف حدث ذلك؟**

- بذكر مسمى أهم مشروع يبدأ أبو شيخة الجواب عن سؤالنا السابق فيقول: «مسيرة البيارق» وهو مشروع شد الرحال إلى المسجد الأقصى، حيث تسير عشرات الحافلات يومياً إلى المسجد الأقصى مجاناً من جميع القرى في الداخل الفلسطيني على نفقة مؤسسة الأقصى لتأدية الصلوات في المسجد الأقصى، وأهداف المشروع إحياء الأيام الخوالي والدور الريادي للأقصى المبارك عبر تكثيف وجود المرابطين فيه لتعود للأقصى منارته المفقودة، ويهدف المشروع إلى ترشيد وجود المسلمين في الأقصى وجلبهم إليه وإعادة جيل الشباب إلى درب الهداية من خلال الدروس اليومية في الأقصى المبارك وإحياء سنّة الاعتكاف فيه وزيادة عدد المصلين، وإضفاء جو روحاني من خلال الآلاف المؤلفة المرابطة في المسجد الأقصى حيث ترفع الهمم وتزكّي النفوس.

وبطبيعة الحال لم تكن «مسيرة البراق» أول المشاريع ويتحدث أبو شيخة عن ثاني مشروع فيقول: هناك مشروع «مصاطب العلم»، حيث تقوم مؤسسة الأقصى بتشجيع إقامة دروس العلم في جنبات المسجد الأقصى ولتقوية التلاحم الديني اليومي بين المسلمين واتصالهم وتقوم فكرة إحياء دروس ومصاطب العلم في المسجد الأقصى على إعادة دور ورسالة المسجد الأقصى في توعية الناس ونشر العلم والدعوة الى الله، بالإضافة إلى ترشيد وجود الناس وحضهم على الوجود داخل المسجد بعد الصلوات وعدم الانفضاض وترك المسجد خالياً.

وبلهجة أقوى من سابقتها يتحدث رئيس مؤسسة الأقصى عن مشروع «صندوق طفل الأقصى والمقدسات» فيقول: الصندوق عبارة عن وضع حصالة في بيت المشاركين من الأطفال في هذا الصندوق لجمع التبرعات فيه طوال أيام السنة إسهاما منهم بإعمار وإحياء المسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية وربطهم اليومي بالمسجد الأقصى، وتجمع هذه الحصالات سنوياً ويعقد مهرجان كبير في ساحات المسجد الأقصى المبارك، وقد وصل عدد المشاركين في هذا المشروع ما يزيد على ٢٠ ألف طفل، ويحكي لنا بلسان القائمين على المشروع فيقول: «صندوق طفل الأقصى والمقدسات»: «ليس الهدف هو جمع المال فقط، بل إننا نشدد على ضرورة أن يقوم كل أب وأم بشرح دائم لأطفالهم عن الأقصى المبارك وقيمته وأمجاده التاريخه ومأساة حاضره بهدف تعميق الصلة بين هؤلاء الأطفال وبين الأقصى المبارك، حتى يشعر الأطفال أن الأقصى المبارك أصبح عيناً ثالثة في وجوههم وقلباً ثانياً في صدورهم وروحاً أخرى تسري

التخريب الإسرائيلي ضد المقدسات والوجود الإسلامي داخل أراضي الـ«٤٨» في انتفاضة الأقصى؟

ـ اعتمدت مؤسسة الأقصى من خلال عملها في الدفاع عن المقدسات الإسلامية وحمايتها أسلوب العمل في ترميم المقدسات الإسلامية وصيانتها، ونجحت هذه المؤسسة بإيقاف الكثير من الاعتداءات التي كانت تعتمد جرف مقابرنا لتنال من عظام الموتى في قرانا المهجَّرة، كما ونجحت أن تسترد الكثير من هذه المقدسات بعد أن كادت يد الظلم في دورها قد بدأت تطمس الهوية الإسلامية، وعملت المؤسسة على إنقاذ عشرات المساجد والمقابر التي كادت تطمس بسبب الإهمال وعدم رعايتها، ووصول بعضها إلى درجة الانهيار أحياناً، فقد قامت هذه المؤسسة بتنظيم المعسكرات العملية التي كان يشارك فيها المئات من الشباب المسلم من أبناء الصحوة الإسلامية الذين عملوا على إعادة بنائها وترميمها، كما شملت هذه المعسكرات العمل على صيانة مقدساتنا في المدن المختلطة (عكا، حيفا، يافا، اللد والرملة) حيث يسكن فيها اليهود والعرب والتي تتعرض فيها المقدسات الإسلامية إلى أبشع ألوان العذاب والطمس.

كما وتعمل مؤسسة الأقصى على توثيق كل أوقافنا ومقدساتنا بالكتابة والصورة الفوتوغرافية وشريط الفيديو وتبادر إلى اعداد النشرات المرشدة إلى مواقع الأوقاف والمقدسات لزيارتها.

وتتابع مؤسسة الأقصى من خلال فرق الصيانة أي تطور أو انتهاك، وتقوم بمعالجته بالطرق القانونية كنصب خيام الاعتصام والتوعية الإعلامية، ومازالت مؤسسة الأقصى تطالب الجهات الإسرائيلية بتحرير جميع المساجد التي حولت إلى خمارات وبارات ومخازن.



● الشيخ رائد صلاح كان له دور في الكشف على المخططات الرامية للنيل من المسجد الأقصى والتحذير من إمكانية المساس به ●

في أجسادهم، بل إن على الأب والأم مواصلة تحريض أطفالهم لوضع دريهمات أخرى بلا توقف في هذا الصندوق على مدار أيام السنة.

● ما خطورة الاعتداءات والممارسات الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية؟

ـ الاعتداءات والممارسات الإسرائيلية المتكررة على المقدسات الإسلامية جدّ خطيرة، فقد ارتكبت المؤسسة الإسرائيلية جريمتها الأولى عام ١٩٤٨ (عام النكبة) فهدمت ما يزيد على ١٢٠٠ مسجد، وجرفت مئات المقابر، ووضعت القوانين التي استباحت مصادرة المقدسات الإسلامية، وذلك بهدف إكمال مسلسل الإجرام بحق ما تبقى من مقدسات ومعالم إسلامية، وما زالت الأوقاف الإسلامية بما تملك من أرض وعقارات مصادرة تحت ستار قانون أملاك الغائبين، وإلى الآن ما زالت عشرات المساجد تنتهك حرماتها، وتسجل سنوياً عشرات الحالات من الاعتداء على المساجد والمصليات، فبعضها تستخدمه بعض الجهات الإسرائيلية خمارات ومطاعم وحظائر لتربية المواشي، وتقوم دائرة اراضي إسرائيل بوضع المخططات الخبيثة الرامية إلى تهميش الوجود الإسلامي، فقامت بتحويل مسجد قيساريا ومسجد عسقلان وعين حوض إلى خمارات، ووصل الحد بهذه الدائرة أن تفتح المجال لتصوير فيلم للعراة داخل المسجد الأحمر في صفد، كما وتعطي هذه الدائرة الشرعية الكاملة لتحويل مساجدنا إلى حظائر للأبقار والأغنام كما في مسجد عين الزيتون ومسجد البصة.

ويتابع ابو شيخة بانهماك شديد: إن مسلسل الانتهاك للمقدسات الإسلامية مستمر وبإذن من مؤسسات إسرائيلية رفيعة المستوى، حيث تقوم مجموعة من المتدينين اليهود بتحويل بعض المساجد والمصليات إلى «كنس ومقابر لهم» تحت أسماء ومسميات جديدة لا أصل لها كما حدث في مصلى الست سكينة في مدينة طبريا، وقد يصل الأمر إلى الهدم كما حصل في مسجد أم الفرج عام ١٩٩٨، ومسجد وادي الحوارث عام ١٩٩٩ ومسجد الصرفند عام ٢٠٠٠.

● وما دور المؤسسة في حماية ومقاومة

الكيان الصهيوني يقوم بوضع المخططات الرامية إلى تهميش الوجود الإسلامي حول المسجد الأقصى

جماليات اسلامية



المؤسسات الصهيونية تضع أيديها على كثير من الأراضي الوقفية الإسلامية، تحت ستار قانون أملاك الغائبين

● ما جهود الشيخ رائد صلاح في مؤسسة الأقصى؟

ـ بعيون حزينة تذكر الأسير الشيخ رائد صلاحوقال: يعتبر الشيخ رائد صلاح رافع لواء هموم الأوقاف والمقدسات في الداخل، وهو أول من نادى بضرورة توحيد الجهود المبذولة لحماية أوقافنا ومقدساتنا تحت لافتات مؤسسية حتى لا تضيع ما تبقى من الأوقاف وبفضل سعة أفقه وتمتعه بالعقلية الإبداعية المعروفة لديه طرح الكثير من المبادرات والأفكار التي تحولت بفضل جهود مؤسسة الاقصى إلى واقع حي مُعاش أثار في النفوس مسألة الأوقاف والمقدسات، فهو الشخص الذي حَوَّلَ منطق الدفاع عن أوقافنا ومقدساتنا من شعارات وخطابات واستجوابات برلمانية لا تسمن ولا تغني من جوع، إلى ممارسات عملية وواقعية وإلى مشاريع إحيائية، ومعلوم أن الشيخ يسكن في روعة هاجس الأوقاف والمسجد الأقصى المبارك، لذلك سارع دائماً الى طرح مشروع إحياء الوقف الإسلامي بين الناس كي لا تموت فكرة الحفاظ على الأوقاف والمقدسات، واهتم اهتماماً منقطع النظير بالمسجد الأقصى المبارك، وقد بينا في الأجوبة السابقة الدور الكبير الذي قمنا به في المسجد الأقصى المبارك ومن منطلق تعبدي وشرعي وقومي، كما وكان للشيخ رائد صلاح دور في الكشف على المخططات الرامية للنيل من المسجد الأقصى والتحذير من إمكانية المساس به، كل هذه الجهود وغيرها حملت المؤسسة الإسرائيلية على اعتقال الشيخ رائد صلاح ومازال هو وأربعة من إخوانه يقبعون خلف القضبان، وتسلسل أحداث الاعتقال والمحاكمة تبين يومياً بعد يوم أن الشيخ رائد صلاح ما اعتقل واخوانه إلا بسبب دوره البارز في الدفاع عن المقدسات الإسلامية وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك.

● ما المعوقات التي تواجه القائمين على المؤسسة؟

ـ المعوقات والعقبات التي تواجه مؤسسة الأقصى خلال عملها كثيرة وأهمها المعوقات التي نتلقاها من قبل المؤسسات الإسرائيلية في البلاد، مثل «دائرة أراضي إسرائيل» التي تسمى «المنهال»، والتي تضع أيديها على كثير من الأراضي الوقفية الإسلامية، تحت ستار قانون «أملاك الغائبين»، فتمنعنا من الدخول إلى المواقع الإسلامية في البلاد وفي حال دخولنا نتعرض للملاحقة القانونية، كما تواجهنا العقبات والعراقيل من خلال أقسام الهندسة القطرية التي تقوم بتغيير الأحداثيات الهندسية، للبلوكات والقسائم والخرائط التفصيلية، الأمر الذي يصعب علينا العمل للقيام بمهامنا على وجه الدقة والتحديد.

ومن أهم ما يواجهنا في عملنا أيضاً ما يسمى بـ«سلطة الآثار» التي تملك قوة قانونية هائلة، وتقوم بالدخول إلى المواقع الإسلامية من دون إذن من أحد وقد تنتهك حرمة المساجد في القرى المهجرة أو في المقابر، ويصعب مواجهة أعمالها بسبب الدعم القوى التي تتلقاه من قبل المؤسسة الإسرائيلية.

كما وتلاقى مؤسسة الأقصى العراقيل من قبل السلطات المحلية اليهودية أو الشركات الإسرائيلية التي لها سلطة على بعض المواقع الإسلامية في البلاد والتي لا تبدي تعاوناً مع مؤسسة الأقصى فيما يخص الأوقاف الإسلامية التي تحت سلطة هذه المجالس المحلية والبلديات اليهودية.

زد على ذلك التعامل من قبل محاكم القضاء الإسرائيلي التي كثيراً ما تتهرب من إصدار القرارات بحق الأوقاف الإسلامية بحجة أنها غير مخولة بإصدار مثل هذه



القرارات وأيضاً تخاذل الشرطة الإسرائيلية المتعمد من القيام بدورها في المحافظة على الأوقاف الإسلامية أو منع الاعتداء عليها أو انتهاك حرمتها، وخصوصاً أن هناك محاولات كثيرة من قبل جماعات يهودية متطرفة تحويل بعض المصليات والمساجد الى «كنس يهودية»، ولا ننسى أن وزارة الأديان الإسرائيلية تنكر حقنا المشروع في مساجدنا ومقابرنا.

● ماذا عن الطموحات والآمال المستقبلية؟

- لمؤسسة الأقصى طموحات وآمال في تطوير عملها وتوسيعه بحيث يشمل جميع الجوانب وفيما يخص المحافظة والدفاع عن المقدسات الإسلامية وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك ومن تطلعات المؤسسة المستقبلية مشروع حراسة المقدسات الإسلامية بشكل يومي وإنشاء فرق صيانة عامة لكل المقدسات ومشروع زمزم في المسجد الأقصى، كما نطمح لإكمال مشروع الخارطة المفصلة للمقدسات الذي بدأت مؤسسة الأقصى بتنفيذه بهدف إيجاد رسم هندسي لكل المقدسات التي كانت قبل نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ في إطار خارطة شاملة ومفصلة لكل هذه المقدسات وتفصيلة لكل موقع.

ونسعى لإقامة متحف إسلامي لحفظ مأساة المقدسات وإقامة دائرة في المؤسسة لحفظ أكبر عدد ممكن من الوثائق المختلفة التي وجدت على مدار تاريخ فلسطين في بلدنا ومكتبة لتدارك المخطوطات الإسلامية من الضياع.

● هل من كلمة توجهونها للعالم العربي والإسلامي ؟

- إن كان لا بد من كلمة نوجهها للعالم العربي والإسلامي فإنا نذكرّهم بالواقع الأليم الذي يحياه المسجد الأقصى والخطط الإسرائيلية التي تهدف إلى النيل منه وتزايد الحملات الاستفزازية والانتهاكات المتكررة للمسجد الأقصى من قبل المجموعات اليهودية وبعض الساسة الإسرائيليين، ونطالب العالم العربي والإسلامي القيام بدوره تجاه المسجد الأقصى المبارك قبل أن يقع ما لا تحمد عقباه.

ثمّ نطالب العالم الإسلامي والعربي بالاهتمام بقضايانا أكثر فأكثر والقيام بالتوعية الإعلامية لما تتعرض له جماهيرنا العربية في الداخل وبخاصة ما أقدمت عليه المؤسسة الإسرائيلية أخيراً من اعتقال الشيخ رائد صلاح وأربعة من إخوانه واستمر اعتقالهم حتى يومنا هذا، في وقت بدا واضحاً أن ما يتعرض له الشيخ رائد صلاح وإخوانه إنما بسبب مواقفه ودفاعه عن المسجد الأقصى المبارك، وكشف المؤامرات التي تحاك ضده، وقضية المسجد الأقصى ليست قضية الشيخ رائد صلاح وحده أو الشعب الفلسطيني وحده بل هي القضية الأولى للمسلمين والعرب ●



أحكام

عناية الفقه والقضاء الإسلامي بأحكام العمران والبنيان



بقلم: د.م. يحيى حسن وزيري . مصر

أولى الفقه والقضاء الإسلامي عمران البيئة وأحكام البنيان عناية كبيرة من أجل تحقيق الأمر الإلهي بعمارة الأرض عمارة صالحة فاضلة، دون إفساد في الأرض أو اعتداء على حقوق الآخرين، وتحقيقاً لمصالح العباد بتوافر البيئة المبنية التي تكفل لهم المعيشة والحياة الهانئة في المجتمعات والمستوطنات الإسلامية في كل زمان ومكان.

واعتمد فقهاء المسلمين في تناولهم لأحكام العمران والبنيان في المدينة الإسلامية على آية وردت في القرآن الكريم وعلى حديث نبوي شريف ذكره النبي صلى الله عليه وسلم، أما الآية فهي قوله سبحانه وتعالى: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) الأعراف:١٩٩، وأما الحديث النبوي الشريف فهو: «لا ضرر ولا ضرار»(١)، واحتلت قاعدة لا ضرر ولا ضرار باباً واسعاً في فقه العمارة الإسلامية(٢)، كما اعتمد الفقهاء والقضاة أيضاً على ثلاثة مصادر من الشريعة(٣): القياس والعرف والاستصحاب.

ونضرب المثال التالي لتوضيح كيف أثرت قاعدة «لا ضرر ولا ضرار» على أحكام البنيان، فقد كتب والي مصر إلى عمر بن الخطاب في رجل أحدث غرفة على جاره ففتح فيها كوة، فكتب إليه عمر: «أن يوضع وراء تلك الكوة سرار يقوم عليه رجل، فإن كان ينظر إلى ما في الدار منع من ذلك وإن كان لا ينظر لم يمنع»(٤).

جماليات إسلامية

دفع نوعيات المنشآت الصناعية التي تتسبب في هذا الضرر إلى أطراف المدينة الإسلامية.

فلقد شهدت مدينة القاهرة على سبيل المثال الكثير من أعمال العمران التي هدفت إلى الحفاظ على البيئة العمرانية من التلوث الناتج من المنشآت الصناعية ونفذت أغلب هذه المشروعات في القرن ١١ الهجري الموافق للقرن ٧ ميلادي(٨)، وأهم هذه المشروعات مشروع نقل المدابغ من المنطقة التي كانت تقع جنوب باب زويلة خارج القاهرة، حيث عُمِّر مكانها مسجد وعمائر أخرى، بينما أنشئت مدابغ جديدة خارج مدينة القاهرة على الطريق الواصل بين القاهرة وبين بولاق أبوالعلا بالقرب من قنطرة «قدادار»، وهذا المكان في ذلك الوقت كان يبعد عن الكتلة العمرانية للمدينة ولا يسبب أي أضرار للبيئة ولا للمحيط العمراني للمدابغ الجديدة، على العكس من الموقع القديم الذي أصبح يقع في وسط الكتلة العمرانية للقاهرة بينما حينما أنشئت القاهرة في العصر الفاطمي كانت تقع المدابغ المذكورة خارج المدينة.(٩)



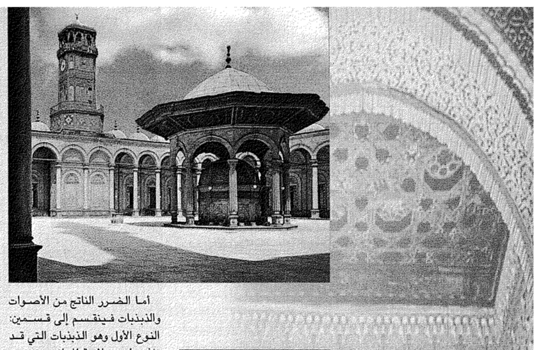
ويصنف الفقهاء من أتباع الإمام مالك الضرر إلى صنفين(٥): ضرر قائم وضرر مستجد، أما الضرر القائم فينقسم إلى أضرار ناتجة من أنشطة استقرت في المنطقة قبل غيرها من الإشغالات ويجمع الفقهاء على إبقائها لأحقيتها على غيرها بما أنها «ضرر دخل عليه»، وأضرار أخرى ناتجة من أنشطة بدأت بعد استقرار الجيرة المحيطة بها ومضى عليها وقت طويل قبل أن يشكو منها ساكنو المنطقة، ويحكم هذه الحال قاعدتان: القاعدة الأولى هي وقف الأنشطة في حال الإتلاف والضرر الشديد مثل دخان نار الحمامات وغبار الطواحين ورائحة الدباغة، أما القاعدة الثانية فتقضي بالإبقاء على النشاط إن كان ضرره ضئيلاً ويمكن التكيف معه مثل دخان المخابز أو مطابخ البيوت.

ويوضح المثالان التاليان أسلوب تطبيق الأحكام السابقة(٦): سئل ابن القاسم «المتوفى عام ١٩١/٨٠٧م» عن أحقية جيران أحد الأفراد أراد أن يبني حماماً وفرناً وطاحوناً فوق أرض فضاء أن يمنعوه من إقامتها، فأفاد القاضي بحقهم في ذلك، طالما أنه يسبب لهم ضرراً بليغاً طبقاً لأحكام الإمام مالك الذي أوصى بمنع الأذى عن الجيران، كما سئل أيضاً عن حداد أراد أن يبني كوراً وفرناً لصهر الذهب والفضة أو يبني طاحوناً أو يحفر بئراً أو مرحاضاً قرب حائط الجيران، فأفتى أن من حق جيرانه منعه لما يسببه لهم من ضرر، أما عن الأدخنة المنبعثة من المخابز والأفران بأنه لم يسمع من مالك ما يخص هذه الحالات ولكنه يعتبره ضرراً بسيطاً.

وقد حدد الفقهاء مسببات الضرر في ثلاثة أنواع هي(٧): الدخان والرائحة الكريهة والأصوات المزعجة، وكان لذلك أثره المباشر في

وفي حال اتفاق سكان حارة ما على بناء فرن يعيشون من أرباحه مما يسبب ضرراً بالدخان أو غيره، فالقاضي والمحتسب يتركان هؤلاء وشغلهم ماداموا متفقين وموقنين بالضرر الذي سيسببه الدخان لأنه بالنسبة إليهم ضرر الدخان أقل من ضرر الاحتياج إلى مصارف المعاش فهم يفضلون أقل الضررين، فتدخل القاضي لا يكون إلا بعد أن تقدم له شكاية من أحد السكان يعاني من ضرر الدخان في هذه الحال ولا يستجيب له القاضي بغلق الفرن إلا إذا كان هذا الأخير حديث الإنشاء، وهذا هو الاعتماد على مصدر الشريعة المسمَّى «بالاستصحاب» أي بقاء الحال على ما هو عليه ما لم يرد فيه حكم.(١٠)

حدد الفقهاء أسباب الضرر بالدخان والرائحة الكريهة والأصوات المزعجة



جماليات اسلامية

مهام المحتسب إزالة وهدم مباني الفساد في المدن الإسلامية لإزالة المنكر

أما الضرر الناتج من الأصوات والذبذبات فينقسم إلى قسمين: النوع الأول وهو الذبذبات التي قد تؤثر على سلامة المباني وتعتبر خطراً يجب درؤه، فيروي «ابن الرامي» في كتابه «الإعلان بأحكام البنيان» أن مجموعة من الناس أقاموا بوابة لحارتهم يفتح بابها على حائط جار لهم، فقاضاهم هذا الرجل بدعوى أن فتح الباب وغلقه المستمرين قد أضر به وأقلق راحته، فتحرى «ابن الرامي» الأمر ووجد الحائط يتذبذب جراء فتح الباب وغلقه، فأمر القاضي بهدم البوابة وإزالة بابها.(١١)

أما النوع الآخر من الضرر فينتج من الأصوات التي تسبب الضيق دون الضرر، وقد اختلف الفقهاء في حكمهم عليه فلم يعتبره الفقهاء الأوائل ضرراً يجب درؤه، أما من لحقهم من الفقهاء فقد كان لهم رأي مغاير فاعتبروا الصوت والصدى ضوضاء ومصدراً للضرر يجب درؤه، فقد وضع قضاة طليطلة حسب رواية «ابن الرامي» قواعد صارمة لمنع وجود «الكمادين» لما يسببونه من ضرر وضيق للجيران بما يصدر عنهم من أصوات، كما أعرب القاضي «ابن الرافع» في تونس عن تفضيله منع بناء الإسطبلات والحظائر المتاخمة للمباني لما تسببه حركة الحيوانات الدائمة في أثناء الليل والنهار من إزعاج قد يمنع الجيران من النوم.(١٢)

وقد أولت التشريعات والقوانين عناية كبيرة اهتماماً بحماية البيئة ونظافة المدن الإسلامية، ويظهر ذلك في وجود شروط ومواصفات بنائية معينة يجب توافرها ببعض الحوانيت، فيشترط في حانوت القصاب «الجزار» أن يتسع لوجود مذبح حتى لا يضر بالطريق وبالعامة، كما أن المحتسب كان يمنعهم من الذبح على أبواب دكاكينهم حتى لا يلوثوا الطريق بالدم والروث(١٣)، كما اشترط في حانوت الخباز ارتفاع السقف والتهوية اللازمة لإخراج الدخان.(١٤).

ونظراً لأنه جرت العادة على استغلال أسطح المنازل في معظم البلاد الإسلامية في الأغراض المعيشية وخصوصاً في فصل الصيف الذي جرت العادة على أن يتحول السطح ليلاً إلى مكان للنوم هرباً من ارتفاع درجة الحرارة، وكمكان للنسوة اللواتي كن يستخدمنه للاستمتاع بالهواء الطلق والشمس نهاراً والتحدث إلى النساء الأخريات في البيوت المجاورة، ومع هذا الاستغلال المكثف للأسطح نتيجة للظروف المناخية وعوامل تحقيق الخصوصية تضمنت الأحكام الفقهية ما يوجه المطالع المؤدية إلى السطح وأبوابه وسترته بحيث لا يكشف الصاعد إلى السطح أو من يكون فوقه البيوت المجاورة أو أن تكشف البيوت المجاورة هذا السطح، وفي قياس محدد يذكر «ابن الرامي» أن «سبعة أشبار» ارتفاع مناسب للسترة «الدورة» يكفي لأن يمنع الشخص من الرؤية إذا لم يكن محباً لفضول الاستطلاع.(١٥)

ومما يشير إلى التمسك بالأحكام الفقهية ما كان في مدينة القاهرة ومصر حيث كان فيهما أربعة مساجد جامعة هي: جامع عمرو، وجامع ابن طولون، والجامع الأزهر وجامع الحاكم، وكان تناوب الصلاة الجامعة فيها قائماً حتى أفتى الفقهاء بجواز إقامة أكثر من صلاة



جامعة في المدينة فتعددت الخطبة وكثرت المساجد الجامعة كثرة واضحة مع بداية العصر المملوكي، وكان لهذه الكثرة أثرها في انفكاك تأثير المسجد الجامع في تخطيط شوارع امتدادات المدينة بعد ذلك(١٦)، أي أن توسط المسجد الجامع بالمدينة الإسلامية كان في الوقت الذي اقتصرت فيه المدينة على خطبة واحدة.

والجدير ذكره هنا أن نتعرض باختصار للآراء الفقهية التي دارت بين بعض الفقهاء حول زراعة صحون المساجد التي توضح إلى أي مدى وصلت عناية الفقه الإسلامي بالاهتمام بأدق التفاصيل المتعلقة بتنسيق المواقع وتصميم المساجد، فمذهب الإمام الأوزاعي هو أول المذاهب الإسلامية التي أجازت زرع صحون المساجد(١٧)، وفي إطار هذا التصريح كان زرع صحون بعض المساجد بالشام ثم بالأندلس.

وقد أحدث هذا الأمر رد فعل لدى كثير من الفقهاء الذين كان لهم رأي يخالف ما ذهب إليه الأوزاعي، فقد جاء في «حواشي الدر» أن العلامة «ابن أمير حاج حنفي» ألف رسالة رد فيها على من جوَّز غرس الشجر في المسجد قال فيها:(١٨) «لأن فيه شغل ما أعد للصلاة ونحوها وإن كان المسجد واسعاً أو كان في الغرس نفع بثمرته، ولا يجوز إبقاؤه لقوله عليه الصلاة والسلام: «ليس لعرق ظالم حق»(١٩)، لأن الظلم في وضع الشيء في غير محله وغرس الشجر في صحن المسجد ينطبق عليه ذلك».

ووافقه المحقق «ابن أبي شريف الشافعي» في كتاب «الإقناع» وشرحه في كتب الحنابلة بقوله(٢٠): «يحرم غرس شجر في مسجد لأن منفعته مستحقة للصلاة فتعطيلها عدوان فإن فعل قلعت الشجرة فإن لم تقلع فثمرها لمساكين المسجد وغيرهم».

لقد تعدى اهتمام الفقهاء والقضاة المسلمين الجوانب المادية أو التنظيمية للعمران الإسلامي إلى الجوانب الأخلاقية والدينية أيضاً، فمن المهام التي كانت تندرج تحت مسؤوليات المحتسب إزالة وهدم مباني الفساد بالمدن الإسلامية، وهو يدخل تحت باب إزالة المنكر، ومن تطبيقات ذلك ما فعله «علي أغا» في مصر، فقد أزال خمارات وبوُظ بيوت الخواطي في مناطق بولاق والصليبية ومصر القديمة، وكان السيوطي أحد فقهاء مصر المعروفين في العصر المملوكي قد استفتي في هدم هذا النوع من المنشآت فأفتى بهدمها لإزالة المنكر(٢١).

إن الأمثلة القليلة السابقة التي أوردناها فيها أبلغ دليل على مدى تأثير تطبيق أحكام وتعاليم الإسلام على العمران والبنيان في المدن الإسلامية القديمة، حيث كانت الشريعة الإسلامية قيد التطبيق في جميع مناحي الحياة، وهو ما يحدو بالقائمين على شؤون العمارة والتعمير في المجتمعات الإسلامية المعاصرة أن يستفيدوا من هذه التعاليم التي لا تزال صالحة لعمارة الأرض لليوم كما كانت صالحة بالأمس، بالرغم من حدوث بعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتقدم التقني والذي ربما يكون له تأثير على المظهر والشكل الخارجي للبيئة المبنية، ولكن تظل الأسس والمعايير التصميمية للعمران والبنيان في المجتمعات الإسلامية المعاصرة في حاجة لمثل هذه الأحكام والضوابط الشرعية ●

الهوامش

١ ـ انظر سنن ابن ماجة، كتاب «الأحكام».
٢ ـ عزب، خالد (١٩٩٧م)، فقه العمارة الإسلامية، دار النشر للجامعات، القاهرة.
٣ ـ حسن، عبدالملك (١٩٨٦م. تأثير الشريعة الإسلامية على المظهر العمراني للمدينة، مجلة عالم البناء، عدد (٧١)، القاهرة.
٤ ـ عزب: المرجع السابق.
٥ ـ الهذلول، صالح (١٩٨٤م)، التحكم في استعمالات الأراضي في المدينة العربية الإسلامية، سجل أبحاث ندوة «الإسكان في المدينة الإسلامية»، ص٢٨٥: ٢٩٢، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، جدة.
٦ ـ الهذلول: المرجع السابق.
٧ ـ عثمان، محمد عبدالستار (١٩٨٨م). المدينة الإسلامية (سلسلة عالم المعرفة). المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
٨ ـ عزب: المرجع السابق.
٩ ـ عزب: المرجع السابق.
١٠ ـ حسين: المرجع السابق.
١١ ـ الهذلول: المرجع السابق.
١٢ ـ الهذلول: المرجع السابق.
١٣ ـ الفحام، إبراهيم محمد (١٩٨٤م)، العناية بتنظيم استخدام الطرق وتأمينها في الإسلام، مجلة الضياء.
١٤ ـ عثمان: المرجع السابق.
١٥ ـ عثمان: المرجع السابق.
١٦ ـ عثمان: المرجع السابق.
١٧ ـ عثمان، عبدالستار، وعيد، محمد عبدالسميع (١٩٩٩م)، دراسة لإمكانية استخدام المسطحات الخضراء في التشكيل العمراني للمساجد، من سجل أبحاث ندوة «عمارة المساجد» المجلد الثالث، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، الرياض.
١٨ ـ وزيري، يحيى (١٩٩٩)، تأثير المنهج الإسلامي على عمارة المساجد، من سجل أبحاث ندوة «عمارة المساجد» المجلد العاشر: ص١٨:٩، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، الرياض.
١٩ ـ انظر سنن الترمذي، كتاب الأحكام.
٢٠ ـ وانلي، خير الدين (١٩٨٠م)، المسجد في الإسلام، دمشق.
٢١ ـ عزب: المرجع السابق.





جماليات اسلامية

الوعي الجمالي الإسلامي الجانب التفكري والإيماني

بقلم: عبدالفتاح رواس قلعه جي

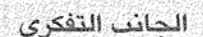
الوعي الجمالي الإسلامي يسير في طريق ينقسم إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: المعرفة والاكتشاف ووسيلتهما التفكر.

المرحلة الثانية: الإيمان ووسيلته الإدراك.

المرحلة الثالثة: الإبداع ووسيلة الفن.

وسنعرض لجانبين من جوانب الجمال الإسلامي وهما: الجانب التفكري والجانب الإيماني، ثم نفرد الجانب الفني ببحث مستقل.



ليس هنالك من جمال مستقل بنفسه عن العين الرائية، معزول عن المستجمل إلا مطلق الجمال - الله.

وطالب الجمال يبلغ غاية الطلب حين يكون متفكراً بهذا الجمال، يثير النظر إلى الجمالات في نفسه، هذه الأسئلة: كيف، لماذا، من؟ وهذه الأسئلة هي بوابات المعرفة.

(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت) الغاشية:١٧-١٩.

(فلينظر الإنسان مم خلق) الطارق:٥.

(أمَّن خلق السموات والأرض) النمل:٦٠.

تمام جمال الأحياء في كيفية خلقها، ما كانت العلوم المختلفة التي تتناول الجسد ووظائفه،



١ ـ التذكر: والمقصود هنا أن يعود الإنسان إلى موقف الفطرة الأولى التي فطره الله عليها وهي الإيمان، ويتذكر الميثاق الأول والقديم بينه وبين الله.

(واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به) المائدة:٧.

٢ ـ التواشج: من خلال إقامة علاقة حركية إيجابية دائمة بين الإنسان كذات عاقلة والعالم كموضوع، بما فيه الإنسان كموضوع أيضاً، وصولاً إلى إدراك كنه الخلق وغايته.

التفكر في الجمال إذن يحقق لذة جمالية عند المتفكر، كما يحقق له حرية أوسع من التفكير والتأمل، إنه فعل حركي حر فاعل ونشيط.

يستعرض القرآن الكريم الجماليات الكونية مرتبطة بوظائفها ليثير في نفس الإنسان حركة عقلية منتهياً به إلى ضرورة التفكر المؤدي إلى طريق اليقين.

والجماليات التي يستعرضها ليست خيالية أو غرائزية أو محدودة، وإنما هي جماليات واقعية، كلية، سامية تزود المرء برؤية كونية.

(الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخَّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبِّر الأمر يفصِّل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون. وهو الذي مدَّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرا جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) سورة الرعد، الآية ٢ ـ ٣.

والنص القرآني نفسه هو أحد موضوعات الجمال يدعو الإنسان إلى

أن اللفظة التي يتكرر استعمالها في لغة الخطاب هي «يتفكرون»، ولم تستعمل لغة الخطاب لفظة «يفكرون» ألبتة لما فيها من قيمة ارتكاسية ذاتية سلبية، كما أن التفكر يتميز أيضاً عن التأمل الذي هو أقرب إلى الذاتي السكوني منه إلى الفعل الحركي الموضوعي.

(ويتفكرون في خلق السموات والأرض) آل عمران:١٩١.

والخطاب القرآني في هذا المجال يؤكد، ويكرر الآية التالية:

(إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الرعد:٣.

ذلك أن في «التفكر» خطاب المخصوص:

١ ـ الإنسان الباحث عن الحقيقة.

٢ ـ الحقيقة التي يجب أن يسعى إليها الإنسان.

وفي «التفكر» قيمتان جماليتان معرفيتان هما:

والنفس وتكوينها، إلا لتحيط بكيفية هذا الخلق، وبالرغم من تقدمها المذهل فإنها مازالت في كل يوم تكشف شيئاً جديداً في كيفية هذا الخلق.

وتمام جمال السماء في عمارتها الكونية من غير عمد مرئية، تربطها قوانين دقيقة في التجاذب والكتلة والسرعة رغم ملايين السنين الضوئية التي تفصل النجوم عن بعضها بعضاً، وبعد كل ما قطعته علوم الفضاء من أشواط في اكتشاف الكون فإن طريق البحث والاكتشاف مازالت طويلة.

وتمام جمال الأشياء كلها في كيفية خلقها، وإدراك كيفية هذا الخلق تنكشف للإنسان مهمة هذا الخلق.

وفي القرآن الكريم دعوة ملحة للإنسان إلى البحث والاكتشاف لما فيهما من قيمة جمالية فكرية، والعائد إلى الآيات الكريمة التي يخاطب الله فيها عباده حاضاً إياهم على البحث والمعرفة، يجد



جماليات اسلامية

التفكر واستكناه ما فيه من قيم جمالية تعبيرية وتصويرية، وإشارات معرفية ينكشف الغطاء عن سيمائياتها مع تقدم العلوم والمعارف الإنسانية.

(ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين) الحجر: ١٦.

(ألم نجعل الأرض مهاداً. والجبال أوتاداً) النبأ:٦-٧.

(وورث سليمان داود وقال يأيها الناس عُلِّمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء... إلى قوله تعالى: فتبسم ضاحكاً من قولها) النمل:١٦-حتى بداية الآية ١٨ من السورة نفسها.

(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً) يونس:٥.

ما كنا في هذه الآيات وغيرها لندرك ما فيها من سيمائيات معرفية وعلمية وجمالية لولا تقدم العلوم والمعارف وظهور النظريات الحديثة كنظرية «فاجنر» في انسياح القارات ودور الجبال كأوتاد في تثبيت طبقة السيال - القشرة الأرضية - على السيما، أو الدراسات الحديثة لعلماء الحيوان حول اكتشافهم للكودات اللغوية الصوتية والإشارية التي تتخاطب بها الحيوانات، أو اكتشافهم أن الشمس بما يحدث فيها من تفاعلات نووية هي مصدر الضوء: أما القمر فهو نور، شأنه شأن الأرض، جسم بارد، يتلقى الفوتونات الضوئية من الشمس. كما أن ظهور الكمبيوتر، والتقدم العلمي التكنولوجي المذهل في العصر دفعا باحثاً كالدكتور رشاد خليفة(١) إلى أن «يتفكر» في نصوص الآيات ١١ - ٣٠ من سورة المدثر والمنتهية بقوله تعالى: (عليها تسعة عشر) فيقدم بحثاً قيماً وكشفاً غالياً في مضاعفات العدد «١٩» في القرآن، وهذا العدد هو مجموع أحرف البسملة. ومثل هذه المحاولات على اختلاف في المنهج، ظهرت عن المتصوفة - العرفانيين، والغلاة في - العرفانيين، والغلاة في المذاهب الإسلامية المنحرفة كالحروفيين. ومثل مبحث الدكتور خليفة يدخل في مباحث «علم الجمال السيبرنيتي» Cybernetic Aesthetics المستند إلى معطيات علم الإعلام -infor matique الذي يبحث في الموضوعات الجمالية سواء أكانت طبيعية من صنع الإنسان بالوسائل السيمائية والرياضية بعيداً عن الفلسفة التقليدية وما ورائياتها، لأن ما يهمه هو الحيثيات الرياضية والتكنولوجية.

خلاصة القول: إن النص القرآني نفسه بمعطياته الفنية التي لا تنفد - (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر

يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) لقمان: ٢٧ ونظامه السيمائي - المعرفي الجمالي - هو دعوة للإنسان إلى التفكر. لأن التفكر هو السبيل إلى الوصول للعلوم والمعارف التي تنتهي في نقطة النور - الإيمان -.

(إنما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر: ٢٨.

النظر إلى الجمال في الإسلام حركة معرفية يرقى بها الإنسان إلى الكشف عن أسرار الخلق والاستزادة من العلوم والمعارف لينتهي إلى معرفة الخالق. والوعي الجمالي الإسلامي هو وعي معرفي سبيله التفكر، وهذا التفكر يقودنا إلى الجانب الثاني من الجمال وهو الجانب الإيماني.

الجانب الإيماني:

يقود التفكر في جمالات الكائنات والأشياء إلى غاية التفكر نفسه وهو الإيمان بالله عن طريق المعرفة الصحيحة، فإذا انتهى إليه المرء جمع بين سعادتين: سعادة الجمال، وسعادة الإيمان.

معرفة المرء للكلي الجمال - الله - من خلال تفكره بجمالات الخلق، وإيمانه بالحق مبدع جمالات الخلق ترتد ثانية إلى النفس والأشياء ارتداداً إيمانياً فيزداد وعيه الجمالي بها، وبإدراكه جديد أسرارها الجمالية فإنه يراها أكثر حسناً، لأنه يرى تجليات الخالق فيها، وجمال صنعه، وحسن ألطافه، ويرتد هذا الوعي الجمالي المسلح بالمعرفة المستنيرة، مرة ثانية، إلى الأعلى الكلي الجمالي فيزداد إيماناً به. وهكذا يكون المرء من خلال عمليات الارتداد الأرضية السماوية هذه في بحث دائم عن أسرار الجمال والكون، وتتحقق لديه سعادة الاكتشاف الجديد من خلال سعادة الإيمان.

هذه المسألة تزداد بحكم الصلة بين الإنسان والأشياء كروحين تتبادلان التواد والمرحمة، وتجتمعان على التسبيح، فكل الأشياء، وليس الكائنات الحية فحسب، ذات طبيعة روحية خاصة بها.

(وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) الإسراء: ٤٤.

ويزداد الوعي بجمال النفس وجمال العالم بازدياد فاعلية الارتداد الإيماني وتظهر تجلياته في جوانب عديدة من النفس والحياة.

والفعل النفسي قد يكون قبيحاً أو جميلاً.

والفعل الاجتماعي قد يكون قبيحاً أو جميلاً.

ومن ارتفعت نفسه إلى مستوى النفس الجميلة استطاع أن يرى الجمال في الأشياء، واستطاع أن يصنع الفعل الجميل:

(فتعالين امتعكن واسرحكن سراحاً جميلاً) الأحزاب: ٢٨.

(فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف) البقرة: ٢٣١.

(فاصفح الصفح الجميل) الحجر: ٨٥.

(فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً) المزمل: ١٠.

(فاصبر صبراً جميلاً) المعارج: ٥.

والمولد لهذه الأفعال الجميلة هو الإيمان بالله، إن الإيمان وحده هو القادر على أن يحول فعلاً هو في الأصل قبيح فيه قطع وإلغاء، مثل فعل الطلاق إلى فعل جميل فيه وصل واتصال، وهذا يستفاد من موقع ودلالة اللفظتين في الآيتين الأولى والثانية (جميلاً، بمعروف).

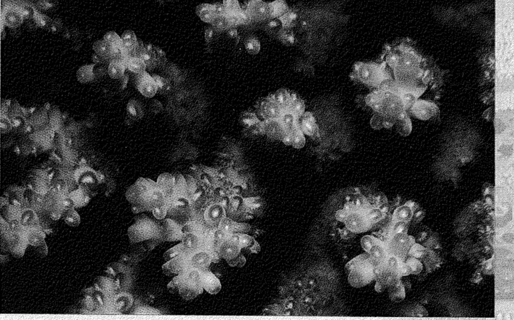
العلاقات الإنسانية النبيلة هي من موضوعات الجمال ومظاهره، والإيمان وحده الذي يحافظ على استمرار هذه العلاقات حتى في أعلى درجات تأزمها: التسريح، والهجر، والأذى.

الإنسان هو أعلى قيمة جمالية في الكون فطرها الله، والأصل في خلقه أنه الجسد والروح خلق في أعلى درجات الجمال (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) التين: ٤. بذا فهو وحده المؤهل ليكون خليفة «لكلي الجمال» في الأرض، وبعد هذه الفطرة الأولى «كل مولود يولد على الفطرة» حديث نبوي. يبقى معرضاً لأحد ارتدادين، الأول هو الارتداد القبيح (ثم رددناه أسفل سافلين) التين: ٥.

أي أن طبيعة الارتداد مرتبطة بقيمتين جماليتين تجمعان النفس والحياة معاً هما:

١ - الإيمان.

ألا بذكر الله تطمئن القلوب



جماليات اسلامية

العلاقات الإنسانية النبيلة هي من موضوعات الجمال ومظاهره، والإيمان وحده الذي يحافظ على استمرار هذه العلاقات حتى في أعلى درجات تأزمه

٢ ـ الفعل الاجتماعي.

وإذا كان الإنسان هو أعلى قيمة جمالية في الكون فطرها الله، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم هو النموذج الأعلى لهذه القيمة الجمالية لما انفرد به من أفعال الجمال النفسية والاجتماعية:

(ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) آل عمران:١٥٩.

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) التوبة:١٢٨.

(إنه لقول رسول كريم. ذي قوة عند ذي العرش مكين) التكوير:١٩ـ٢٠.

إن الإيمان بالله وما ينجم عنه من منظومات أخلاقية نبيلة وعلاقات حياتية، وإن اللاإيمان وما ينجم عنه أيضاً، قضية جمالية بقدر ما هي فكرية أيضاً، في الإيمان الحق يكون الجمال وفي اللاإيمان يكون القبح، وهما حدا الجمال: الايجابي والسلبي.

لابد لكل إنسان: مفكر أو أديب أو فنان، أو من العامة، أن يؤمن بشيء ما، قضية ما، فكرة ما، ليكون لحياته معنى ولنتاجه قيمة، وما يؤمن به الأديب أو المفكر أو الفنان يكون مادة إبداعه، وقيم الجمال ونسبه تختلف باختلاف ما يؤمن به الأفراد أو الجماعات، فالعفة والشرف مثلاً في مجتمع يؤمن بالقيم الروحية هما فعلان جميلان، ولكنهما في مجتمع لا يؤمن إلا بالقيم المادية، أو الذرائعية، هما فعلان قبيحان. والدفاع عن الوطن والمطالبة بالحق المشروع والحرية هما فعلان جميلان في مجتمع يعاني من الاحتلال، ولكنهما فعلان قبيحان وضرب من الإرهاب من وجهة نظر المستعمر ومقاييسه الجمالية.

إذاً لابد من البحث عن وحدة قياسية عامة ومشتركة بها توزن جمالات الأشياء وتقاس.

والايمان بالله ـ وحده ـ الذي يعطينا هذه الوحدة القياسية العامة والمشتركة ورغم أنها تكاد تكون واحدة في جميع الديانات التوحيدية والسامية إلا أنها بلغت في الإسلام حد الكمال ●

الهوامش

١ ـ عليها تسعة عشر، الإعجاز العددي في القرآن، د.رشاد خليفة.
٢ ـ حديث نبوي.

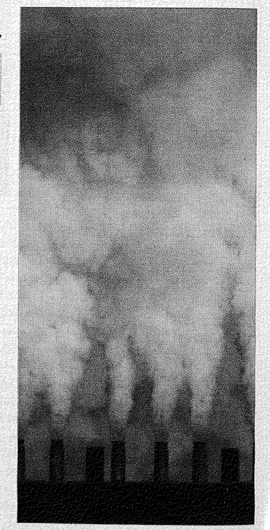




بيئة

مراعاة العوامل البيئية في العمارة الإسلامية

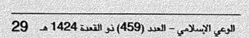
بقلم: م.محمد عبدالقادر الفقي



يحظى التقويم البيئي للمشروعات العمرانية الجديدة باهتمام مخططي المدن والتجمعات الحضرية في العصر الحاضر، وبناء على هذا التقويم يتم اتخاذ القرار الخاص بالبدء في تنفيذ هذه المشروعات أو إلغاء فكرتها من الأساس.

وقد يبدو للكثيرين منًا أن مراعاة العوامل البيئية في التخطيط العمراني مسألة وليدة الظروف المعاصرة، ولا سيما بعد أن تفاقمت مشكلات البيئة في المدن الصناعية، وبعد أن ازداد الحديث عن قضايا التلوث.

والقارئ لتراثنا الإسلامي يجد أن الاعتبارات البيئية كانت في مقدم الاعتبارات التي أخذت في الحسبان عند التخطيط لإنشاء مدن جديدة، أو للتوسع العمراني حول المدن القائمة، أو عند تصميم المباني.



جماليات اسلامية

حرص المسلمون عند تأسيس المدن على اختيار الأماكن التي تلائم طبيعة السكان ومزاجهم، والتي توافق طبيعة أبدانهم

بناء مسجد قباء ونقل وباء المدينة

وإذا عدنا إلى صدر الإسلام فسنجد أن أهل المدينة المنورة اختاروا الموقع ذي الأجواء النقية لإقامة منازلهم، ففضلوا السكنى في «العالية» و«قباء» على «السافلة» وهي الجهة الشمالية الغربية من المدينة.

ولعلها التفاتة طيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يشيِّد أول مسجد في الإسلام في «قباء» ذات الموقع الطيب.

ذكر السمهودي في كتابه «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» حديثاً رواه الطبراني عن جابر بن سمرة قال:

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال لأصحابه: «انطلقوا بنا إلى أهل قباء نسلم عليهم»، فأتاهم فسلم عليهم، فرحبوا به.. ثم قال: «يا أهل قباء: ائتوني بأحجار من هذه الحرة، فجمعت عنده أحجار كثيرة، ومعه عنزة له «والعنزة ـ بفتح العين والنون والزاي ـ عصا تشبه نصف الرمح لها سنان مثل سنانة»، فخطّ قبلتهم، فأخذ حجراً فوضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «يا أبا بكر، خذ حجراً فضعه إلى حجري»، ثم قال: «يا عمر، خذ حجراً فضعه إلى جنب حجر أبي بكر»، ثم قال: «يا عثمان، خذ حجراً فضعه إلى جنب حجر عمر»، ثم التفت إلى الناس فقال: «ليضع كل رجل حجره حيث أحب على ذلك الخط»(١).

وكانت المدينة شهيرة بانتشار الوباء فيها، وقد روى ابن إسحاق عن هشام بن عروة قال: كان وباؤها معروفاً في الجاهلية.

وفي «دلائل النبوة» من طريق هشام عن أبيه عن عائشة قالت: «قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أوبأ أرض الله، وواديها بطحان نجل يجري عليه الأثل»(٢).

«وبطحان من أودية المدينة، والنجل: الماء الآسن المتغير لونه وطعمه».

ولهذا، دعا الرسول صلى الله عليه وسلم ربه أن «يصحح» المدينة للمسلمين، وأن ينقل وباء الحمى منها إلى الجحفة «وكان أهل الجحفة إذ ذاك يهوداً».

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قدمنا إلى المدينة وهي وبيَّة فاشتكى أبوبكر واشتكى بلال، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوى أصحابه قال: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها، وحول حمّاها إلى الجحفة» رواه مسلم.

وقد ورد هذا الحديث في البخاري عن عائشة أنها قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وُعِكَ أبوبكر وبلال رضي الله عنهما وكان أبوبكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله
والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه «أي ذهب عنه أثر الحمى» يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة
وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مُدِّنا، وصححها لنا، وانقل حُمَّاها إلى الجحفة».

قال النووي: «وهذا علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم، فإن الجحفة من يومئذ وبيئة، ولا يشرب أحد من مائها إلا حُمَّ».

وإذا كان «تحويل الوباء من أعظم المعجزات»(٣) على حد تعبير السمهودي، فإنه يدل أيضاً على أن الرسول صلى الله عليه وسلم «بالمؤمنين رؤف رحيم»، وليس أدل على ذلك من دعائه صلى الله عليه وسلم - ربه أن ينقل عن حاضرة الإسلام ما فيها من وباء، ولا سيما أنه كان يتعذر على المهاجرين في ذلك الوقت الإقامة في موضع آخر بشبه الجزيرة العربية لا يفتنون فيه عن دينهم الذي ارتضوه.

وحينما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كانت أسواقها التجارية بيد اليهود، أو كان معظمها كذلك، وكان أضخم أسواقها وأكثرها أهمية سوق بني قينقاع، وقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يجعل للمسلمين سوقاً خاصة بهم، وكره أن يجعل سوق المسلمين في موقع سوق بني قينقاع بعد إجلائهم، فاختار صلوات الله وسلامه عليه منطقة فضاء تقع غربي المسجد النبوي، وتمتد من الشمال إلى الجنوب، ويقدر طوها بخمسمئة متر تقريباً، وعرضها أكثر من مئة متر «وهي المنطقة التي تسمى الآن بالمناخة»، فجعلها سوقاً للمسلمين، وكانت بعض الأراضي المجاورة لبني ساعدة فيها مقابرهم، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتنازلوا عنها للسوق ففعلوا، ازدادت مساحة السوق وصارت تكفي أهل المدينة والوافدين إليها من الجوار والقوافل القادمة من الجهات البعيدة.

ولا شك أن اختيار موقع السوق في أرض فضاء بعيدة عن السكن تعطي التجار القادمين وإبلهم فرصة أكبر للحركة، وتحفظ البيوت من ضوضاء البيع والشراء وجلبة السوق، وما تسببه المخلفات من روائح مؤذية أحياناً.

وما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم في اختيار موقع سوق المدينة هو عين ما يفعله مخططو المدن في العصر الحديث، حيث يقومون بوضع الأسواق في أطراف المدن لتكون بعيدة عن المنازل ، وحتى لا يؤثر التلوث الناجم عنها في سكان المدن.

ومع ازدياد تعداد سكان المدينة المنورة، اتجهت الأنظار إلى تشييد المباني في وادي العقيق وتفضيل السكنى فيه على ما سواه لما يتميز به من نقاء في الهواء وارتفاع في المكان.

وقد بدأت حركة البناء في العقيق منذ أواخر الخلافة الراشدة، لكنها اشتدت في العصر الأموي، وغطت ضفافه وعرصاته حتى لم يبق فيه موضع لبناء قصر.

وكانت القصور التي تبنى فيه تقام على أرض واسعة، ولكل قصر حديقة أو بستان كبير يغرس فيه صاحبه أنواعاً مختلفة من أشجار النخيل، ويزرع فيه بعض البقول والخضراوات والفاكهة، وقد أورد المؤرخون أسماء عدد كبير من القصور التي شيدت في العقيق، مثل قصر عروة بن الزبير، وقصر مروان بن الحكم، وقصر سعد بن أبي وقاص، وقصر عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان، وقصر عبدالله بن أبي بكر، وقصر سعيد بن العاص، وقد حفظ لنا الشعر قصائد كثيرة عن هذه القصور، كقول أبي قطيفة عمر بن الوليد بن عقبة في قصر سعيد بن العاص:

والقصر ذو النخل فالجماء بينهما
أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

ولتنظيم العمران في العقيق كانت إقطاعات الأراضي فيه بيد الخليفة مباشرة، لا يستطيع أحد أن يمتلك موقع قصر أو مزرعة إلا باقتطاع منه.

مراعاة العوامل البيئية في تصميم المدن وتخطيطها

حرص المسلمون عند تأسيس المدن على اختيار الأماكن التي تلائم طبيعة السكان ومزاجهم، والتي توافق طبيعة أبدانهم، وفي الوقت نفسه تكون في مواضع صحية خالية من الحشرات و«بعيدة عن المباق والهوام، غير موبوءة ولا وخم فيها، وان تكون مناظرها مما ترتاح له النفس»(٤).

ولقد كان هذا السبب عاملاً رئيساً في انتقال المسلمين من المدائن عاصمة كسرى، رغم أنها كانت تحفة العصر وواسطة العقد حتى إن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - حين دخلها ووجد ما كانت تزخر به من الحدائق والقصور قال بعد أن نزل القصر الأبيض: (كم تركوا من جنات وعيون. وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قوماً آخرين) الدخان: ٢٤ - ٢٨.

ومع كل ما هيئت به المدائن من وسائل الترف والنعيم، وكل ما حوت من الحدائق والقصور، إلا أنها لم تناسب طبيعة العرب، فقد تغيرت ألوانهم وهزلت أجسامهم وخفت لحومهم حينما نزلوا بها، ولهذا، عندما علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بما آل إليه وضع المسلمين الصحي في المدائن، أدرك بذكائه الفطري المعهود أهمية العامل البيئي في اختيار الموضع الذي يصلح لنزول العرب المجاهدين حتى يظلوا محتفظين بنشاطهم وقوتهم وحيويتهم التي خرجوا بها من الصحراء، وأدرك أيضاً بثاقب فكره أنه لا تصلح للعرب إلا بيئة جغرافية تشبه البيئة التي خرجوا منها، فكتب إلى سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - موضحاً له: «إن العرب بمنزلة الإبل، لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل، فارتد لهم موضعاً عدنا، ولا تجعل بيني وبينهم بحراً»(٥).

جماليات اسلامية

دعا الرسول صلى الله عليه وسلم ربه أن يصحح المدينة للمسلمين. وأن ينقل وباء الحمى منها إلى الجحفة

وكانت هذه وصية رسمية تلزم سعداً بأن يتحول من هذا المكان الموبوء إلى موضع آخر تتوافر فيه الشروط التي ذكرها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ففكر بالأنبار الواقعة على الضفة الغربية للفرات، حيث لا توجد فواصل بينها وبين الجزيرة «وأراد أن يتخذها منزلاً، فكثر على الناس الذباب، فتحول إلى موضع آخر، فلم يصلح، فتحول إلى الكوفة فاختطها»(٦).

ويذكر المؤرخون سبباً لطيفاً لاختيار موقع الكوفة: «فخرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم، فانتهو إلى الظهر حيث ينبت الخزامى والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق فاختطوا المدينة». فوجود مثل هذه النباتات البرية والنامية في الموقع دليل على نظافة الهواء بالموقع، بالإضافة إلى إمكانية وجود الماء فيه.

ولعل ما فعله أبوجعفر المنصور حين اختار موقع بغداد لدليل علمي على مراعاة العوامل البيئية بعامة، وطيب الهواء بخاصة، في تخير مواقع المدن. يذكر الطبري في (تاريخ الرسل والملوك) أن الخليفة العباسي خرج إلى الموقع وبات فيه، وكرر نظره فيه فرآه موضعاً طيباً موافقاً. ولم يكتف أبوجعفر المنصور بذلك، بل استقصى الأمر من السكان، وكيف هو في الحر والبرد والأمطار والوصول والبق والهوام فأخبره كل واحد بما عنده، وزيادة في الاستقصاء، وجّه الخليفة رجالاً من قبله، وأمر كل واحد منهم أن يبيت في قرية من القرى المحيطة بالموقع، فبات كل رجل في قرية وأتاه منها بخبرها.

ويروى عن أبي بكر الرازي، الطبيب الشهير «المتوفى سنة ٣١٣هـ» قصة شهيرة تدل على اهتمامه بتأثير التلوث الهوائي، فقد استشاره عضد الدولة بن بويه في اختيار موقع للبيمارستان «المستشفى» العضدي ببغداد، فما كان من هذا العالم الكبير إلا أن ذهب إلى نواح عدة في عاصمة الخلافة العباسية لينتخب أصحها هواء وأطيبها جواً، وحتى يقف على أنسب الأماكن الملائمة لتشييد البيمارستان فقد أمر بعض الغلمان أن يعلق في كل ناحية من أنحاء بغداد قطعة من اللحم، والموضع الذي بقيت فيه قطعة اللحم أطول مدة دون أن تفسد اختاره لبناء البيمارستان، وتم ذلك فعلاً.

ويذكر أبوالحسن علي بن محمد الماوردي «المتوفى سنة ٤٥٠هـ» في كتابه «تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك» شروطاً عدة يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند إنشاء الأمصار، منها: «اعتدال المكان الموافق لصحة الهواء»، وهو يعني بذلك سلامة الظروف المناخية المحلية ممثلة في صحة الهواء وخلو المكان مما يعيبه من الملوثات والعفونات والروائح الكريهة وما من شأنه أن يؤدي إلى حدوث الأوبئة وانتشار الأمراض.

وأكد «ابن الربيع» على ذلك أيضاً، فاشترط اعتدال الجو وجودة الهواء، وأن يكون الموقع بعيداً عن مناطق ركود الهواء، ذلك الركود الذي «يساعد على تعفن الأجسام وانتشار الحميات».

منع الضرر

من المبادئ البيئية التي روعيت في تخطيط المدن الإسلامية وتصميمها وبنائها ذلك المبدأ الذي نص عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار» أخرجه مالك في الموطأ، ورواه أحمد في مسنده، وابن ماجة والدارقطني والحاكم والبيهقي.

وقد تجلى تطبيق هذا المبدأ في

محاولة المخططين المعماريين الإسلاميين منع الضرر عن سكان المدن، وذلك بنقل الصناعات التي تندر الحاجة إليها خارج المدن لتجنب ما ينجم عنها من ضوضاء أو روائح كريهة أو دخان.

ولذلك، نجد أن الصناعات الكبيرة - مثل مصانع مواد البناء - كانت تقع دائماً خارج أسوار المدينة الإسلامية، كما كان الحال في المدينة المنورة، حيث كانت مصانع مواد البناء والفخار موجودة في الجهة الجنوبية الغربيةخارج بوابة قباء، في حين كانت بعض المصانع الأخرى موجودة خارج بوابة الشامي في الشمال.

ومن كتب الفقه التي اهتمت بأحكام نفي الضرر الناجم عن المباني كتاب «الإعلان بأحكام البنيان» لابن الرامي «المتوفى سنة ٧٣٤هـ».

وقد وضح ابن الرامي أن الضرر يتأتى من الدخان والرائحة والضوضاء، وسوء استعمال الطريق، والنظر من الكوى والأبواب، أما الضرر من الدخان فينقسم إلى قسمين:

الأول: دخان التنور والمطابخ، وهذا لا يُمنع لعدم إمكانية الاستغناء عن مسبباته، وهي عملية الطبخ.

والثاني: دخان الحمامات والأفران، وهذا يمنع لأنه يتسبب في إلحاق الضرر بالسكان المجاورين لمصدر الدخان، ولهذا يجب أن تكون الحمامات والأفران خارج المناطق السكنية لتفادي إحداث الضرر.

وكذلك الأمر بالنسبة للرائحة، فيمنع إحداث مدابغ الجلود داخل المناطق السكنية نظراً لما تسببه من روائح كريهة.

وينطبق ذلك على مصادر الضوضاء، فلا يجوز ممارسة أعمال داخل الدور تسبب الضوضاء، إذ ربما تنتج منها اهتزازات تؤدي إلى انهيار الدور المجاورة، بالإضافة إى ما تحدثه من إزعاج لسكان المنازل المجاورة.

كما يمنع بروز البناء على الطريق النافذ لما يحدثه من اعتداء على حرم الطريق، وإعاقة الحركة فيه.

مراعاة العوامل البيئية في تصميم المباني

حرص المعماريون الإسلاميون على مراعاة العوامل البيئية في تصميم المباني، فقد أخذت التهوية في الاعتبار، وكذلك تلطيف الجو، واستخدموا لتحقيق ذلك الملاقف وأبراج التهوية التي تتحكم في حركة الهواء داخل المباني.

وقد أسهم علماء المسلمين بفكرهم في وضع الأسس البيئية لبناء المساكن.

فابن سينا في كتابه «القانون في الطب» يوضح لنا أنواع المساكن تبعاً لموقعها الجغرافي، ويعرض للعوامل البيئية التي تؤثر فيها، ويخلص إلى أن أماكن المساكن يجب أن تكون في ناحية المشرق، وأن يتم توجيه فتحاتها من أبواب وشبابيك باتجاه شرق الشمال لتمكين الرياح الشرقية - وهي الأكثر نقاء وصفاء - من الدخول إلى الأبنية، وكذلك تمكين الشمس من الوصول إلى كل موضع فيها.

ويذكر «الجاحظ» في كتابه «البخلاء» معاير تصميم البيوت، من خلال وصفه لبيوت البصرة في عصره، كتخصيص مكان للبالوعة «المرحاض»، وآخر للغسيل ومكانه فناء الدار، ووضع المطبخ على السطح لتفادي الروائح التي تنبعث منه من أن تنتشر داخل البيت.

ولقد شارك ابن قتيبة في وضع هذه المعايير، فأشار في كتابه «عيون الأخبار» إلى ضرورة توجيه قسم النوم في الدور إلى الشرق، وأن تكون المجالس في جهة الغرب. كما أشار إلى استعمالات الأراضي وضرورة تخصيص المناطق الشرقية للعمران والمناطق الغربية للبساتين.

واعتنى المعماريون الإسلاميون بالتشجير داخل المباني وفي الشوارع، نظراً لأهمية الأشجار في مقاومة تلوث الهواء وتلطيف درجة الحرارة، بالإضافة إلى شكلها الجمالي، حيث يبعث منظرها على البهجة والسرور ●

الهوامش

١ - السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء الأول، صفحة ٢٥١.
٢ - المرجع السابق، الجزء الأول، صفحة ٥٩.
٣ - المرجع السابق، صفحة ٥٩.
٤ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء الثاني، صفحة ٢٢٣.
٥ - البلاذري، فتوح البلدان، صفحة ٢٧٦.
٦ - المرجع السابق، صفحة ٢٧٥.
٧ - د.عبدالباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٨ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م.
٩ - د.محمد السيد الوكيل، عناية الإسلام بتخطيط المدن وعمارتها، دار الأنصار، القاهرة، ١٤٠٢هـ.
١٠ - مصطفى عباس الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م.
١١ - ابن قتيبة، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، ١٩٣٠م.
١٢ - الجاحظ، البخلاء، المكتبة الثقافية، بيروت.



إلاّ صلاتي

بقلم: أ.د.عبدالمنعم عبدالله حسن

ممكن أن يهون شأن الحياة   من أمور تفوت، إلا.. صلاتي
ما سواها على الفؤاد يسيرٌ   إن شأن الحياة سهل الفوات
يُجبر الكسر إن يفتنى، ولكنْ   إن تفتنى الصلاة تكسر ذاتي
هي دربي إليك في كل وقت   يا إلهي، وعدتي، ونجاتي
تغسل النفس بالضياء فتصفو   وتريني الوجود حلو السمات
فإذا بي مطهَّر النفس، أرقى   لفضاء معطر الحسنات
وأراني مقرباً بين قلبي   وبين رب الورى قويّ الصلات
وأراني القويّ.. أمضي هماماً   لست أخشى الردى ومكر العداة
إنني في حمى الإله، وقلبي   دائم الذكر، واثق في ثبات

• • •

حين يدعو لها المؤذن دوماً   يشرق النور في جميع الجهات
ورضا غامر يعمّ البرايا   وهدى طيب من الله آت
فتلبي القلوب بالشوق سعياً   ظامئات إلى الهدى ظامئات
ترتوي.. فالصلاة نبع طهور   حبذا الارتواء بالصالحات
كل يوم نعبُّ خمساً.. وتربو   حين تتلى الفروض بالنافلات
أي طهر أجلّ من ذاك يمحو   من نفوس الورى دجى السيآت

• • •

في الصلاة الصلاة قرة عين   والأمان الأمان في الصلوات
راحة القلب.. متعة النفس.. نور   يتجلى ومهبط الرحمات
فالصلاة العماد للدين حقاً   إن أقيمت تقم.. وديني حياتي
إن أضعت الصلاة ضعت تباعاً   وتبعثرت كالثرى في الفلاة
أي شيء يشدني عن صلاتي   هو شيء يشدني لِلُمات
أي معنى يكون للمرء يوماً   إن تخلى عن الهدى كالعصاة
تقبل الدنيا علينا.. وتمضي   كل شيء يهون... إلا صلاتي





حـــوار

في شهادته على العصر

د. عبد الحليم عويس: لا معنى للبقاء في خنادق اجتهادات فرعية

الدكتور عبد الحليم عويس واحد من مؤرخي الأمة الذين تركوا بصمات ناصعة سيظل يحفظها له جيلنا والأجيال اللاحقة لأنه أزال الغبار عن الكثير مما اعترى التاريخ الإسلامي من تزوير وتضليل، وفي هذا الحوار مع الوعي الإسلامي (في شهادته على العصر) يقدِّم الدكتور عويس رؤية للتاريخ الإسلامي والتاريخ الحديث. وماذا يمكن أن يقدم الإسلام للحضارة الحديثة؟، وهل العالم مقبل على حوار حضارات أم صراع حضارات؟!، وما موقف المسلم الآن كفرد من الأزمة المعاصرة ومن التحدي العالمي؟.



أجرى الحوار: حسين الجرادي

● اختلفت في القرن الماضي النظرة للتاريخ الإسلامي من مؤرخ لآخر ومن كاتب لآخر فما رؤيتكم للتاريخ الإسلامي عبر العصور المختلفة؟

- تاريخ المسلمين يجب أن ينظر إليه على أنه جهود المسلمين في محاولة تطبيق الإسلام في أرض الواقع على خطا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي كان خُلُقُه القرآن بل كان قرآناً يمشي على الأرض، وكأفراد وجماعات أمكن أن يمثلوا الإسلام عبر كل العصور الإسلامية ولكن على درجات وبنسب متفاوتة ونسبة التمثيل قد تكون في عهد الراشدين تساوي ٩٧٪ مثلاً وفي العصر الأموي في حدود ٩٢٪ مثلاً وتظل النسبة تتحدر في العصور التالية مع وجود عصور أمكن فيها الرجوع إلى نموذج قريب من العصر الراشدي المثالي وخصوصاً في عصر صلاح الدين الأيوبي وفترة عمر بن عبد العزيز وجهود دولة المرابطين في المغرب العربي ومثل كثير من الحركات الجهادية والجماعات المجاهدة التي نشرت الإسلام سلماً في جنوب شرق آسيا وفي أفريقيا، كما أن دولاً كثيرة قامت بجهود جبارة في نشر الإسلام مثل الدولة الغزنوية في الهند، وجهود (أورانك زيب علم كير) في الهند.

وأيضاً لا تخلو فترة المماليك وفترات عثمانية كثيرة من تآلف والتحام بين الدولة والأمة في قضية الدعوة للإسلام.

والقول: إن الإسلام لم يطبق في بعض الفترات يؤدي إلى العدمية وإلى إلغاء الوعي لأننا نتساءل: كيف بقي الإسلام حتى هذا اليوم مع هذه الأقوال الشاذة؟

الحق إن طوائف كثيرة وطبقات كثيرة تماسكت وتمثلت الإسلام

كطبقة المحتسبين وطبقة القضاة والمرابطين على الثغور والدعاة وكانت التجارة والزراعة والصناعة تقوم أيضاً على مبادئ الإسلام العامة في الاقتصاد وكانت الأسرة مبنية على المنهج الإسلامي وكان التعليم إسلامياً في المساجد و الكتاتيب أو المدارس والجامعات وهذا كله عند التحليل السليم نخلص إلى القول: إن الإسلام طُبِّقَ في بعض الفترات ولم يطبق في فترات أخرى، ويؤكد هذا وجود فئات كثيرة أنجزت تراثاً إسلامياً ضخماً وحضارة إسلامية ظلت متألقة أكثر من عشرة قرون هي الحضارة الأولى في العالم بينما كانت أوربا تعيش في ظلام العصور الوسطى وحتى الباباوات أمثال البابا (سلفستر الثاني) تعلموا في جامعات المسلمين في قرطبة وأشبلية وغرناطة.

ويكفي للمقارنة العابرة أن نذكر أن مكتبة (الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر) الذي حكم الأندلس بين سنتي ٣٥٠هـ - ٣٦٦هـ كانت مكتبته تضم ٤٠٠ ألف مجلد بينما كانت أكبر مكتبة في كاتدرائيات أوروبا لا يزيد عدد كتبها عن ١٩٢ كتاباً.

وكانت المدينة ومكة والقاهرة ودمشق وبجاية والقيروان والبصرة والكوفة مدن حافلة بالتيارات الفكرية في كل العلوم. أما إخواننا في الهند فلهم أفضال كثيرة في ميدان علوم الحديث والتفسير و الفلك وكذلك إخواننا في بلاد ما وراء النهر مثل تركستان الشرقية و الغربية كانوا أفضل الناس في جمع حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهكذا عاش الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة إلى أن جاءت الغارة الأوربية على العالم الإسلامي ممثلة في التنصير والمستشرقين فأدخلت قوانينها وفكرها وعُطل تطبيق الشريعة - موقتاً - حتى ظهرتْ الصحوة الإسلامية وحاولت أن تصل الحاضر بالماضي وتصنع حضارة جامعة بين الأصالة والمعاصرة وإن كان بعض رموزها المنسوبين إليها قد أخطأوا الطريق.

والحقيقة أن التنكر لهذا الماضي كما يقول (شكيب أرسلان) إنما يأتي من بعض المرضى والحمقى الذين يريدون أن يقطعوا جذورهم بأجدادهم. فالرجل الشريف لا يفعل هذا لأن الآباء حتى وإن أخطأوا يجب أن نستفيد من أخطائهم دون أن نقطع صلتنا بهم. ومع ذلك فلم نقل يوماً: إن التاريخ الإسلامي تاريخ ملائكة بل قلنا دائماً: إنه تاريخ بشر لكنه أسمى تاريخ للبشر بعد الأنبياء.

● أيضاً كيف ترون سيادتكم التاريخ الحديث؟

- بالنسبة للتاريخ الحديث ولا سيما في القرن الأخير الذي شهد سقوط الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٤م على يد الماسوني «كمال أتاتورك» مروراً بالانقلابات الثورية المعروفة وظهور أحزاب كثيرة تلتقي على التنكر للإسلام وخيانته عقدياً وسياسياً وملء الشارع العربي بالكثير من الشعارات الكاذبة التي كانت بعيدة عن الواقع واستعمال أبشع وسائل العنف مع الأمة المسلمة وفرض أيديولوجيات مبددة للطاقة تنتمي إلى الشرق تارة وإلى الغرب تارة أخرى.

هذه الفترة كلها لعبت فيها الصهيونية والماسونية ألعاباً كثيرة خفية فجندت أحزاباً وأشخاصاً نجحت في إيصالهم إلى الحكم وأحيط بعضهم بهالات كبيرة من المدح وظهر بعضهم وكأنه صنم يُعْبَد من دون الله أو وَثَنٌ، وبدأت أيضاً عملية استدعاء الوثنيات القديمة البابلية والآشورية والفرعونية والطورانية والمذاهب القومية التي يراد لها أن تحل محل الإسلام ويستغنى بها عن الإسلام.

هذه الفترات التي مثّلت القرن المنصرم من الصعب أن تقوَّم تقويماً صحيحاً أو أن تذكر حقائقها الآن لأن بعض الوثائق محجوب عليها الظهور. ففي تركيا مثلاً وبعد مرور أكثر من خمسين سنة ما زال اسم «كمال أتاتورك» صنماً يمنع الكلام عليه كبشر له أخطاؤه ومن يحاول أن يقترب من تاريخ هذا الرجل يتعرض لأقسى العقوبات على غرار فرض اليهود لقوانين معاداة السامية وأيضاً كشف حقيقة «الهولوكست» أو المحارق النازية، فلا يمكن كتابة التاريخ في ظل هذا الإرهاب ولا سيما أن رموزاً كثيرة تنتمي إلى هذه الفترات ما زالت في الحكم، ورموزاً كثيرة تستفيد من هذه الفترات المهلكة التي حاقت بالأمة بالكثير من النكسات والهزائم وأضعفتها في كل بنيتها التي تقوم عليها نهضتها.



وأنا أتحدى من يستطيع أن يكتب التاريخ الحديث بكل وقائعه الحقيقية إذا كان يعيش تحت مظلة هذه النظم، ولعل كاتباً مثل «محمد جلال كشك» هو الذي حاول الاقتراب من هذه المواقع التاريخية الساخنة فكتب كتابه (ثورة يوليو الأميركية) وكتب كتابات أخرى حول القومية والغزو الفكري والماركسية والغزو الفكري لكن هناك تعتيم كامل على كل هذه الكتابات الآن.

● إذن ماذا يمكن أن يقدم الإسلام للحضارة الحديثة؟

- الإسلام لن يقدم للحضارة الحديثة بعض الأدوية المسكنة أو بعض عمليات التجميل والتحسين بل سيقدم أسساً جديدة لبناء عالم جديد بعد أن أوشك هذا العالم على الانهيار بكل جوانبه، فالموازين الثابتة للوجود الإنساني قد اختلت وأصبحت القوة بديلاً للحق وعلى الحق أن يقبل منطق القوة سواء أرضي أم أبى وتلك كارثة إنسانية. وأصبح للشذوذ الإنساني قواعد مقننة.

فاللواط والسحاق تعقد مؤتمرات عالمية من أجل إباحتهما، فهل عرف التاريخ مثل هذا السقوط؟!، ولعل انعقاد مؤتمري السكان في القاهرة وبكين يعتبر ان من أقوى الأدلة على ذلك.

إن ظهور الكيل بمكيالين بوضوح وتبجح على مستوى العالم يعني أن العالم لم يعد مؤهلاً للبقاء فمن شأن هذا الظلم أن ينشئ الأحقاد ويديم الصراع ولعل شياطين الإنس الذين اخترعوا صدام الحضارات إنما يريدون تكريس هذا الصدام والظلم لإبادة الإنسانية وبقاء اليهود وحدهم على الأرض لأنهم هم بنص توراتهم المستحقون وحدهم للحياة وبقية البشر مجرد بقر خلقهم الله لخدمة اليهود كما يقول التلمود.

وقد انقلبت المفاهيم وأصبحت الحرية نوعاً من الحيوانية وأصبحت سيادة الشمال أو الرجل الأبيض أو الأقلية المخترعة أو التي يسمح لها بالاختراع والتي تمثل خمس العالم هي الجديرة بالحياة.

أما الأربعة أخماس، الباقية كما يؤكد كتاب (فخ العولمة) الذي أصدرته سلسلة عالم المعرفة بالكويت وهو لكاتبين ألمانيين، فهم جديرون بالبطالة والاعتماد على الإعانات الخيرية والموت جوعاً ومرضاً.

وهكذا تبدو لوحة المستقبل قاتمة مالم يتدخل الإسلام ليعيد للقيم المطلقة مكانتها وللمفاهيم الإنسانية حدودها وحجمها وليحقق المساواة العالمية امتثالاً لقوله تعالى: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) الحجرات:١٣.

وأيضاً تحقيقاً للعدل والرحمة العالميين لكل الإنسانية امتثالاً لقوله تعالى للنبي الكريم: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء:١٠٧.

وليعد للدين مكانته ودوره في الحياة المعاصرة التي يمكن أن نطلق عليها بشيء من التجاوز (عصر المسيح الدجال) الذي لا ينظر إلا بعين واحدة، هي عين القوة والمصلحة والمادة ويتنكر تماماً للعين الأخرى التي هي عين الروح والحق والأخوة الإنسانية المشتركة.

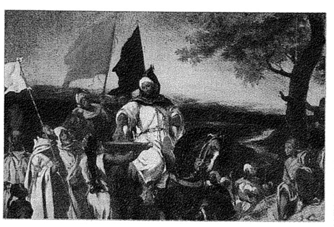
وإذا لم يقم المسلمون بدورهم فسيحاسبهم الله حساباً عسيراً على تفريطهم في الرسالة التي اختارهم الله تعالى لها عندما قال لهم (وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس) البقرة:١٤٣.

● هل هناك حوار حضارات أم صدام حضارات؟

ـ الحياة لا تنتظم إلا بحوار الحضارات والقول بصدام الحضارات محاولة لجر الإنسانية إلى ازدهار الحروب وهي ما يؤمن به اليهود لأنهم تجارها والرابحون فيها دائماً (ويسعون في الأرض فساداً) المائدة:٦٤. ولو كان الأمر صراع حضارات لما بقيت الإنسانية حتى اليوم، فالصراع والحروب استثناء. والقاعدة هي التفاعل التجاري و الصناعي والفكري والثقافي والتعاون والأخذ والعطاء والاستفادة من الإيجابيات الموجودة في كل حضارة، وبناء حضارة على أكتاف حضارات أخرى أخذت عصارتها وجوهرها وصنعت لنفسها مذاقاً خاصاً وطريقة خاصة وهكذا فحوار الحضارات سنَّة اجتماعية وإنسانية و القول بالصدام قول صهيوني اخترعه الصهاينة باسم «صموئيل هينتجتون» وأساتذته من قبله من المستشرقين والمفكرين اليهود.

وقد أثبتت بعض الدراسات التي تحدثت عن حكومة العالم الخفية المتمثلة في الماسونية العالمية أن اليهود كانوا وراء قتل كثير من حكام العالم الأوربيين الذين مالوا إلى السلام وأرادوا إنقاذ أنفسهم من ويلات الحروب فقتلهم اليهود وستثبت الأيام المقبلة كثيراً من مخططات هؤلاء الصهاينة البروتوكولية التي يستنزفون بها العالم من أجل أن تبقى السيادة والحكومة العالمية في أيديهم ومع ذلك فأنا أقول للمسلمين: لا بد أن تتمسكوا بأمرين معاً:

الأول: أنكم أمة دعوة بالحسنى وحوار حضارات ولا يجوز أن يستفزكم العدو لكي تستعملوا وسائله الدنيئة وتشاركوه في تخريب العالم.



فلنحافظ على أننا أمة ذات رسالة إنسانية تقوم على الحب والسلام والتراحم والتكامل ولا يجوز أن نسمح لأنفسنا باستعمال الوسائل اليهودية الخسيسة.

والأمر الثاني: هو أن تفهموا طبيعة عدوكم والقوى الشريرة التي تقف وراءه فعدوكم الظاهر غير عدوكم الحقيقي الباطن، ولا تحلموا في القريب العاجل بتغيير أفكار أعدائكم فهم سيظلون هكذا لفترة ما ربما تطول أو تقصر في موقع الصدام الحضاري وموقع عدم الرضا عنكم والتربص بكم وتحقيق المزيد من تمزيقكم وتخلفكم وإبعادكم عن دينكم وهذه هي المعادلة الصعبة.

● ماموقف المسلم الآن كفرد من الأزمة المعاصرة والتحدي العالمي؟

ـ علمنا الإسلام أن المسلم لم يكلف بأكثر من طاقته بدليل قولة تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) البقرة:٢٨٦ و(لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها...) الطلاق:٧. فليس على المسلم الآن أن يقتل نفسه باليأس أو الهموم عندما يفكر في الواقع الإسلامي العام، فاليأس كفر في الإسلام (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يوسف: ٨٧.

وعلى المسلم أن يؤمن أنه لا يقع في كون الله إلا ما يريد الله وأن الله غالب على أمره ولو كره الكافرون. من الواجب على الفرد المسلم أن يتسلح دائماً بالأمل والثقة بوعود الله التي لاتتخلف فقد وعدنا أن يظهر الإسلام على الدين كله، ووعدنا أن العاقبة للمتقين.

وليبدأ المسلم بما يستطيع في مجال أسرته وجيرانه وأرحامه وقريته ومدينته ودولته وصولاً إلى العمل الإسلامي العام وعليه أن يكون فاعلاً وإيجابياً وأن يعلم أن الصراع بين الحق و الباطل من سنن الله في الوجود فلا يهمه وجود الباطل أو قوته أو كثرته لأن الله يقول: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) الأنعام: ١١٦، (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) يوسف:١٠٣.

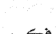
فعلى المسلم أن يبذل ما يستطيع وأن يفهم أن كلمة الجهاد ليست عن طريق السيوف فقط، فالجهاد حركة دائمة متجددة بأساليب حضارية مكتملة تكفل غرس بذور الإيمان من خلال طاقة ممكنة، وعلينا أن نعتمد على أن الأصل في علاقة المسلمين هي الأخوة التي هي أسمى من أي خلافات فرعية وأن أصول الإسلام يلتقي عندها كل المسلمين.

فلا معنى للبقاء في خنادق اجتهادات فرعية يحارب كل منا الآخر من خلالها تحت شعارات بعيداً عن المصلحة الإسلامية العامة وهذه الشعارات ولا تخلو من هوى وغرض، وليعلم المسلم بعد ذلك «أن عمله لن يضيع سدى وأن الله سيبارك في هذه الجهود المتناثرة ولا سيما أن دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة»، وأيضاً (إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) النساء: ١٠٤.

فليس أعداؤنا بمنجاة من انتقام الله وليس بناؤهم مبنياً على النحو الذي نتصوره وكل ما هنالك أنه كما قال الشيخ الغزالي: (يمتدون في فراغ ولا يجدون رجالاً عمليين واقعيين مستعينين بسنن الله يأخذون بالأسباب الحقيقة وتمتلئ قلوبهم بالحب لإخوانهم والإنسانية كلها) ●

إذا لم يقم المسلمون بدورهم فسيحاسبهم الله حسابا عسيرا على تفريطهم





هل هناك إشارات عن أزمة في الحضارة الغربية؟

يلحظ الدارس والمتابع لتطورات الحضارة الغربية وخصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ارتفاع صوت المروِّجين لخلودها والمنادين بحتمية انتصارها، وأبرز هذه الأصوات التي روّجت لذلك «فرنسيس فوكويوما» في كتابه «نهاية التاريخ»، ويلحظ الدارس كذلك ترويج مقولات «العولمة» التي يصورونها القدر الذي لا مفر منه، وأن الخير كل الخير في ولوج قطارها وإلا أصبحنا خارج التاريخ، ويرافق تلك الجلبة من الأصوات غياب الحديث عن أي مشكلات أو أزمات تعاني منها الحضارة الغربية، وكأنها أصبحت معافاة تماماً بعد انهيار الشيوعية، فهل هذا صحيح؟ وما الأصل في نشوء الحضارات وسقوطها؟

بقلم: غازي التوبة

تمر الحضارات بمراحل عدة منها: النشوء ثم الارتقاء ثم التدهور والاندثار، وإن أبرز عامل في تكوّن الحضارات تلبيتها لعناصر الفطرة الإنسانية، وإن أبرز عامل في تأزمها وانهيارها هو تصادمها مع الفطرة، وهذا ما سنوضحه في عدد من الحضارات أبرزها الحضارة الإسلامية، والحضارة الغربية في طوريها القديم والحديث.

حقّقت الحضارة الإسلامية كل مطالب الفطرة الإنسانية لأن الإسلام لبّى الفطرة، قال تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيِّم ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون) الروم:٣٠، وإن المتفحص في الآيات والأحاديث يجد أن أبرز مظاهر الفطرة التي أشار إليها الإسلام هي: التدين، والتعلم، والشهوات المتمثلة بالنساء والأموال والزروع... إلخ، أما التدين فقد عبَّر القرآن الكريم عن فطريته بأن الإنسان عرف ربه وهو في عالم الذر في كيفية نجهلها، قال تعالى: (وإذ أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) الأعراف:١٧٢، وقد ذكرت الأحاديث الشريفة أن كل مولود يولد على الفطرة أي على التوحيد، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» رواه البخاري ومسلم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى فطرة التعلّم عند الإنسان بأن الله علّم آدم الأسماء فتعلمها، في حين أن الملائكة عجزوا عن معرفة الأسماء، لذلك استحق آدم عليه السلام، الخلافة نتيجة قابليته للتعلّم، قال تعالى: (وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم

بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنّي أعلمُ غيب السموات والأرض وأعلمُ ما تُبدون وما كنتم تكتمون) البقرة:٣١ - ٣٣.

وقد أقر القرآن الكريم بفطرية بعض الشهوات كحب المال والنساء والآباء والأبناء والقوم والمساكن... إلخ، فقال تعالى: (زُيِّن للناس حُبُّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث ذلك متاعُ الحياة الدنيا والله عنده حُسنُ المآب) آل عمران:١٤، وقال تعالى: (وتأكلون التراث أكلاً لمّاً. وتحبون المال حباً جماً) الفجر:١٩ - ٢٠، وقال تعالى: (قُلْ إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربَّصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) التوبة:٢٤.

وقد وضع الإسلام البرامج التي تحقق عناصر الفطرة وتلبي نوازعها، ففي مجال التدين بيَّنت آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة صفات الله التي استحق من أجلها العبادة كالعلم والقدرة والحكمة والخبرة... إلخ، وأوجبت التوحيد وحرَّمت الشرك، وفصَّلت أمور العبادة كالصلاة والصيام والحج... إلخ، ووعدت المسلم الذي يؤدي عباداته بالثواب الجزيل، وأوعدت المسلم الذي يعصي ربه بالعذاب الشديد، ووضحت أمور الغيب كالجنة والنار والملائكة والشياطين، ورغَّبت بالجنة وخوَّفت من النار... إلخ.

وفي مجال التعلم حض الإسلام على التفكير والتدبر، وامتدح ذوي الألباب والعقول، واحترم العلماء واعتبرهم ورثة الأنبياء، وحرَّم الخمر وأوجب لها الحد لأنها تذهب العقل، ويكفي للتدليل على أهمية فطرة التعلم في الإسلام



إلى أن أول أمر أنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمر بالقراءة التي هي بداية التعلم، حيث قال له جبريل في غار حراء في أول لقاء بينهما «اقرأ» ثلاث مرات، ثم كانت أول آية في القرآن الكريم قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علَّم بالقلم. علَّم الإنسان ما لم يعلم) العلق:١-٥ .

وفي مجال الشهوات أباح الإسلام الزواج وحض عليه، وأباح اقتناء الأموال وأباح التجارة والصناعة، وأباح امتلاك عروض التجارة والمساكن والزروع والثمار... إلخ، وقد أصدر التشريعات التي تضبط ذلك وتحدد حلاله وحرامه وصوره، والأهم من ذك أن الإسلام اعتبر قضاء تلك الشهوات جميعها عبادة فقال صلى الله عليه وسلم مخاطباً الصحابة: «في بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر» رواه مسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل» رواه أحمد.

ومن مظاهر تلبية الفطر أن تكاليف الإسلام جاءت حسب الوسع فقال تعالى: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) البقرة:٢٨٦، وقال تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم) التغابن:١٦، وقد جاءت الفروض بالحد الأدنى الذي هو في وسع كل إنسان، فكانت الصلاة المفروضة خمس صلوات، وكانت الزكاة ربع العشر من المال، لكن الحد الأعلى مفتوح بحسب إرادة المسلم ورغبته، فهناك السنن المؤكدة وغير المؤكدة لكل صلاة، وهناك قيام الليل، وهناك صلاة الضحى، وسنَّة الوضوء... إلخ، وهناك تصدّقُ المسلم الذي يمكن أن يصل إلى ثلث ماله. ومما يشير إلى مراعاة الإسلام للفطرة وجود الرخص كرخصة التيمم وقصر الصلاة من أجل رفع الحرج عن الأمة، قال تعالى: (وماجعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هو سمَّاكم المسلمين من قبلُ) الحج:٧٨.

وقد أشار علماء الأصول وأبرزهم الشاطبي إلى أن استقراء جميع آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة تبيَّن أن جميع الأنبياء والرسالات جاءت لتحقيق خمسة أمور هي: حفظ الدين، وحفظ العقل، وحفظ النفس، وحفظ النسل، وحفظ المال، وسمَّاها الضرورات واعتبر أن بقية أمور الدين تدور حول تلك الضرورات وسمَّاها: الحاجات والكماليات، وإذا تأملنا الضرورات الخمس التي اعتبرها الشاطبي مقاصد الشريعة والتي جاءت الرسالات لحفظها وتحقيقها نجد أنها مطابقة لأمور الفطرة التي تتطلبها النفس البشرية وهي: التدين والتعلم والشهوات... إلخ.

رأينا فيما سبق كيف لبَّت الحضارة الإسلامية مطالب الفطرة، وقد استمرت الحضارة الإسلامية لقرون عدة بصورة لم تعهدها البشرية في الحضارات الأخرى بسبب تلبية الإسلام لمطالب الفطرة. وقد تمزقت أوروبا في القرون الوسطى قديماً وانهار الاتحاد السوفييتي حديثاً بسبب تصادم حضارتيهما مع الفطرة وهذا ما سنوضحه في السطور التالية:

لعبت الكنيسة دوراً مميزاً في أوروبا في العصور الوسطى، وكانت مبادئها وتعليماتها ذات دور فاعل فيها، وأبرز مبادئها التي ناقضت الفطرة فيها: نظرتها إلى الشهوات والجسد والدنيا من جهة، وحكمها على بعض الآراء العلمية وأصحابها بالهرطقة والزندقة والكفر من جهة ثانية.

امتدح الإسلام ذوي العقول والألباب وحضهم على التفكر والتدبر واعتبرهم ورثة الأنبياء

احتقرت الكنيسة الشهوات والجسد والدنيا، فاعتبرت الشهوات دنساً يجب الترفع عنه، واعتبرت الجسد سجناً للروح لذلك يجب تعذيب الجسد وقتله من أجل انطلاق الروح، كما اعتبرت الدنيا عقبة في طريق الآخرة لذلك أهملت الدنيا واهتمت بالآخرة وحدها، وهي قد ناقضت الفطرة في كل نظرياتها تلك، وكانت لنظرياتها تلك أسوأ النتائج على العلاقة بين جماهير الناس وبين الدين ورجاله.

كذلك أخطأت الكنيسة مع علماء أوروبا الذين توصلوا إلى حقائق ونظريات نتيجة جهود عقلية وعلمية قاموا بها واستفادوا بعضها من حضارتنا الإسلامية، لكن الكنيسة اعتبرت تلك الحقائق والنظريات هرطقة وزندقة لأنها تخالف بعض مقولات توارثتها واعتمدتها المجامع الكنيسية، وحاكمت العلماء على أقوالهم ونظرياتهم وسجنت بعضهم وأعدمت بعضهم الآخر، إن الأزمة التي عاشتها أوروبا في العصور الوسطى والتي أدت بها إلى الانفجار والثورات وإلى إبعاد الدين المسيحي ورجالاته عن أي مجال من مجالات الحياة كان أحد أسبابها مخالفة رجال الكنيسة للفطرة التي تجلت في احتقار الكنيسة للشهوات والدنيا والجسد من جهة وإلى إنكارها بعض الحقائق العلمية من جهة ثانية.

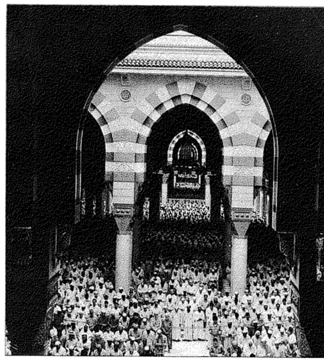
أما الاتحاد السوفييتي الذي طبق النظرية الماركسية فقد أقر الإلحاد وأنكر وجود إله ونظر إلى الإنسان نظرة مادية بحتة وهذا مخالف لفطرة الإنسان التي تقوم على التدين والتوجه إلى عبادة إله، فقد عرفت كل المجتمعات البشرية التدين والعبادة وأماكن العبادة، والأرجح أن الاتحاد السوفييتي كان أول دولة رعت الإلحاد بشكل رسمي، وصادم الاتحاد السوفييتي - أيضاً - غريزة حب التملك عند الإنسان، واعتبرها مكتسبة وليست فطرية، لذلك انتزع «ستالين» من الفلاحين مواشيهم ومزارعهم وأراضيهم وحولها إلى ملكية جماعية، فثار الفلاحون عليه ودافعوا عن ممتلكاتهم وسقط ١٢ مليون قتيل في هذه المواجهة مع الحكومة الشيوعية.

لا شك أن سقوط الاتحاد السوفييتي أسهم فيه عوامل عدة داخلية وخارجية، ولم يكن نتيجة عامل واحد، لكن من المؤكد في الوقت نفسه أن تصادم الاتحاد السوفييتي مع بعض عوامل الفطرة كان أحد أهم العوامل في سقوطه وعدم استمرار وجوده.

تصادم الاتحاد السوفييتي مع عوامل الفطرة أسهم في إسقاطه

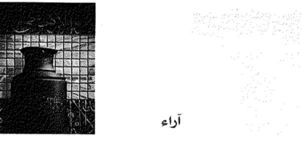
والآن: ما الوضع في الحضارة الغربية؟ ألا توجد فيها توجهات وممارسات مناقضة للفطرة؟ عرفت الحضارة الغربية العلمانية التي جاءت بعد التصادم الذي وقع بين رجال الكنيسة ورجال العلم في العصور الوسطى، وأبرز حقيقة قامت عليها تلك العلمانية هي فصل الدين عن الدولة، وقد سمّى الدكتور «عبدالوهاب المسيري» تلك العلمانية بالعلمانية الجزئية، لأن تطورات تاريخية بعد ذلك حولّت تلك العلمانية الجزئية إلى علمانية شاملة، لا لتفصل الدين عن الدولة فقط، وإنما لتفصل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية جميعها عن الدولة وعن جوانب الحياة العامة والخاصة كافة، أي أنها تفصل سائر القيم على الطبيعة والإنسان وتنزع عنهما أي قداسة، بمعنى أنه يحكم على الاقتصاد بمقدار ما يحققه من أهداف اقتصادية ربحية بغض النظر عن أي قيمة دينية وأخلاقية وإنسانية، وقس على ذلك بقية المجالات الحياتية من سياسة وعلم وجسد... إلخ.

وقد تبلورت العلمانية الشاملة في «الفلسفة الداروينية الاجتماعية التي تذهب إلى أن العالم مادة واحدة صدر عنها الإنسان والطبيعة والحيوان، وهذه المادة خالية من الغرض والهدف والغاية، وهذا يعني أن كل الأمور نسبية، فما هو حرام اليوم قد يصبح حلالاً غداً وبالعكس، وهذا يعني أنه لا حاجة إلى أي قيم دينية أو أخلاقية أو إنسانية... إلخ، وهذا يعني أنه ليس هناك عالم غيب، وليس هناك شيء مقدَّس، وليس هناك تديّن، لأن المادة لا تعرف كل ذلك.



وتقر «الداروينية الاجتماعية» بالتطور كقيمة وحيدة تحكم الحياة، وتقر بالصراع وسيلة تحكم علاقات المخلوقات كلها، لذلك فالعالم ساحة قتال بين ذئاب، والقيمة الوحيدة التي تعترف بها «الداروينية الاجتماعية» هي القدرة على الصراع والبقاء، وهذا ما يلقي الضوء على قيام حربين عالميتين في أقل من نصف قرن.

والآن على ضوء هذا التطور في الحضارة الغربية من العلمانية الجزئية التي كانت تفصل الدين عن الدولة إلى العلمانية الشاملة إلى «الداروينية الاجتماعية» التي أصبحت تنكر أي قيم دينية أو إنسانية في أي مجال من مجالات الحياة البشرية، وتعتبر أن المادة هي الأصل والحقيقة في كل شيء وفي كل مجال، وعلى ضوء أنَّ تلبية عناصر الفطرة أصل في وجود الحضارات واستمرارها، وأنَّ غياب التلبية أصل في أزمتها وانفجارها، وكما لاحظنا أن الحضارة الغربية تتجه إلى تغييب المقدَّس وإلى إنكار فطرة التدين في حياة الإنسان، فهل نستطيع أن نقول إنها بداية أزمة وجود لا تقل عن أزمة الاتحاد السوفييتي؟ وهل ستؤدي إلى انفجار الحضارة الغربية؟ هذا ما نرجحه على ضوء مسيرة الحضارات من جهة وعلى ضوء إقرارنا بحقيقة وجود الفطرة من جهة ثانية ●



آراء

التغيير والتحرير طريق لنهضة الأمة

بقلم: سمير أحمد الشريف

في حمأة التردي التي تحياها الأمة في ظرفها الراهن، خرجت أصوات منادية بعودة البطل المثال - الذي يعيد للأمة هويتها ويقيلها من عثرتها، دون أن يتنبه المنادون لسطحية هذا الطرح الذي يقفز فوق حقائق التاريخ وسنن الكون ويحرق المراحل دون أن يوصلنا إلا إلى مزيد من الركون إلى الأرض ودونما بذل وتضحية - انتظاراً للمخلص الذي يظنونه عنقاء تخرج من رماد خيالهم المريض، متناسين حقيقة قرآنية في أسس التدافع الحضاري ومقوماته لنشوء الأمم، توجه الخلق بها للأمة «مجموع الأمة» دونما التفات للفرد إلا بالقدر الذي يسهم فيه جهده بتعضد عمل الجماعة، نظراً لمحدودية جهده الفردي فهما قوياً، قياساً إلى قوة العمل والجهد الجماعي.

(إن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم) الرعد:١١.

إن من ينادون بانتظار البطل الأسطورة مكتفين بالقعود والانتظار لإنقاذ الأمة، هؤلاء مع احترامنا لحسن نواياهم لا يقرأون التاريخ، ونخص منهم أولئك الذين يشيرون في كتاباتهم تحديداً إلى صلاح الدين الأيوبي - القائد البارز - ناظرين إلى نتائج معاركه التي حصد ثمارها بفعل وعي وتخطيط جماعي، وتمثَّل هذا أولاً في إدراك عوامل وهن الأمة وإيجاد الحلول العملية لها من أجل التخلص من الأمراض التي تفتك بجسم الأمة، فلا يعقل والأمة موهنة بالمرض والوهن والتفتت أن تنهض بمسؤولية التغيير، لأن مثل هذا الجهد مصيره معروف ونهايته متوقعة.

صلاح الدين الأيوبي لم يكن وحيداً، فهو ومن معه، انصبَّ جهدهم على جبهتين: بناء داخلي وتصحيح للمسارات الخاطئة وتأسيس لبنى وقواعد علمية فكرية بغطاء عسكري يترجم القناعات إلى واقع ملموس، يعيشه الجندي ويراه المواطن العادي، ويخطط به لمواجهة أعداء الخارج، في الوقت الذي يجري العمل فيه على قدم وساق في مشروع نهضوي داخلي يوازن بين متطلبات الداخل ومستحقات الخارج.

بفلسفة التغيير والتحرير في آن معاً، تنهض الأمة التي هي بأمسِّ الحاجة لقائد يستنهض كوامنها وقدراتها لكن بوعي وإيمان وإخلاص أفراد الأمة جيشاً وعلماء وعاملين، كل في موقعه وكل حسب جهده، لا أن ينام الوطن على احتمالات التذويب والقضم والمسخ وأفراده يغرقون في نوم أثير على فرش من خيال انتظاراً لجهد الغائب الملهم الذي ينوب عن مطلق الأمة. قائد كهذا، لو افترضنا وجوده في أمه نائمة، ماذا سيكون حاله؟

ألا يسبب له مثل هذه الحال عظمة كاذبة، تلغي عقول كفاءات الأمة فيصول ويجول القائد على هواه ضمن قدراته الفردية التي لن يقوِّيها باستشارة أهل العلم ولا بالرجوع لذوي الاختصاص، وعندئذ يستبد ويحمل الأمة على مغامرات ليس لنهاياتها تصور؟

ثم ألا يلغي مطلبنا بإيجاد القائد الأوحد حاجتنا للالتفات إلى أحوالنا في الداخل، بحجة التصدي للخطر المقبل والقضية الكبرى، على حساب الفقراء والمرضى والأميين الذين يزداد عددهم، ثم نطالب بمنطق مقلوب هؤلاء الفقراء التصدي والخدمة والدفاع؟

خطورة مأزقنا الحاضر، يحتم علينا أن تتنادى الأمة - كل الأمة، قواداً وشعوباً، لوضع القدم على الدرجة الأولى في التغيير، أي إدراك أسباب العلل التي تفتك بنا والعمل على التصدي لها وفي الوقت نفسه معايشه الواقع ومواجهته بإمكانات معقولة بعيداً عن العواطف والانفعالات الآنية ووضع الاستراتيجيات التي لا يلغي بعضها بعضاً بل تعضّد إحداها الأخرى.

كل ذلك مرهون بعمق الإخلاص في العمل، بعيداً عن المركز أو الجهة أو القبيلة أو الشهرة.

هذا يعني أن يكون مطلق الولاء لداخل الأمة التي ستبني حاضرها وعينها على مستقبلها بوعي مجموع الأمة الذين يحسّون بوجودهم مخلوقات كريمة في أوطانها، مطمئنة على أرواحها وأموالها، لها حريتها التي تجعل منها سداً أمام التشويه الذي قد يتعرض له الوطن، وعندئذ ستستميت في الدفاع عن مبدأها وستقف بصلابة لمجابهة الأخطار التي تتهدد الوطن، حتى لو لم يكن لديها أبواق إعلامية تحرضها، لأن التحريض يأتي إليها من وعيها للواقع وحسّها بالمسؤولية وتنفيذها للأمر الإلهي ●



دراسات فكرية

العقل الإسلامي: المفهوم - الأزمة - الحلول

بقلم: حسن الأشرف - باحث في الدراسات الإسلامية - الرباط - المغرب

١ - توطئة

خلال عصور مضت، استطاع المسلمون أن يوظفوا عقولهم المستنيرة بالوحي الإلهي لإدراك قدرة الله عز وجل، وعجائب صنعه، ولاكتشاف أسرار هذا الكون البديع وخباياه التي تدل على عظمة خالقه، ولقد كان العقل المسلم في تلك العصور الزاهية عقلاً مبدعاً معطاء، لا يكف عن التأمل والإبداع والابتكار، لكن الزمن دار دورته، فتعطل هذا العقل عن العطاء ولم يعد له ذلك الحضور الفكري الذي كان يحظى به، من هنا وجب على المفكرين والدارسين والباحثين أن يهتموا بهذه الظاهرة لكي يجدوا سبل الخروج من أزمة العقل المسلم وتداعياتها التي تنيخ بكلكلها على واقع المسلمين ومستقبلهم.

٢ - مفهوم العقل

العقل الإسلامي هو عبارة عن نشاطات ذهنية وفكرية ينجزها هذا العقل، مستخدماً أساليب ملتزمة بفاعلية وقدرة على فهم الواقع وتحليله، واستنتاج ما يمكن استنتاجه لكل ما يتناوله من قضايا ويعالجه من مشكلات. إن العقل الإسلامي يشكل قدرة فكرية مدركة هائلة، يمكنها أن تميز بين الطيب والخبيث، والحسن والسيئ، والصالح والطالح، واتباع سبيل الهدى والابتعاد عن طريق الخسران، والثبات على المحجة البيضاء بعيداً عن ملوثات العصر من نفاق وطمع وغيرها من المعاصي التي يدعو إليها الشيطان وحزبه.

إذا كان العقل يُعد نعمة عظيمة من نعم الله عز وجل التي أسبغها على الإنسان، فإنه أيضاً يعتبر مناط التكليف، فبفضل هذا العقل ميز الخالق سبحانه بني آدم على سائر المخلوقات وفضلهم على غيرهم بتمتيعهم بشتى أنواع المعارف والعلوم ليتخذوها أسباباً بغية تحقيق غايات دينية واجتماعية واقتصادية حث عليها الإسلام، يقول الله عز وجل: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر).الاسراء / ٧٠

لقد عدَّ أهل العلم العقل من ضرورات الحياة الخمس وهي:

الدين والنفس والعقل والعرض والمال. وإدراك العقل الذي يقوم أساساً على المنطق والاستدلال والبرهنة بالحجة يختلف عن إدراك القلب وهو جوهر الإنسان الذي يقوم على الإحساس الصادق والرؤية الحق، وقد عبر القرآن عن هذا الإدراك القلبي بقوله: (ما كذب الفؤاد ما رأى) النجم:١١.

لقد كان العقل الإسلامي، في عصور خلت، متوهجاً ومتدفقاً عطاء ونماء، وكان مفخرة لمسلم حقاً، حتى إن شخصيته كانت تُقاس بما قدّم عقله من عطاء فكري، لكن هذا التوهج انطفأ، وهذا التدفق توقف، وينابيع العطاء نضبت، فكيف الخروج من النفق؟

٣ - أسباب أزمة العقل الإسلامي

يقول الأستاذ عبدالصبور شاهين: «إن قضايا علم الكلام هي قضايا الغيب المطلق المحجوب ولا يعقل أن يكون للتجربة دور في معالجتها. تذكرنا في رد هذا الرأي ما قاله عربي يعيش على فطرته، وينطق على سجيته دون أن يكون قد ألمّ بشيء من منطق أرسطو: «البعرة تدل على البعير، وأثر السير يدل المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك كله على الله اللطيف الخبير»، وكلمات هذا الأعرابي ألصق بالمنهج التجريبي القائم على الملاحظة، وأقرب إلى التأثير في النفس، وأقدر على إقناع العقل من أي صيغة قياسية ما في ذلك شك... لقد أصبح سيئاً للغاية أن ينطلق رجل الدين أمام الناس، أو أمام الطلاب بقضايا متقادمة، قال بها الأولون، دون أن يحاول مزج المعرفة التقليدية بالجديد، وأكثر ما تتجلى هذه المعرفة التقليدية في علم التوحيد أو الكلام أو مباحث العقيدة على اختلاف المصطلحات، حيث يصر بعض الأساتذة على حكاية النزاع بين المعتزلة وأهل السنة، والفرق بين الأشاعرة والماتريدية، ووجهة نظر الخوارج والشيعة، والخلاف بين الجبرية وغيرهم، وتناقض ما بين العقل والنقل أو تساندهما، وكل ذلك دائر في حلقة فارغة، بعيدة عن مجال تفكير الشباب المتحول، لأن هذا الكلام كله قد أدى وظيفته على خير وجه، حين كان جزءاً من صراع عصره حول المفاهيم والقيم، فلما مضى عصره أصبح جزءاً من تاريخ الفكر، لا أساساً من أسس النقاش الحي النابع من التجربة المعاشة».

أخطر ما عرفه العقل الإسلامي نظرية الجبر المطلق أن الإنسان مجبر لا مخير

من أخطر ما عرفه العقل الإسلامي نظرية الجبر المطلق القائلة إن الإنسان مجبور لا يستطيع أن يعمل غير ما عمل مما هو مقدور عليه، وأن الله تعالى يخلق أفعاله، ويستدل عليها بمثل قوله تعالى: (من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون).الاعراف/١٨٦

لقد استكان كثير من المسلمين لمثل هذه الأفكار السامة، وارتاحوا لها، فقد كانت تعتبر متنفساً عقائدياً لهم عن ظروف القهر التي عاشوها، وحال التخلف الفكري والسياسي الذي كان ينخر جسد أمتهم العليلة، بل برروا بها واقعهم المرير بما فيه من انحراف عن النهج القويم، وابتعاد عن الصراط المستقيم، واعتبروها مسوغات شرعية تقبله عقولهم وترضاها أنفسهم وذلك تحت غطاء المكتوب الذي لا ينفع معه هروب كما يُقال. ومقولة أحد الطرقيين أبرز مثال على هذا الفكر المنحرف، إذ قال مبرراً الحملة الهوجاء التي شنتها فرنسا على الجزائر لمحو الشخصية الإسلامية في ذلك البلد وجعل الجزائر فرنسا ثانية. قال: «إن كنا قد أصبحنا فرنسيين فقد أراد الله ذلك، وهو على كل شيء قدير، فإذا أراد الله أن يمسح الفرنسيين من هذه البلاد فعل، وكان ذلك عليه أمراً يسيراً، ولكنه يمدهم بالقوة وهي مظهر قوته، فلنحمد الله ولنخضع لإرادته». إن هذا الفكر الاستسلامي الاستكاني لا يرضاه الشرع للمسلم ولا تقره سنة التطور، وحتمية التدافع التي تحدث عنها القرآن الكريم.

وهكذا لم يعد لقدرة الإنسان وحريته في الفعل والحركة أي أثر في مثل تلك العقلية الإسلامية علماً أن ما يميز الإنسان عموماً عن باقي المخلوقات هي صفة الإرادة.

لقد اعتاد الناس على الميل إلى العجز والقصور في تدبير شؤون الحياة بما يكفي من الهمة والنشاط والطموح في تحقيق مستقبل زاهر، والتقاعس عن بذل الجهود، وطلب الوسائل والأسباب لبلوغ الأهداف والغايات المرسومة، فالإنسان قادر على تغيير الواقع الذي يعيش فيه، لكن هناك شرط أساسي لعملية التغيير هذه، ألا وهو أن يغير ما بنفسه أولاً، مصداقاً لقول رب العزة والجلال: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)الرعد/١١ إذاً، هناك إمكانية كبيرة لتحقيق نشاط الفرد، وقدرته على الفعل والتأثير، لكن شرط أن يتم ذلك عبر إرادة قوية من هذا الإنسان، وتوفيق من الله... لقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على الإمام علي رضي الله عنه بعد صلاة العشاء، فوجده قد بكر بالنوم، فقال له: هلاً قمت من الليل؟، فقال: «يا رسول الله، أنفسنا بيد الله إن شاء بسطها، وإن شاء قبضها»، فغضب الرسول عليه الصلاة والسلام وخرج وهو يضرب على خده قائلاً: «وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً» الكهف/٥٤ هناك مثال آخر على ما ذكرناه، بحيث إن أحد اللصوص سرق، فلما حضر بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأله: لماذا سرقت فقال اللص: قدَّر الله ذلك، فقال عمر: اضربوه ثلاثين سوطاً، ثم اقطعوا يده، فقيل له: ولِمَ؟ فقال: «تُقْطع يده لسرقته، ويضرب بالسوط لكذبه على الله»... إن عقيدة الجبر شكلت أبرز مظاهر أزمة العقل الإسلامي، فهي دخيلة على الإسلام. إن الله عز وجل خلق كل شيء، ومن خلق الله وتقديره أنه جعل للإنسان قدراً من الإرادة يختار بها بين الهدى وسبيل الضلال.

٤ - العقل في القرآن

لقد جاء القرآن الكريم مليئاً بذكر مادة العقل في كثير من الآيات الكريمات، مانحاً لهذا العقل أهمية واضحة، إذ دعا غير مرة إلى استخدام الفكر واستعمال العقل الذي يؤمن بالاستدلال وينكر التبعية والتقليد الأعمى دونما تدبر أو تمعن، وذلك بغية ألا يزيغ الإنسان عن الطريق القويم، بل إن القرآن العظيم أجاز للعقل الخوض في بعض الشؤون الدينية، فبالأحرى في مجالات أخرى، يقول الله سبحانه وتعالى: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون).التوبه/١٢٢

ورفض القرآن التبعية الفكرية، واقتفاء ما يفعله الآخرون وما يقولونه دون استخدام للعقل فذلك يُعتبر انسياقاً وراء أوهام التبعية الضارة، وجموداً لا طائل منه.

يقول عز من قائل: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون)

السيئ للغاية أن ينطلق رجل الدين أمام الناس بقضايا متقادمة قال بها الأولون دون محاولة مزج المعرفة بالجديد

البقرة: ١٧٠.

إن أخطر ما أصاب العقل الإسلامي هو انتهاج المسلمين للفكر التبريري زمن التخلف والجمود، وهو فكر يمدح كل ما سلف، ويمجد العطاءات الماضية من كل نقص، لكن القرآن الكريم جاء حاثاً العقل المسلم على التبصر وإعمال الفكر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساؤوا أسأت»، بمعنى أن على المرء ألا يكون تابعاً للناس على رأيهم كيفما كان هذا الرأي، بل عليه استخدام عقله ونهج الاستدلال لتكوين رأي مستقل وخاص به، قائم على أسس متينة ومبنية على مبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

لقد أعطى الإسلام لكل فرد الحق في أن يبدي رأيه كما يشاء، وإن الرأي ما هو إلا ثمرة ينتجها الفكر السليم، والاتجاه المستقيم إلى طلب الحقائق وإعلانها. والإسلام يقرر أن حقائق الكون وطبائع الأشياء تجب دراستها، وإعلان ما ينتهي إليه العقل والفكر الحر غير المقيد بتقاليد سابقة، لأن الإسلام نهى عن التقليد، وأمر المؤمن أن يفكر فيما تحت يده في الأرض وما فوقه من أفلاك ليتعرف إلى كنهها، لأنها سخرت له وذللت لإرادته، يقول المولى تبارك وتعالى: (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) الحج: ٦٥.

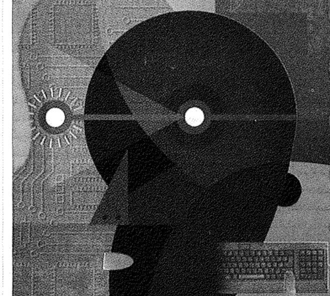
لقد أعلى الإسلام من أهمية العقل في إدراك المسائل، حتى إن علماء الإسلام قالوا: «إن معرفة الله تعالى واجبة بالعقل»، وقالوا: إن الأساس في فهم المعجزات والأدلة الشرعية هو العقل، وأوجب الإسلام على المؤمن أن يفكر طالباً الهداية من الله تعالى، وأن يتبع ما تهديه إليه الدراسة وافق على ذلك من حوله أم خالفوه، قال تعالى: (وإن تُطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون

أخطر ما أصاب العقل الإسلامي انتهاج المسلمين للفكر التبريري في زمن التخلف والجمود

إلا الظن وإن هم إلا يخرصون). الأنعام/ ١١٦ إن الأساس في الأحكام التكليفية الشرعية هو العقل وفهم العقل، والإجماع على فهم العقل يجعله حجة قطعية لا سبيل لإنكارها، أما الأمور الكونية فالأساس فيها النظر الفاحص والدراسات العقلية، وقد ينتهي الباحث إلى أمور قطعية وما عند الناس مجرد احتمالات وظنون، وأما بعض الباحثين في الكون وانحرافهم عن الدين فليس منشأ ذلك الدراسة العقلية المستقيمة، وإنما منشأه انحراف الفكر ابتداء، فهو قد درس بقلب غير سليم، وإعلانه ما هو ضد الدين ليس فيه إضافة علم بالأكوان مستمر جديد، إنما يكون فيه عقم في الإدراك، إن الدراسات الإسلامية التي اهتمت بالقرآن أثبتت أن نحو ثلث القرآن يدعو إلى النظر في الكون والمخلوقات، (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) العنكبوت: ٢٠، و(أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) الأعراف: ١٨٥، وغيرها آيات كثيرات. إنها دعوة واضحة إلى استعمال العقل وإعمال النظر في المخلوقات الكونية، بل حتى في مقاصد التشريع الإسلامي، دعا القرآن العقل إلى أن يمعن النظر في الحكمة من وراء الصوم مثلاً: (وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون) البقرة / ١٨٤، أو عن الصلاة: (فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) الجمعة: ٩.

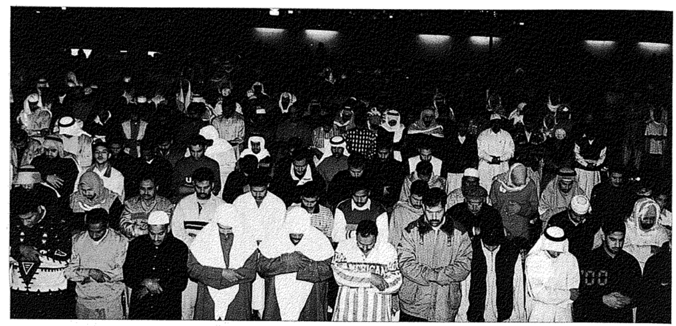
٥ - وردت في السنة الكريمة أحاديث كثيرة ترفع من شأن العقل، وتدعو إلى استخدامه لأنه كنز معنوي عظيم لا يمكن إلا أن يعود بالنفع العميم على صاحبه خاصة إذا ما تم استعماله بشكل صحيح وسوي. هناك حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يأيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به».

وقال أيضاً: «أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال له: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم عليَّ



منك». فانظر أيها القارئ الكريم مدى أهمية المكانة للعقل عند خالقه سبحانه وتعالى، وجاء في حديث أخرجه الطبراني في الأوسط، عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتمكم عقلاً أشدكم لله تعالى خوفاً»، وهنا رابط قلّما انتبه إليه الباحثون والدارسون في موضوع العقل الإسلامي، ألا وهو العلاقة الوطيدة بين تمام العقل والخوف من الله، إذ إنه على حسب درجة الخشية من الله، تكون درجة كمال العقل، فالمسلم الأرعن الذي لا يخشى الله ولا يرقبه في تصرفاته لا يملك في حقيقته إلا عقلاً ناقصاً غير ناضج لا يمكّنه من فهم نفسه ولا من إدراك ما حوله في الكون الفسيح، أما المسلم الذي يتقي ربه ويخشاه يكون مسلماً قوياً يخشاه الناس لرجاحة عقله وفصاحة فكره.

أما الصحابة رضوان الله عنهم، فلقد أدركوا أهمية العقل، لذا استعملوه وأعملوا النظر في القضايا التي لم يرد فيها حكم شرعي بنص قطعي صريح، مما أدى إلى رفع راية العقل عالياً، ومنحه المكانة اللائقة به، فكان أبرز من استعمل العقل في مجال الأحكام الشرعية هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي عُرف بعدله وبتفانيه العظيم في تطبيق شرع الله في أرضه، وهناك أمثلة على استخدام الفاروق رضي الله عنه للعقل منها: منعه إعطاء الزكاة للمؤلفة قلوبهم بعد أن صار الإسلام قوياً عزيزاً، وحكمه بعدم التشريك بين الإخوة الأشقاء والإخوة للأم في الميراث في المسألة الحجرية حتى مرت الأيام والشهور، ورفعت إليه هذه القضية من جديد فأعمل فيها عمر رضي الله عقله وتبين له رأياً أفضل وحكماً أعدل، لذلك قضى فيها بالتشريك، ولما سُئل: كنت يا أمير المؤمنين قضيت فيها عام كذا بعدم التشريك، قال عمر: «تلك على ما قضينا يومئذ، وهي على ما قضينا اليوم»، هذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه



وأرضاه الذي قال يوماً لأبي موسى الأشعري: «مراجعة الحق خيرٌ من التمادي في الباطل»، أليس هذا أرقى أنواع استخدام العقل الإسلامي بُغية تحقيق أهداف نبيلة كإحقاق الحق أو نشر العدل والطمأنينة والرقي والازدهار.؟

٦ - انفتاح العقل المسلم

لم يعد زماننا يسمح للخوض في النظريات الفلسفية الدسمة التي تؤرق العقل الإسلامي منذ أمد بعيد، مثل البحث في عالم ما وراء المادة الأزلي، ومناقشة الذات والصفات الإلهية والغوص في هذا البحر اللجي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا». إن التفكر في ذات الله يؤدي حتماً إلى الهلاك، هلاك العقل والقلب، وفرار الإيمان من الصدر إلى غياهب الهرطقات الكلامية والفلسفية، ليتيه العقل ويفكر بوصلته إلى حين رجوع الصواب إلى مكانه.

ويحق لنا التساؤل لماذا نضيع نحن المسلمين كثيراً من الجهد والطاقة في مسائل خلافية تثير الشقاق أكثر مما تدعو إلى الاتحاد.

إن الاعتقاد الصحيح لا يمكن بلوغه بسهولة ويسر اعتماداً فقط على مدارك الإنسان العقلية وإنما يلزم هذا الإنسان أن يكون مسلحاً بهداية الدين القوي. فالعقل مهما بلغ سموه ونضجه الفكري، ومهما انفتحت له أبواب الهداية، لابد أن يُسلِّم ويذعن للوحي وخصوصاً فيما لا يستطيع إدراكه من قضايا غيبية كعذاب القبر، والحياة في البرزخ وما بعده، وغير ذلك من الغيبيات التي يصير معها عقل الإنسان قاصراً عن استيعاب حقيقتها وإدراك مراميها.

إن العقل المسلم صار مجبراً اليوم أكثر من أي وقت مضى، وخصوصاً في ظل هذه التحولات الدولية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، على الانفتاح على عقول الآخرين. فالقرآن الذي هو دستور المسلمين كافة أقر في أكثر من آية على حق الاختلاف وتعدد الآراء، يقول عز وجل في سورة هود الآية ١١٨: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)، إذاً، الله سبحانه وتعالى خلقنا لنختلف، وتتعدد رؤانا وأفكارنا لأن في ذلك غنى عقلياً وثراء فكرياً لنا جميعاً، ألم يقض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائد الأمة الإسلامية والحاكم الذي كان خُلقه القرآن، غير ما مرة بما أشار عليه أصحابه الكرام في بعض المسائل والقضايا رغم عدم اتفاقه معهم؟... أليس هذا اختلافاً في الآراء أقره الرسول الكريم؟ إن الاختلاف وتعدد الآراء والرؤى أمر موجود في مجتمع المؤمنين، وليس هنا أدنى غضاضة في اختلاف المؤمنين فيما بينهم شرط أن يكون هذا الاختلاف صحياً وبشارة خير ونفع على الأمة. لقد كان الاختلاف في المجتمع الإسلامي أيام عزه وقوته في قضايا دينية، فكيف بما يخص أمور الدنيا وشؤون الحياة، ويمكن علاج هذا الاختلاف ليكون مؤشر عافية باحترام عقل الآخر والانفتاح عليه: (وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل:١٢٥.

وحتى بالنسبة للعقل الديني الغربي المتعصب، يمكن لعقلنا الإسلامي أن يعمل على تنقيته مما ترسب لديه من أفكار خاطئة وأحكام مسبقة مغلوطة عن الإسلام وشعوبه وحضارته وتعاليمه السامية، ويمكنه تصحيح مفاهيم رجال الفكر هناك في الغرب العلماني ليتحرر من عقدة تفوق العقل الغربي، حينئذ ستتضح لهم حقيقة العقل الإسلامي ومعالم حضارته، لكن الهدف المنشود يستلزم منا جميعاً مواطنين وعمالاً وعلماء ومفكرين وكتاباً وصحافيين وقادة، سواء أكنا حكاماً أم محكومين أن نعمل بإخلاص على إعلاء لواء العقل الإسلامي، ومنحه المكانة المرموقة التي ينبغي أن يحتلها في نقاشاتنا وأفكارنا وقراراتنا وتصرفاتنا إزاء الآخرين، وهذه لعمري مهمة صعبة ولكنها ليست مستحيلة أبداً ●

لماذا نضيع نحن المسلمين كثيرا من الجهد والطاقة في مسائل خلافية تثير الشقاق أكثر مما تدعو إلى الاتحاد

المراجع

١ - كتاب «النظرية الإسلامية للعقل» للأستاذ عبدالحي عمور أحد علماء المغرب.

٢ - سلسلة دعوة الحق، العدد ٦٩ للكاتب محمد رجاء عبدالمتجلي.

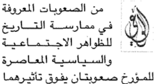
٣ - كتاب «الإسلام يتحدى» للكاتب الهندي وحيد الدين خان.





ثقافة التعاون والتكامل في مواجهة ثقافة العنف والاستبعاد

بقلم: د. أحمد كمال أبوالمجد



من الصعوبات المعروفة في ممارسة التاريخ للظواهر الاجتماعية والسياسية المعاصرة للمؤرخ صعوبتان يفوق تأثيرهما على دقة التاريخ وموضوعية تأثير سائر الصعوبات التي تعترض المؤرخين والمحللين.

١ ـ وأول هاتين الصعوبتين ترجع إلى الطبيعة الإنسانية للمؤرخ باعتباره ـ في نهاية المطاف ـ إنساناً لا يملك الفصل بين صفته «كمشاهد» موضوعي للظواهر والحوادث التي يعرض لها بالرصد أو بالتحليل وبين طبيعته كإنسان يتفاعل مع تلك الظواهر والحوادث ويتأثر بها، إذ هو ـ بحكم هذه الطبيعة الإنسانية ـ راصد ومسجل للظواهر والحوارات، ولكنه كذلك متأثر بها، ومنفعل لها، ومن ثم يظل رصده وتحليله لها متأثرين «بنسبية» الفكر الإنساني، وتأثره الحتمي بالظروف الموضوعية التي تحيط به... ولا نريد بإشارتنا إلى هذه الصعوبة أن نثير من جديد قضية العلاقة بين الفكر والمادة على النحو الذي تناولها به الفكر الماركسي، وإنما نريد بهذه الإشارة أن ننبه إلى خطأ افتراض الموضوعية الكاملة في تناول المؤرخ للظواهر والأحداث التي يؤرخ لها.

٢ ـ وأما الصعوبة الأخرى فتنتقل

بطبيعة «حركة التاريخ» والتفاعل المتبادل بين الظواهر والحوارات التي تزخر بها المسيرة الإنسانية، وصعوبة الفصل الكامل بين تلك الظواهر، كما لو كانت كيانات منعزلة مستقلة، ومن هنا كان لابد لنا أن ننتبه إلى ذلك التفاعل، ونحن نُدلي برأي في أزمة العلاقة بين الشعوب والكيانات السياسية المعاصرة، وهي الأزمة التي ارتفعت فيها صيحات التحذير من الصدام والمواجهة وبين الاستسلام لصيحات الحرب وممارسة العنف، وسياسات رفض «الآخر» الثقافي والسعي لإقصائه واستبعاده أو التهميش الشديد لدوره، بل لحقه في ممارسة وجوده الخاص، لابد لنا ونحن نتصدى لمثل هذه المحاولة أن نكون على بينة تامة من المزالق التي تحدثنا عنها، حتى يتوافر لبحثنا أكبر قدر متاح من الدقة والموضوعية في الرصد والتحليل على السواء، وهو ما نتوجه إليه الآن.

إن المؤرخ مهما بلغ حرصه على الدقة والموضوعية، فإنه لا يستطيع أن يفلت من التصورات والمشاعر التي يفرضها تعامله المباشر مع عصره، وما يقع فيه من أحداث... فاللحظة الحاضرة تفرض نفسها عليه كما لو كانت هي وحدها الحقيقة التي يشهدها وينفعل بها، ذلك أنه يراها بنفسه وهي مقبلة، ثم يراها - رأي العين كذلك - وهي مدبرة تغادر الساحة وتنسحب منها شيئاً فشيئاً لتصير جزءاً من الماضي، بينما تظهر على الساحة بداية لحظات جديدة كانت من قبل جزءاً من المستقبل، ثم أتيح لها - بعد رحيل اللحظة الحاضرة - أن تشغل مكان هذه الأخيرة متربعة بدورها على عرش الحاضر الذي يتفاعل معه المؤرخ والمحلل... وهذا التأثير الخاص الذي تتفوق به «اللحظة الحاضرة» على كل من الماضي والمستقبل يتمثل عادة في أمرين:

أولهما: منح هذه اللحظة الحاضرة قيمة وتأثيراً مبالغاً فيهما، متفوقين على قيمة وتأثير كل ما وقع في الماضي وما ينتظر أن يقع في المستقبل... وما أكثر المناسبات التي يتحدث فيها المؤرخون والمحللون عن بعض الظواهر والحوادث» المعاصرة كما لو كانت منعطفاً حاداً غير مسبوق في مسيرة التاريخ الإنساني... فإذا بدأ الانسحاب التدريجي لتلك الظواهر من ساحة الحاضر، تبين المؤرخ أن تقويمه لها ولقيمها ودلالتها قد كان متأثراً بتعامله المباشر معها، واستقباله «الشخصي» لها... وهو ما لا يتاح له بالدرجة نفسها على الأقل حين يؤرخ لظواهر مشابهة وقعت في زمان غير زمانه أو يتصور هو وقوعها في المستقبل.

الأمر الثاني: أنه في غمرة هذا التعامل المباشر مع الظواهر المعاصرة له... يتصور المؤرخ والمحلل أن تلك الظواهر سوف تستمر في الوجود، كما لو كانت عنصراً ثابتاً ونهائياً في مسيرة التاريخ... مع أن أحداً من المؤرخين والمحللين لا يذكر ظاهرة واحدة كتب لها الثبات والتأبيد على نحو توقف معه التطور، وبلغ به التاريخ نهايته ومستقره على النحو الذي يقول به بعض المؤرخين المعاصرين... مروجين من جديد - من حيث يشعرون أو لا يشعرون - لفكرة «الحتمية التاريخية» من منطلقات يصعب معها على المحلل الاطمئنان إلى دقة هذا القول وموضوعيته، وما إذا كان مجرد وصف مجرد ومحايد للظواهر أم أنه في حقيقته تعبير عن «وصفة» يسعى المؤرخ للترويج لها.

لقد كانت هذه المقدمة ضرورية، وكان الوقوف عندها لازماً قبل تناول قضية الاختيار بين ثقافة التعاون والتكامل... وثقافة العنف والاستبعاد، وهي القضية التي تشغل هذه الأيام مساحة كبيرة من ساحة الثقافات الوطنية والقومية المعاصرة... ومن ساحات الحوار الدائر هذه الأيام بين المثقفين والباحثين والساسة الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة... ذلك أن عدداً غير قليل من الكتاب، وجمهوراً كبيراً من عامة الناس يتوهم أن «ثقافة الصدام والمواجهة» لم تنتعش وتنتشر ولم تمثل خطراً حقيقياً على العلاقة بين الشعوب والثقافات إلا في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حين وقع الهجوم الفاجئ على أكبر رمزين من رموز القوة الأميركية العسكرية والاقتصادية... وحين تمثل رد الفعل الفوري على هذا الهجوم في رغبة جامحة نحو استخدام القوة العسكرية بأقصى صورها، وأشدها عنفاً وقسوة لمعاقبة المهاجمين الذين عرف من أمرهم القليل، وبقي الكثير غامضاً حتى كتابة هذه السطور... كما تمثل في توسيع ساحة العقل الأميركي المضاد... على نحو وضع معه جميع العرب وجميع المسلمين على لائحة الاتهام الذي يبرر ضرب ما تراه الولايات المتحدة «معاقل للإرهاب في تلك الدول» كما يبرر من باب أولى - التدخل السافر في أخص الشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية لتلك الدول بدعوى استئصال بذور الإرهاب... الذي نسب - باستخفاف شديد، وتحامل غير مسبوق - إلى الإسلام بعقيدته وشريعته ومنظومة القيم السائدة بين المؤمنين به.

والحقيقة التي ينساها الكثيرون وسط الضجيج الإعلامي الذي يغسل الأدمغة ويصم الآذان، إن ثقافة العنف والاستبعاد كانت سائدة وكانت أخطارها قائمة قبل الحادي عشر من سبتمبر... وهل يمكن لمثقفي هذا الجيل أن ينسوا - هكذا فجأة - أن البشرية شهدت خلال ثلاثين عاماً من القرن الذي مضى حربين عالميتين راح ضحيتهما عشرات الملايين من البشر، كما خُرِّبت خلالهما الكثير من المدن بمساكنها ومصانعها،

مهما بلغ حرص المؤرخ من الدقة والموضوعية فإنه لا يستطيع أن يفلت من التصورات والمشاعر التي يفرضها تعامله مع عصره

ومدارسها، وتراثها الثقافي الذي شيّده الإبداع الإنساني عبر قرون طويلة، ثم عاد ليدمره ويقضي عليه في لحظات حمق وقسوة وجنون هي لحظات الحروب والمواجهات العسكرية التي يصعب التوفيق بينها وبين ما امتلأ به تراث البشرية في الشرق والغرب على السواء من دعوات للتعارف والتعاون بين الشعوب... ومن إعلانات ومواثيق لحقوق الإنسان وحرياته... وعلى رأسها حرمة دمه وعرضه وماله... وحريته في الاعتقاد والتعبير والمشاركة السياسية والاجتماعية... وحقه في المساواة في الحقوق والواجبات بغض النظر عن لونه وجنسه وعقيدته والثقافة التي ينتمي إليها.

إن الإطار الذي يدور حوله حوارنا المعاصر حول ثقافة التعاون والتكامل باعتبارها الخيار الآخر الذي يعصم من العنف والمواجهة... هذا الإطار قد حددته خلال السنوات العشر التي سبقت أحداث الحادي عشر من سبتمبر محددات ثلاثة:

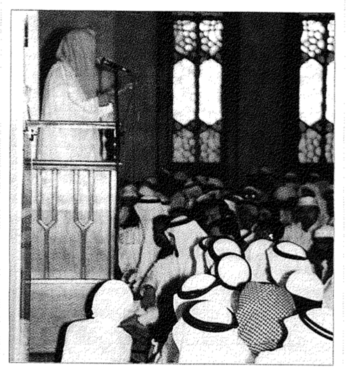
أولها: ما طرأ على النظام الدولي من تغير جذري وجوهري، نتيجة انهيار ما كان يعرف بالمعسكر الشيوعي أو الاشتراكي، وهو الانهيار الذي ترتب على سقوط النظام الشيوعي في الاتحاد السوفييتي وفي أهم دول شرق أوروبا التي كانت تدور في فلكه، فقد أدى هذا الانهيار إلى الانتقال من نظام القطبية الثنائية إلى نظام القطبية الواحدة... وإلى انفراد الولايات المتحدة بسبب قوتها العسكرية والاقتصادية الهائلة والمتفوقة، بدور «الدولة» الكبرى التي لا يرد لها قول، ولا يُراجع لها قرار... والتي تملك - متى شاءت - أن تتدخل في أمور سائر الدول والشعوب... لتحقيق أهداف وحماية مصالح أميركية خالصة، ينتحل لها غطاء دولي داخل الأمم المتحدة وخارجها... وتعطى لها أسماء وشعارات توهم أن «التدخل» في شؤون الآخرين ليس عملاً أميركياً

القطبية الواحدة أدت إلى زوال ما كان عليه النظام الدولي من توازن

وإنما هو عمل دولي إنساني وحضاري تقوده الولايات المتحدة باسم شعوب العالم وحماية لمصالح تلك الشعوب.

لقد أدت القطبية الواحدة إلى زوال ما كان النظام الدولي يقوم عليه من توازن... وبزوال هذا التوازن لم يعد أمر العلاقات الدولية محكوماً بنظام وإنما صار «حال واقعية» تتحكم فيها إرادة دولة واحدة... تستعلي على كل قيد قانوني... وتمارس حرية استخدام القوة متى شاءت وكيف شاءت... إذ لم تعد هناك - على الساحة الدولية - «سلطة تحد السلطة» كما كان «مونتسكيو» يقول في دفاعه عن مبدأ الفصل بين السلطات داخل الدولة الواحدة، وبهذا كله تعاظم الإغراء باستخدام القوة التي تملكها الدولة القطب، وصار العالم، عند كل أزمة، يحشد قواه بأنواعها المختلفة، لا لمنع استخدام تلك القوة من جانب دولة القطب الواحد، وإنما لمحاولة إقناعها بالامتناع عن ممارسة هذا العنف، وهي محاولة تصل في بعض صورها إلى حد الاستجداء والتوسل.

ثانياً: ما طرأ على العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدول والشعوب من انفتاح غير مسبوق.. فقد انتشرت الحواجز الزمانية والمكانية التي عاشت في ظلها الشعوب خلال عشرين قرناً من عمرها نتيجة الثورات العلمية في الكثير من الميادين، وبصفة خاصة نتيجة الثورات العلمية في ميادين الانتقال والاتصال... إذ ترتب على تلك الثورة سهولة تحرك الأفراد والسلع والخدمات عبر حدود الدول وحدود القارات... كما ترتب عليها زيادة هائلة في الفرص المتاحة أمام الأفراد للتعرف إلى الثقافات الأخرى بعناصرها المختلفة وأساليبها المتنوعة في العيش، ومنظوماتها القيمة التي تختلف فيما بينها اختلافاً واسعاً... وبسبب السرعة



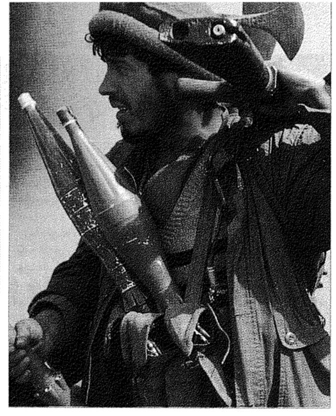
الهائلة التي تم بها الانتقال من حال العزلة النسبية إلى حال المواجهة التي لم يسبقها تعرف كافٍ على ثقافة أولئك الذين يعيشون على الجانب الآخر من الحدود القديمة... وقع الجميع في حال ارتباك وحيرة... وطرح الساسة والمفكرون على شعوبهم وعلى أنفسهم سؤالاً كبيراً يدور حول صورة العلاقة المتوقعة بين الشعوب مختلفة الثقافات... وما إذا كانت الصراعات القديمة حول المصالح المتعارضة بين الدول والشعوب التي كانت تؤدي في كثير من حالاتها إلى وقوع مصادمات ومواجهات تصطرع فيها القوى العسكرية والاقتصادية.. وما إذا كانت تلك الصراعات ستستمر في المستقبل، وإذا كان مقدراً لها أن تستمر فهل تحل «الاختلافات الثقافية» محل الخلافات السياسية القديمة.

وقبل أن تجرى حوارات علمية هادئة وموصولة الحلقات حول هذا السؤال الكبير، ذي الخطر الكبير... ألقيت في الساحة فكرتان... لهما بريق كبير... سرعان ما لفت الأنظار، واستدعى الكثير من ردود الفعل من جانب الباحثين والمؤرخين وراسمي السياسات... فأما الفكرة الأولى فهي فكرة نهاية التاريخ، ومؤداها أن التطور السياسي في العالم قد بلغ مداه، وأن الرؤى السياسية الأساسية التي أفرزتها الحضارة الغربية والتي استقرت في أرض أوروبا وأميركا... قد صارت الرؤى النهائية التي ليس بعدها تطور ولا تعقبها حلقات جديدة... وأشار صاحب هذه النظرية الأستاذ «فرنسيس فوكوياما» إلى أهم معالم تلك الرؤى السياسية، وهي في جوهرها رؤى تعتمد على مبدأ المشاركة السياسية ومبدأ احترام حقوق الإنسان... كما تعتمد الحرية الاقتصادية والاعتماد في التنمية وفي النشاط الاقتصادي على قوانين السوق التي تقوم على فتح الأبواب واسعة أمام المنافسة الاقتصادية الحرة.

وإذا كان «فوكوياما» لا يتحدث

كثيراً عن الحضارات أو الثقافات الأخرى... فإنه في حقيقة الأمر يضع «الغرب وثقافته» في مواجهة مع سائر شعوب الدنيا وثقافاتها المختلفة أو في معادلة جوهرها... الغرب وحده في مواجهة الباقين The west nd the Rest.

أما الفكرة الأخرى فهي فكرة «صراع الحضارات» Clash of Civilization باعتباره المحرك الأساسي للعلاقات بين الشعوب... أي أن صراع الأيديولوجيات، والقوميات ينسحب الآن من الساحة ليحل محله «صراع الحضارات» الكبرى المعاصرة... والجديد في مقولات «صموئيل هنتنغتون» صاحب هذه الفكرة، أنه لم يطرحها في إطارها النظري فحسب، وإنما انتقل إلى استعراض الحضارات المعاصرة وتوقف عند حضارتين يعتبرهما الأكثر حيوية، ويعتبرهما - لذلك - محوراً للصراع الكبير المنتظر... الأولى هي الحضارة الغربية التي صار مدها كاسحاً، والأخرى هي الحضارة الإسلامية التي تطرح رؤى مخالفة ومناقضة أحياناً لرؤى الحضارة الغربية... وهو التعارض الذي يرشحها لجولات لاحقة من الصراع... ومع أن كاتب هذه السطور لا ينكر بحال أن في النظرية جانباً من الحقيقة، حين نتصور ما يمكن أن يؤدي إليه اختلاف المنطلقات الفكرية والأخلاقية للحضارتين من منافسة حادة بين أتباع الحضارتين، إلا أنه يلاحظ الآثار السلبية لطرح فكرة «صراع الحضارات» على النحو الذي طرحها به «هنتنغتون»... إذ هو - في بعض المواضع من الكتاب يبدو كما لو كان يتجاوز الوصف والرصد إلى ما يشبه الترويج والتحريض... وبغض النظر عن حقيقة المنطلقات الفكرية التي أوصلت «هنتنغتون» إلى فكره عن صراع الحضارات، فمن المؤكد أن الكتابات قد تركت أثراً واضحاً على المفكرين والساسة من أبناء الحضارتين... فتصور كثيرون في الغرب أن «المسلمين ودينهم الإسلامي» هم «العدو الجديد» أو «العدو المنتظر» الذي على الغرب أن يواجهه ويصارعه... إن لم يكن اليوم فغداً أو بعد غد.



وعلى الجانب الآخر ازداد توجس العرب والمسلمين من مستقبل علاقتهم بالغرب... ورأى كثير منهم في الأفق نذر شر مقبل يستهدف كسر شوكتهم، وتهميش دورهم، وتشويه ثقافتهم... حتى يصل بهم الأمر في نهاية جولات الصراع، إلى الدخول في الثقافة الغربية الكاسحة أفواجاً بعد أفواج.

ثالثاً: إن طرح فكرة «صراع الحضارات» والحديث أحياناً عن هذا الصراع كما لو كان حتماً مقضياً لا سبيل للنجاة منه... قد استدعى رد فعل مقابل تمثل في الدعوة النشطة إلى توقي هذا الصراع، عن طريق المسارعة إلى فتح أبواب الحوار بين أبناء الثقافات المختلفة... حتى يتعرف بعضهم إلى بعض، لعل هذا الحوار يُفضي بهم إلى اكتشاف أن الفجوة التي تفصلهم ليست بالاتساع الذي تصوره قبل أن يتعرفوا بالدقة الكافية بعضهم على بعض... وإذا كان الحوار بين أبناء الثقافات المختلفة لم ينقطع خلال عصور التاريخ القديمة، فإنه لم يكن في معظم حالاته حواراً مدبراً يقصد به النجاة من تبعات الصراع والمواجهة، وإنما كان أمراً عفوياً وتلقائياً تم من خلال التجارة، والغزو، وحوارات العلماء والفلاسفة والساسة... أما الحوار المدبر والمقصود فقد نما تدريجياً، وإن كانت خطوات هذا النمو قد تسارعت مع مراحل انكسار حواجز الزمن والمكان نتيجة الثورة العلمية التي أشرنا إليها في مطلع هذا البحث.

ودخل هذا الحوار منعطفاً جديداً منذ وقع على الساحة الدولية الانقلاب الكبير بالانهيار المفاجئ للمعسكر الشيوعي، وانفراد الولايات المتحدة بوصف الدولة العظمى أو القطب الأوحد.

وإذا كان الباعث الأول على التوجه نحو الحوار مع الآخرين الرغبة في تجنب المواجهة والصراع، إشفاقاً من آثارهما المدمرة... فإن باعثاً أو منطلقاً آخر لم يلبث أن أضيف إلى هذا الباعث الأول، ونعني بذلك اتساع الإحساس بوجود أخطار مشتركة تتعرض لها الشعوب جميعاً... على اختلاف أصولها العرقية، وعقائدها الدينية، ونصيبها من القوة والثراء... ونشير بذلك إلى أخطار أربعة كبرى، تزايد إحساس الناس جميعاً بما تحمله من تهديد للحياة وللحرية... وهي:

الخطر الأول: خطر الأمراض المهددة للحياة، الذي انتشر بعضها انتشار الحريق... وصار إحدى المشكلات الكبرى التي تواجهها جميع الشعوب ولا تكاد تجد منها مخرجاً... وحسبنا أن نشير إلى مرض الايدز الذي هز الدنيا هزاً... وخصوصاً حين ينتشر بين شعوب فقيرة، حظها من العلم قليل، وحظها من الرعاية الصحية أقل من القليل... ووجه الاهتمام الكبير بخطر هذا الوباء القاتل: إنه سريع الحركة والانتشار، وأن محاربته تحتاج فعلاً إلى تعاون دولي كبير.

الخطر الثاني: خطر التلوث وتدمير البيئة، ونشير إلى تلوث البيئة الناشئ من انتشار المصانع، وهو الانتشار الذي يبلغ قمته في الدول الصناعية الكبرى... كما نشير إلى تلوث مياه البحيرات والأنهار، كما نشير إلى استهلاك بعض الموارد الطبيعية استهلاكاً يهدد بنفادها..... قبل إيجاد بديل لها.

الخطر الثالث: خطر العنف والإرهاب، واستخدام الأسلحة التي صار الحصول عليها ميسراً ومباحاً ومتاحاً لكثير من الدول... وقد دلت تجارب العقود الأربعة الأخيرة من القرن الماضي على أن وصول بعض أسلحة الدمار الشامل، أو تقنيات الأسلحة الأقل تطوراً ولكنها قد لا تقل أذى وتدميراً، إلى أيد عدوانية ومغامرة

كثير من العرب رأوا في علاقتهم مع الغرب نذر شر كسر شوكتهم

أدنى ما يقال تجاه معاداة الغرب للمسلمين أن الفكرة تحتاج إلى إعادة تأمل حتى تضيف دائرة المعاداة

وغير مسؤولة يمثل خطراً عشوائياً رهيباً على حياة الأفراد وعلى المنشآت والمرافق العامة والخاصة... وأن هذا الخطر قد صار هو الآخر عابراً للقارات، غير معترف بحدود الدول ولا ملتفت للثقافات، وأنه لذلك يمثل خطراً مشتركاً تزداد جسامته يوماً بعد يوم، حتى إن بعض الجماعات الإرهابية قد صارت أحد اللاعبين الأساسيين على الساحة الدولية.

الخطر الرابع: انتشار المادية المصاحبة للنظام الرأسمالي في المرحلة الجديدة من مراحل تطوره.. التي تزامنت وتواكبت مع الثورة في مجال الحاسبات والراصدات الإلكترونية.. بحيث دخل ملايين الأطفال والشباب في دوامة إدمان التواصل اليومي مع هذه الآلات على حساب العلاقات الإنسانية مع الأفراد الآخرين... ومن شأن غياب التجارب الإنسانية الكافية مع الآخرين خلق روح من الأنانية والانطوائية... التي قد تنتهي إلى علاقات إنسانية باردة، أو غير ودية تهدد بسهولة الوقوع في دوامة أخرى من العنف وتبادل العدوان.

إن موقفنا الأساسي الذي كتبت هذه الورقة شرحاً له ودفاعاً عنه، يتلخص في أن أبناء الثقافات المختلفة يقفون اليوم على خطوط المواجهة، لم يقرروا بعد ما يفعلونه إزاء هذه المواجهة، وأن هناك فرصاً واحتمالات تكاد تكون متساوية لاختيار واحد من البديلين: بديل المواجهة والعنف المتبادل، استمراراً لظاهرة الصراع في الحياة الإنسانية.. وبديل التعاون على درء الأخطار المشتركة وبناء المصالح وتحقيق المنافع المشتركة.

ولكل من هذين البديلين ثقافته التي تزكيه وتؤمنه وتتناسب معه.

ويعنينا هنا تجلية المداخل الأساسية لبناء ثقافة التعاون والتكامل... وهي نقيض الثقافة التي تبنى على أساس حتمية الصراع والمواجهة... التي تهيئ أتباعها للدخول في حلقات ذلك الصراع.

إن هناك ثلاثة مداخل أساسية لثقافة التعاون والتكامل:

المدخل الأول: الإيمان بأن التعددية سنَّة من سنن الله، وأن التنوع خلق من خلقه: (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات) المائدة:٤٨.. ومما يستوقف النظر أنه عندما انتشر الحديث عن العولمة منذ نحو عشرين سنة، كان هذا الانتشار مقترناً بانتشار الحديث عن التعددية Pluralism، وكان هذا الحديث عن التعددية تنبيهاً إلى أنها واقع لا مهرب منه، وأن حتمية استمرارها تقتضي توظيفها توظيفاً إيجابياً لا تتحقق به المنافع للناس جميعاً، ومع ذلك فإن مراجعة الأدبيات السياسية والاجتماعية للسنوات العشر الأخيرة تكشف عن تراجع الإشارة إلى «التعددية» في كثير من الكتابات، وأن فكرة العولمة قد انفردت وحدها بالعناية والاهتمام، وهو أمر يدعو إلى الأسف ويثير أسئلة كثيرة حول ما إذا كان الحديث الموصول والمعاد عن «العولمة» هو محاولة لفهم ظاهرة ورصد آثارها، أم أنه دعوة وتحريض وتمكين لأنواع جديدة من العلاقات تتسع معها مساحة التأثير المتاح لبعض القوى على حساب مصالح جماعات وشعوب غير قادرة - في حالها الراهنة على الأقل - على مبادلة التأثير بمثله في إطار من المساواة والندية.

الحديث عن العولمة مقترن بالحديث عن التعددية وهذا تنبيه أنها واقع لا مهرب منه

وفي هذا السياق يأتي التنبيه في الإسلام إلى حقيقة التنوع، وظاهرة الاختلاف، لافتاً للنظر، وكاشفاً عن عنصر من أهم عناصر التصور الإسلامي للوجود الإنساني، وهو تصور يبدأ بالتنبيه إلى أن «التعدد» سنَّة وواقع قائم، ولكنه تعدد يتم في إطار وحدة التنوع الإنساني التي تشير إليها الآية الكريمة: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) الحجرات:١٣، كما أنه تعدد هادف... على الناس أن يوظفوه لمصلحتهم جميعاً من خلال «التعارف»... وغني عن الذكر أن أداة التعارف الكبرى والمثلى هي الحوار الذي تتحقق به معرفة كل طرف لشريكه في الحوار.

المدخل الثاني: إعادة النظر في فكرة «العدو» وتحديد الأسس التي يتحول بها طرف إلى أن يصير «عدواً» و«خصماً» لصاحبه... ذلك أن مراجعة فكرة العدو هذه في التاريخ الإنساني تكشف عن أن هذه الفكرة قد استخدمت في أكثر الأحيان، وسيلة إلى دفع الناس لمواجهة بعضهم بعضاً على نحو يخدم مصالح الحكام ويضمن استمرار خضوع الناس لهم.

كشفت تلك المراجعة عن أن أحداً لم يستفد استفادة حقيقية من هذه الفكرة، وأدنى ما نقوله في هذه القضية المعقدة أن الفكرة تحتاج إلى إعادة تأمل حتى تضيق دائرة «المعاداة» لتقتصر على حالات العدوان السافر على الحقوق الأساسية للأفراد والشعوب.

وهنا أيضاً نلمح الفارق الهائل بين النظر إلى الآخر على أنه خصم وعدو وهو النظر الذي عبر عنه «جان بول سارتر» حين وصف «الغير» بأنه الجحيم. والنظر الإسلامي «للغير» باعتباره «نعيماً» آخر... يقترب منه، ويتعامل معه بالقسط «وهو أدنى صور حسن المعاملة» وبالبر «الذي ينطوي على تجاوز دائرة العدل والدخول في دائرة الإحسان والعطاء والإيثار»... كما يلفت النظر أن الإسلام يقرر في وضوح لا مزيد عليه أن الأصل في علاقات الأفراد والشعوب إنما هو البر والقسط... وليس الإقصاء والعدوان... يقول تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرُّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) الممتحنة:٨.

المدخل الثالث: الإيمان «بالمساواة» في المعاملات على اختلاف أنواعها، والارتفاع فوق عوارض اختلاف الألسنة والألوان والعقائد، ذلك أن الناس إن لم يكونوا - في كل الأحوال - إخوة في العقيدة، فهم شركاء في الإنسانية والتكريم الإلهي في القرآن الكريم، ثابت لبني آدم جميعهم وليس لأصحاب ثقافة دون أخرى... أو أبناء عنصر أو لون دون سائر العناصر والألوان... يقول تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم) الإسراء:٧٠.. وأصل المساواة ثابت في أصل الخلق «من ذكر وأنثى»... «فكلكم لآدم وآدم من تراب»... والناس جميعاً عند الله «سواسية كأسنان المشط»... «لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى»... أي بأساس موضوعي وأخلاقي للتفاضل (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات:١٣.. ومن لوازم المساواة وتوابعها المنطقية أن يستقر لدى الأفراد والشعوب أن أحداً لا يحتكر معرفة الحق، وأن الحكمة موزعة في الناس ومبثوثة في الشعوب المختلفة... ومن لوازم ذلك امتناع الاعتقاد بجواز إكراه الآخرين على ما لا يعرفون أو ما لا يحبون... حتى ولو تعلق الأمر بالعقيدة الصحيحة... يقول تعالى: (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا

مـؤمنين) يونس:٩٩.. وإيماناً بـهـذه الأسس الثابتة كان رفضنا - نحن العرب والمسلمين - لمحاولات الهيمنة علينا من جانب قوى أجنبية كبيرة أو كبرى، وكان رفضنا لكل سعي للتدخل في مفردات ثقافتنا وإحلال مفردات أخرى محلها... إن هذه المحاولات تكشف عن أن هناك من لم يتخلصوا بعد من عقد الاستعلاء والاعتقاد بالتفوق الثقافي الذي يفسر هذا الصلف والغرور في التعامل مع شعوب لها في التاريخ الإنساني إسهام مشهود، وعندها - حتى في لحظات الضعف والتراجع التي تعيشها - ما تقدمه للإنسانية، مما يُصلح بعض أمرها، ويعصمها من بعض عثراتها.

المدخل الرابع: تزكية روح السلام، داخل المجتمعات، وبين الشعوب المنتمية لثقافات مختلفة.

وقضية السلام في الإسلام تحتاج إلى تجلية لحقيقة أمرها، بعد أن تورط بعضهم في خطيئة اتهام الإسلام والمسلمين بأنهم أهل عنف وجفوة وعدوان على الآخرين... وأنهم - بهذا وله - يمثلون خطراً على سلام العالم كله... ومن عجب أن يبدأ كثير من المتحاملين على الإسلام ويعيدوا فيما يسمونه «الحرب المقدسة» Holy War.. وهذا المصطلح غريب على المسلمين، وإنما جرى استخدامه في أوروبا، ثم اتهم به المسلمون على غير بيِّنة ولا دليل... فالإسلام لا يقدِّس الحرب في أي حال من أحوالها، وإنما هي أمر مكروه في ذاته (كتب عليكم القتال وهو كره لكم)... ولهذا قال سبحانه: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) الأنفال:٦١. ومنَّ سبحانه على المسلمين بأنه: (وكفى الله المؤمنين القتال) الأحزاب:٢٥، كما منَّ عليهم بقوله: (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) الفتح:٢٤.

ولسنا - بعد ذلك - في حاجة إلى أن الأصل في الإسلام منع القتال، وأن اللجوء إليه استثناء لا يجوز إلا عند الضرورة... والضرورة تقدر بقدرها... ولهذا احتاج المسلمون إلى إذن إلهي قبل أن يلجأوا للقتال دفاعاً عن أنفسهم ودينهم وحريتهم... (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا)... وظل الاعتداء إذا تجاوز حد الضرورة أمراً منكراً ومنهياً عنه (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) البقرة:١٩٠.

وبعد... فلم يكن الهدف من وراء هذا البحث مجرد تقديم تصور نظري لعناصر ثقافة التعاون والتكامل، وإنما كان الهدف الأساس الذي نروِّج له ونزكِّيه، هو حث أبناء الثقافات المختلفة على استظهار حقيقة وحجم الأخطار المشتركة... وهي أخطار - كما قدمنا - لا عاصم منها ولا راد لها إلا بعمل مشترك وتوجه فكري وقلب جديد يلتقي عليه المؤمنون بوحدة «بني آدم» والمدركون للحقيقة الكبرى التي تؤكد أن أوجه الالتقاء والاشتراك بين الثقافات المختلفة قد تكون خلافاً لما درجنا على تصوره، وأكبر من أوجه الاختلاف والتمايز... التي بالغنا في تقديرها، فاندفعنا إلى مواجهات ومصادمات تجرعنا جميعاً مرارة ثمراتها...

إن التأمل الهادئ في مكونات «النسيج الثقافي» لأتباع الحضارات الكبرى المعاصرة يكشف عن أن أقل ما يُقال في «العناصر المشتركة» بينها أنها تكفي تماماً لإقامة «تعاون» موصول بين أبناء تلك الحضارات... وهو تعاون يقوم، أو ينبغي أن يقوم على أساس من تبادل الأفكار وتبادل الخبرات المتراكمة، والتجارب المعاصرة دون أن يقوم على أساس تنازل أحد عن شيء من ثوابت عقيدته، أو عناصر ثقافته... إلا أن يكون الأمر أمر تعديل حر وتلقائي تماماً في بعض تلك العناصر ولدته تجربة الحوار مع أبناء ثقافات أخرى... والحكمة - من قبل ومن بعد - ضالة المؤمن العاقل ينشدها حيث وجدها.

ولابد لنا في نهاية هذا البحث أن نوجه دعوتين، إحداهما نوجهها إلى الباحثين والمفكرين والدعاة والساسة من أبناء كل الحضارات المعاصرة... ندعوهم فيها إلى مؤازرة الجهود الكثيرة التي نراها حولنا للوقوف في وجه ثقافة الصراع والمواجهة ولنشر ثقافة التعاون والتكامل، درءاً لأخطار المواجهة وطموحاً إلى الانتفاع بثمرات التعاون على الخير والبر، ونخص بهذه الدعوة جميع العاملين في حقل «الدعوة الدينية داخل المؤسسات الدينية الرسمية وخارجها... ذلك أن الأديان كانت ولا تزال أحد المواجهات الكبرى إن لم تكن الموجه الأكبر والمحدد الأساس للرؤية الثقافية لجماهير الناس... وإذا استطاع رجال الدين ودعاته أن يجتمعوا في هذه القضية على كلمة سواء... فإنهم يكونون بذلك قد أعذروا إلى ربهم، ونفعوا قومهم، والدنيا كلها من ورائهم، ودرأوا عن الإنسانية أخطار مواجهات ومصادمات نرى بعض نذرها، ولا نكاد نرى عواقبها الوخيمة وآثارها المدمرة.

كذلك يبقى أن نوجه دعوة خاصة لجميع المثقفين في عالمنا العربي والإسلامي، ولأهل العلم الديني والسياسي منهم أن يفتحوا أمام أمتنا أبواب هذا التعاون مع أصحاب الثقافات الأخرى، وهي أبواب سعى إلى غلقها الذين يقودون حملة التشويه والتطاول على الإسلام وعقيدته وشريعته وثقافته كلها.

ولا سبيل إلى إعادة فتح هذه الأبواب، إلا بما نسميه «الهجوم المضاد النشط» تعريفاً - من جديد - بطبيعة الإسلام ورؤيته الكلية للإنسان، وللكون، وتذكيراً بالأخطار المشتركة والقيم المشتركة، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ●

واجب المثقفين وأهل العلم الديني أن يفتحوا أمام أمتنا أبواب التعاون مع الثقافات الأخرى التي أغلقها من يقودون حملة التشويه





اقتصـــاد

البلدان الإسلامية واتفاق تجارة الخدمات

بقلم: د.صباح نعوش. باحث اقتصادي. فرنسا



يرمي اتفاق تجارة الخدمات إلى تحرير المبادلات الخارجية من مختلف أنواع القيود. يحقق هذا الهدف مكاسب محدودة لبعض الدول الإسلامية ويسبب مشكلات عدة مالية واقتصادية واجتماعية لمعظمها، ولا يمكن التأثير مباشرة على أحكام هذا الاتفاق نظراً لضعف إسهام العالم الإسلامي في القرارات التجارية الدولية، وبات من اللازم البحث عن كيفية وإمكانية الاستفادة منه ليخدم مصالح جميع البلدان الإسلامية.

إلى عهد قريب كان يطلق على الخدمات اسم القطاع الثالث إشارة إلى الزراعة وهي القطاع الأول والصناعة وهي القطاع الثاني في تكوين الناتج المحلي والإجمالي. ولم تهتم البرامج الاقتصادية والمالية بتطوير الخدمات إلا لتهيئة المناخ الملائم للزراعة والصناعة. كما ساد الاعتقاد بأن معظم الخدمات غير قابلة للتبادل، وبالتالي يتعذر تصديرها واستيرادها، لذلك لم تكن مشمولة بأحكام «الغات» ولم تحظ بعناية الجولات التجارية المتعددة الأطراف طوال الفترة الواقعة بين الأعوام ١٩٤٧ و١٩٨٦م، وعلى إثر التقدم التكنولوجي وتحرير حركة رؤوس الأموال وانتقال الأنشطة الاقتصادية من القطاع العام إلى



القطاع الخاص تغيَّرت النظرة للخدمات، فأصبحت تحتل المرتبة الأولى في تكوين الناتج المحلي الإجمالي للدول الصناعية وأغلب البلدان النامية، وباتت تشكل خمس التجارة العالمية، وتتقدم بسرعة تفوق سرعة تجارة السلع، لذلك لا يمكن تركها دون قواعد تنظيمية تحكمها على الصعيد الدولي، وهكذا اهتمت جولة «أوروغواي» في الأعوام (١٩٨٦ ـ ١٩٩٤) اهتماماً كبيراً بتجارة الخدمات فظهر الاتفاق العام بشأنها حال إنشاء منظمة التجارة العالمية في العام ١٩٩٥م.

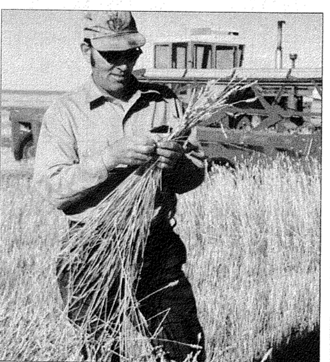
يرتكز هذا الاتفاق كغيره من الاتفاقات التجارية المتعددة الأطراف على مبدأ تحرير المبادلات من كل القيود، ولكن على خلاف الاتفاقات الأخرى لا يتهم اتفاق تجارة الخدمات بإزالة الرسوم الجمركية لأن الخدمات على عكس السلع لا تتحمل بطبيعتها فرض مثل هذه الرسوم، تكمن القيود المفروضة عليها في الإجراءات القانونية التي تحد من نفاذها إلى الأسواق، وعلى الرغم من ذلك يتسم تنظيم هذه التجارة بالتعقيد بسبب تباين مصالح الدول ونظراً لكثرة العدد والتنوع وأحياناً خطورة الخدمات لذلك لا يزال اتفاق تجارة الخدمات غير نهائي. إنه إطار يخضع للمراجعات ويقبل التعديلات عن طريق المفاوضات

المتالية باتجاه زيادة التحرير.

وغني عن البيان القول: إن الالتزام بأحكام الاتفاقات المتعددة الأطراف بما فيه الاتفاق حول تجارة الخدمات يقتصر على الدول الأعضاء في منظمة التجارة العالمية، في الوقت الحاضر إذ يبلغ عدد أعضائها ١٤٤ دولة منها ٣٣ دولة إسلامية، وتجري مفاوضات مع أقطار إسلامية أخرى بشأن اكتساب العضوية، لكن البلدان الإسلامية الأعضاء في هذه المنظمة لا تستطيع الدفاع بفاعلية عن مصالحها وقيمها المشتركة بسبب غياب الإطار القانوني والاقتصادي الموحد، حيث يقود هذا الوضع إلى إضعاف إسهاماتها في قرارات المنظمة وفي المفاوضات التجارية التي تتمخض عنها الاتفاقات المتعددة الأطراف.

لتجارة الخدمات خصوصيات في البلدان الإسلامية، فهي من جهة تستحوذ على نسبة عالية يصل معدلها إلى ٤٢٪ من الناتج المحلي الإجمالي، الأمر الذي يشير إلى دورها الكبير في التنمية الاقتصادية، ومن جهة أخرى لا تشكل سوى نسبة ضئيلة لا تتعدى ٦٪ من التجارة العالمية للخدمات الأمر الذي يعكس ضعف الإمكانات التكنولوجية والمالية لهذه البلدان وتدني قدراتها على المنافسة في السوق العالمية.

تعتمد تجارة الخدمات في الدول الصناعية على مجالات واسعة منها الاتصالات بكل أنواعها، والتأمين والخدمات المصرفية والنقل بمختلف أشكاله والسياحة والاستثمارات المباشرة. في حين ترتكز صادرات الخدمات الإسلامية على مجالين أساسيين: هما تحويلات دخول العمال المقيمين بالخارج وتشكل نسبة (٥٥٪ من مجموع صادرات الخدمات الإسلامية) وإيرادات السياحة الدولية وتشكل (٣٠٪ من الصادرات). يعتمد هذان المجالان كما هو معلوم على تنقل الأفراد من بلد إلى آخر، ولم يتم حتى الآن الاتفاق على تنظيم هذا التنقل،



ونتيجة لضعف الإمكانات التكنولوجية والمالية وبسبب الاعتماد على عدد قليل من الخدمات، تعاني موازين الخدمات من عجز مزمن في أكثر من أربعين دولة إسلامية.

مضمون الاتفاق

ينطبق الاتفاق على التجارة الخارجية للخدمات بمفهومها الواسع. فهو لا يقتصر على عبور الخدمات لحدود الدولة كما هو حال التجارة السلعية، بل يمتد ليشمل جميع العمليات لمجرد كون أحد أطرافها «المستهلك أو المورد» أجنبياً، وتتخذ تجارة الخدمات بهذا المعنى أربعة أشكال: تأدية خدمة من قبل دولة إلى دولة أخرى كالمكالمات الهاتفية. وتقديم خدمة من قبل دولة لصالح مستهلك أجنبي كالسياحة. ووجود شركات أجنبية عاملة في دولة ما كالبنوك الأجنبية. ووجود أفراد أجانب يقدمون خدمات لدولة ما وهم العمال الأجانب.

ويتضمن الاتفاق المبادئ العامة التي تسري على جميع أعضاء منظمة التجارة العالمية، وهي الدولة الأولى بالرعاية والمعاملة الوطنية وشفافية السياسة التجارية. فعلى كل عضو أن يمنح حالاً معاملة متساوية لجميع الأعضاء، أي يجب أن تسري الامتيازات الممنوحة لخدمات دولة ما على خدمات الدول الأخرى ولكن يمكن منح امتيازات أكبر لدولة أو لدول معينة شرط الإعلان عن ذلك في قائمة الاستثناءات على مبدأ الدولة الأولى بالرعاية. وعلى كل عضو في المنظمة أن يعامل الخدمات الأجنبية معاملة الخدمات المحلية. وعليه نشر القوانين والأنظمة والقرارات والإجراءات التفصيلية المرتبطة بالخدمات. ويتعين إعلام مجلس تجارة الخدمات التابع للمنظمة على الأقل مرة واحدة سنوياً بالتعديلات التي تطرأ عليها.

لتجارة الخدمات خصوصيات في البلدان الإسلامية، فهي تستحوذ على نسبة عالية

وتتولى أجهزة منظمة التجارة العالمية فحص السياسات التجارية لجميع الدول الأعضاء، ويهدف هذا الفحص الدوري إلى إظهار مدى احترام العضو لالتزاماته، كما تؤكد معظم تقارير فحص السياسات التجارية للبلدان الإسلامية على ضرورة احترام شفافية القوانين والأنظمة والقرارات الإدارية، وهذا مهم جداً بغض النظر عن الانتماء لمنظمة التجارة العالمية وعن مدى احترام الدول الأعضاء فيها للاتفاقات المتعددة الأطراف. إذ ترتبط هذه الشفافية بسيادة دولة القانون وهي من العناصر الأساسية للتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي.

بموجب الاتفاق يتعين على الدول الأعضاء في منظمة التجارة العالمية وضع قوائم تتعلق بالتزامات النفاذ إلى أسواقها وشروط هذا النفاذ. ويتم إنشاء هذه القوائم بمحض إرادتها. فعلى سبيل المثال تسمح الدولة للمؤسسات المصرفية الأجنبية بالعمل داخل إقليمها. إنه التزام بالنفاذ إلى السوق. وعلى افتراض عدم خضوع المؤسسات المصرفية الوطنية لأي شرط ووجود شرطين في قائمة الالتزامات. أولهما ألا يقل رأسمال المصرف الأجنبي على مبلغ معين، وثانيهما ألا يزيد الإسهام الأجنبي فيه على نسبة معينة. يحد هذان الشرطان إذاً من النفاذ إلى السوق.

يحق للدولة في أي لحظة تعديل التزاماتها باتجاه زيادة التحرير كأن تحذف الشرطين أو أحدهما في هذا المثال وهذا ما يسعى إليه النظام التجاري العالمي. أما إذا كان التعديل باتجاه تقليص النفاذ إلى السوق أي وضع قيود جديدة كأن يدرج شرط ثالث للموافقة على نفاذ المصرف الأجنبي يتعين في هذه الحال أن تمضي على تنفيذ الالتزام بالنفاذ مدة لا تقل عن ثلاث سنوات، وعلى الدولة إعلام مجلس تجارة الخدمات برغبتها في إجراء التعديل قبل ثلاثة أشهر من تاريخ تنفيذه. في حال عدم اعتراض أي

عضو في منظمة التجارة العالمية يدخل التعدي حيز التنفيذ وتتحرر الدولة من التزاماتها. أما إذا أدى التعديل إلى تضرر عضو ما يتعين إجراء مفاوضات ثنائية لإزالة الضرر عن طريق التعويض كأن يحصل العضو المتضرر على امتيازات تجارية أو مادية جديدة من الدولة. وإن لم تقد المفاوضات إلى حل يجب اللجوء إلى التحكيم.

ينطبق هذا التحليل على جميع أنشطة تجارة الخدمات كالوكالات السياحية ودور السينما ومؤسسات الاتصالات الهاتفية وشركات النقل. في معظم الحالات لا تستفيد البلدان الإسلامية من النفاذ إلى الأسواق العالمية لأن مؤسساتها التي تهتم بهذه الأنشطة لا تقوى على منافسة مؤسسات الدول الصناعية الكبرى. أضف إلى ذلك أن إنشاء مثل هذه المؤسسات يكلف أموالاً باهظة غير متوفرة لدى معظم الأقطار الإسلامية. فالنتيجة النهائية تحرير تجارة لخدمات يعني السماح لشركات الدول الصناعية بالنفاذ إلى أسواق البلدان الإسلامية.

ومن زاوية أخرى تخضع القرارات الحكومية ذات الصبغة الاقتصادية لظروف مرحلية معينة. فقد تستوجب مرحلة أن يكون النقل البري أو البحري أو الجوي تابعاً كله للقطاع الخاص وقد تقتضي مرحلة أخرى أن يكون بعضه تابعاً لهذا القطاع. في كل حال يتعين أن تتوافر الحكومة على مساحة كافية من الحرية في اتخاذ القرار المناسب. تحرير أنشطة كالصحة أو التعليم وفق التنظيم التجاري العالمي يقود بالضرورة إلى فسح المجال أمام المستثمرين الأجانب في إنشاء مستشفيات ومؤسسات تعليمية أهلية. وإذا تبين لاحقاً أن هذا التحرير يخلق مشكلات ترتبط مثلاً بجودة الخدمات الطبية أو بعدم انسجام التعليم الأجنبي مع القيم الإسلامية يصبح الرجوع عن التحرير مقيداً بالشروط السابقة. ويلاحظ أن هذه الشروط وضعت

بموجب الاتفاق يتعين على الدول الأعضاء وضع قوائم تتعلق بالتزامات النفاذ

بحيث يصعب على الحكومات تعديل التزاماتها، إذ تصبح الالتزامات من الناحية العملية نهائية لا رجعة فيها. وهذا أمر خطير يحد من صلاحيات السلطات العامة في تنظيم الحياة اليومية وفق التقاليد والمبادئ المتعارف عليها في المجتمعات الإسلامية.

الاستفادة من الاتفاق

لما كانت الدول الصناعية الكبرى تستحوذ على ثلثي تجارة الخدمات في العالم وتسيطر على المفاوضات المتعددة الأطراف بات من الطبيعي أن يحقق الاتفاق حول هذه التجارة مكاسب كبيرة لها وخصوصاً عندما يتعلق الأمر بالخدمات المالية والاتصالات والنقل. ولكن لا توجد دولة تستفيد من هذا الاتفاق دون أن تتضرر منه، ولا توجد دولة تتضرر دون أن تستفيد منه، وتختلف درجات الاستفادة والضرر تبعاً لمستوى التقدم الاقتصادي والإمكانات المالية والقدرات التكنولوجية، للتعرف إلى كيفية وإمكانية استفادة الدول الإسلامية ولابد من تقسيمها إلى مجموعتين: دول تحقق فائضاً في ميزان الخدمات ودول تسجل عجزاً فيه.

المجموعة الأولى، دول الفائض، في العام ٢٠٠١م حققت تجارة الخدمات في مصر وتونس والمغرب فائضاً قدره على التوالي ٦٦٧٥ و١٥٢٦ و٤٦٦٤ مليون دولار، ويلعب هذا الفائض دوراً مهماً جداً في امتصاص عجز الميزان التجاري السلعي. لأن هذه البلدان سياحية ومصدرة لليد العاملة. وفي تركيا وصلت إيرادات الخدمات إلى ٢٠٦٠٦ مليون دولار وبلغت نفقاتها ٩٧٣٣ مليون دولار. يتأتى هذا الفائض البالغ ١٠٨٧٣ مليون دولار من السياحة وتحويلات دخول العمال الأتراك المقيمين في الخارج. وهذا يغطي جزءاً من عجز الميزان التجاري.

وبالنظر للأهمية الاقتصادية والمالية القصوى لهذه الفوائض يصبح من اللازم تهيئة العوامل المناسبة لتنميتها ومن بينها التحرير الكامل لتجارة الخدمات على الصعيد العالمي. إذ تقتضي مصالح هذه الدول احترام المبدأ العام الذي يرتكز عليه اتفاق تجارة الخدمات. فإذا أقدمت دولة ما على تقليص تحويلات دخول العمال الأجانب المقيمين فيها أو على الحد من سفر مواطنيها للخارج تهبط إيرادات الخدمات في هذه المجموعة من البلدان الإسلامية فتتضرر مصالحها، عندئذ يحق لها الدفاع عن اقتصادها وماليتها بطرق تختلف حسب المواقف من منظمة التجارة العالمية. فإن لم تكن الدولة الإسلامية المتضررة منتمية لهذه المنظمة يتم ردها على إجراءات التقييد بالأسلوب الذي تراه مناسباً، ولا يحق لها الاعتراض أمام المنظمة حتى وإن كان البلد المطبق للإجراءات منتمياً للمنظمة. أما في حال انضمام الدولة الإسلامية إلى منظمة التجارة العالمية فعليها اتباع الطرق التي حددها الاتفاق المتعدد الأطراف الخاص بفض المنازعات التجارية على افتراض أن يكون البلد المطبق لإجراءات التقييد عضواً أيضاً في المنظمة. يجب رفع دعوى ضد هذا البلد أمام المجلس العام (وهو جهاز فض المنازعات)، وتتضمن الدعوى في هذه الحال إثبات وجود تلك الإجراءات وحجم الضرر المتعلق بهبوط الإيرادات وما يترتب عليه من خسائر اقتصادية ترتبط بالصناعة والعمالة والاستثمارات وغيرها، ويتخذ المجلس العام قراراً قد يدين فيه تلك الإجراءات ويحث ذلك البلد على احترام التزاماته. ولكن ليس للمجلس صلاحية توقيع أي عقوبة بل يُدعى الطرفان المتنازعان إلى الدخول في مفاوضات ثنائية لإزالة الضرر إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق ثنائي يحق للدولة المتضررة فرض عقوبات انتقامية كأن تطبق إجراءات مماثلة.

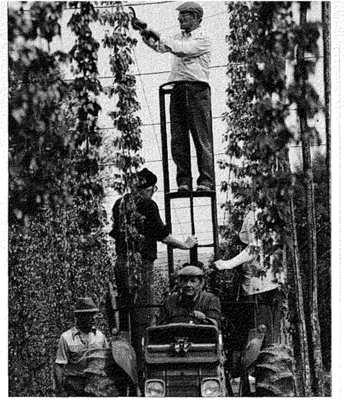
من الناحية العملية يصعب على معظم الأقطار الإسلامية الرد على إجراءات تقييد تجارة الخدمات بعقوبات انتقامية. هنالك أكثر من عشرة ملايين شخص في الاتحاد الأوروبي يحولون قسطاً من دخولهم إلى بلدانهم الأصلية تركيا وباكستان ومصر والمغرب وتونس. في حين يقل عدد الأوروبيين المقيمين في هذه البلدان عن نصف مليون شخص. وبالتالي تصبح العقوبات الانتقامية غير كافية. لا شك أن التنظيم التجاري العالمي يسمح بتوقيع عقوبات انتقامية لا تقتصر على الخدمات، بل تشمل السلع أيضاً. لكن مصالح البلدان الإسلامية تستوجب العكس تماماً أي زيادة المبادلات التجارية مع الدول الصناعية. كيف يمكن لتركيا تطبيق عقوبات انتقامية ضد الدولة الأوروبية، وهي تحاول جاهدة الانتماء إلى ا لاتحاد الأوروبي، وهل من المنطقي أن تتخذ باكستان عقوبات انتقامية في حين أنها تحصل على مساعدات مالية من البلدان الصناعية الكبرى، وكيف تلجأ مصر والمغرب وتونس لعقوبات انتقامية في حين أن سلعها المصدرة تعامل معاملة تفضيلية في الأسواق الأوروبية بموجب اتفاقات الشراكة. بالنتيجة النهائية لا تستطيع البلدان الإسلامية المتضررة توقيع عقوبات

خضع القرارات الحكومية ذات الصبغة الاقتصادية لظروف مرحلية معينة

انتقامية رغم أن النظام التجاري العالمي يسمح بذلك. وبالتالي ليس أمامها سوى الحصول على نتائج إيجابية من خلال المفاوضات الثنائية متمسكة بالمبدأ العام، وهو تحرير تجارة الخدمات من القيود.

ولا تقتصر مصالح هذه المجموعة على تحرير تحويلات دخول عمالها المقيمين بالخارج، بل تشمل أيضاً تحرير الاستثمارات الأجنبية المباشرة. وهذه المجموعة تعاني من عجز في حساب الدخول نظراً لضعف استثماراتها الخارجية مقارنة بالاستثمارات الأجنبية، بمعنى أن حجم ترحيل أرباح الاستثمارات الأجنبية إلى الخارج أكبر كثيراً من حجم ترحيل أرباح الاستثمارات الخارجية إلى الداخل. في تركيا مثلاً وصلت الأرباح المحولة إلى الخارج ٤٦٩٣ مليون دولار، في حين لا تتعدى الأرباح المحولة إلى الداخل ١٦ مليون دولار. على الرغم من المركز السلبي لهذا الحساب وهو جزء من موازين تجارة الخدمات لا تتحقق مصالح هذه المجموعة إلا بتحرير تجارة الخدمات بما فيها حركات رؤوس الأموال. إن وضع قيود على ترحيل أرباح الاستثمارات الأجنبية المباشرة يضر بشدة بهذه المصالح لأن رؤوس الأموال الأجنبية ما تستثمر في ميادين صناعية تعود بالنفع على الميزان التجاري وفي ميادين سياحية تزيد من إيرادات موازين الخدمات. في تونس ٨٧٪ من الشركات الأجنبية الصناعية تهتم بالصادرات. كما أن ١٥٦ مؤسسة مملوكة لمستثمرين عرب وأوروبيين تعمل في مجال السياحة الدولية. إن تقييد أرباح رؤوس الأموال الأجنبية يقود بالضرورة إلى هبوط حجم الاستثمارات الأجنبية إلى درجة كبيرة جداً. وهذا يؤثر سلبياً على الصادرات السلعية وإيرادات الخدمات. لذلك تعتني هذه المجموع اعتناء كبيراً بجلب هذه الاستثمارات عن طريق منحها امتيازات مالية وضريبية مهمة.

المجموعة الثانية. دول العجز، من



مجموع ٥٦ دولة إسلامية عشر دول فقط تحقق فائضاً في تجارة الخدمات، بمعنى أن معظم البلدان الإسلامية تعاني من عجز ميزان الخدمات لأنها غير سياحية بالمفهوم المعروف لدى المجموعة الأولى، بل هي دول مستوردة للخدمات السياحية. ويرتفع عجز هذا الميزان في الأقطار المستوردة للعمالة الأجنبية وغير المصدرة لليد العاملة كما هو حال دول مجلس التعاون الخليجي، في العام ٢٠٠١م بلغ عجز حساب تحويلات دخول العمال ٢٠٨١ مليون دولار في دولة الكويت و٤١٠٠ مليون دولار في دولة الإمارات العربية المتحدة، وتسجل المملكة العربية السعودية الرقم القياسي في العالم الإسلامي حيث وصل عجز هذا الحساب إلى ١٥١٣٩ مليون دولار، وعند إضافة موازين الخدمات الأخرى إلى تحويلات دخول العمال الأجانب يصبح العجز الإجمالي في السعودية ٢٩٦٩٠ مليون دولار وهذا يمتص نصف عوائدها النفطية. وتجدر الإشارة إلى أن دول مجلس التعاون الخليجي أعضاء في منظمة التجارة العالمية باستثناء السعودية التي ستنضم لهذه المنظمة في المستقبل القريب أي حال اكتمال المفاوضات الثنائية.

تؤثر هذه النتائج السلبية على الحصيلة الإجمالية لتجارة الخدمات وبالتالي على ميزان المدفوعات. لذلك ليس من مصلحة هذه البلدان تحرير تجارة الخدمات تحريراً كاملاً. إنها إذاً لا تستفيد من المبدأ العام لاتفاق تجارة الخدمات بل من الاستثناءات الواردة عليه التي تحكمها المادة ١٢ من الاتفاق التي تنص على ما يلي: «إذا كان ميزان المدفوعات يعاني حالياً أو يمكن أن يعاني مستقبلاً من مشكلات خطيرة يمكن للدول تطبيق إجراءات تفيد تجارة الخدمات». ولما كان هذا السماح استثنائياً فهو يخضع لشروط عدة.

يجب أن تكون مشكلات ميزان المدفوعات خطيرة. وتتمثل بهبوط الاحتياطات الرسمية إلى مستوى ينعكس سلباً على التنمية الاقتصادية وبرامج الإصلاح الاقتصادي. فلا يجوز إذاً الاعتماد على إجراءات التقييد إن لم تؤثر التحويلات إلى الخارج على التنمية وبرامج الإصلاح حتى وإن أدت إلى تقليص الاحتياطات الرسمية، ويتعين حصر إجراءات التقييد بفترة زمنية معينة، وخلال هذه الفترة يجب تخفيف حدتها عندما تتراجع مشكلات ميزان المدفوعات، ثم تلغى بزوال سببها، وينبغي أن يشمل التقييد جميع العمال الأجانب بغض النظر عن جنسياتهم، كما يجب أن تنسجم الإجراءات مع اتفاقية صندوق النقد الدولي التي تنص على التزامات عدة من بينها تطبيق سعر صرف موحد للعملة المحلية مقابل العملات الأخرى، فلا يجوز فرض سعر صرف على تحويلات العمال الأجانب يختلف عن سعر الصرف المعتمد في الأنشطة الأخرى كالصادرات والواردات السلعية. وأخيراً لابد من إعلام المجلس العام لمنظمة التجارة العالمية بهذه الإجراءات وتطورها.

في حال الإخلال بأي شرط من الشروط المذكورة يحق للبلد أو البلدان المتضررة مقاضاة الدولة المطبقة لإجراءات التقييد أمام جهاز فض المنازعات التابع لمنظمة التجارة العالمية وفق الطرق المعروفة.

يتضح مما سبق أن الاستفادة من اتفاق تجارة الخدمات الذي يقوم على مبدأ تحرير المبادلات تقتصر على عدد قليل من البلدان الإسلامية، ولكن هذه الاستفادة محددة وضعيفة، ومن أجل تعميم المكاسب يجب العمل بجدية على تمتين العلاقات التجارية البينية، وعلى إحداث تكتل تجاري إسلامي يلعب دوراً فاعلاً في العلاقات الاقتصادية الدولية ●

صعب على معظم الأقطار الإسلامية الرد على إجراءات تقييد تجارة الخدمات بعقوبات انتقامية

قصة العدد

هاوية القنوط



كل الطرق تقود إلى الموت.. وعليها تمشي الحياة حافية القدمين.. الطريق مظلمٌ ورمضاؤه تتوقد.. السماء السنة من اللهب.. الدنيا بؤسٌ ووحشة.. وعليها جنباً إلى جنب تدبُّ الأقدام المكدودة للرجل والمرأة في مسيرتهما معاً.

لا مأوى لك... إذ تضيقُ أمامك الأرضُ بما رحبت.. فقط انظر حولك... لا... لا مكان... و... ولكن لماذا تنظر إليَّ هكذا!؟... لا... لا... لا تفعل ذلك فنظراتك إليَّ بجفون لا ترفّ... تخيفني فكأنها سهام الموت... قالت ذلك وهي تمسك يده... وصمتت... أما هو فكان ردُّهُ مجرَّد التفاتة باردة... أبرد من الجليد... وأشد تذكيراً بالموت.

كانت تحسُّ الموتَ يخترق كيانها... ويسري في عروقها مع كل نقطة دم... كلماتها ترتعش... لقد عِشْتُ طويلاً أحلم ببيت صغير يملأه الأمان... على أمل أن يتحقق ذلك ذات يوم... وتكاد الكلمات تموت في فمها قبل أن تكمل العبارة... بيت...! ـ قال بمرارة كأنها السُّم.

.. عجيب.. وهل يمكن لأي جدار أن يصنع مأوى...؟ وهل في كل بيت أناسٌ يسكنونه...؟ كم من البيوت تشغله حيواناتٌ بشرية ووحوشٌ على شكل بشر...! وهل هناك جدران لها من العلو ما يكفي للوقوف في وجه الموت وإبعاده عنّا؟ أجيبي الآن... لماذا لا تجيبين...؟ «قالها وملء عينيه ألوانٌ قاتمة كئيبة...

جلَسَ الاثنان تحت شجرة عارية من الأوراق خارت أغصانها وتهدلّت... لم تصمد تحت الشمس... الرجل خائر القوى يغطي عينيه براحة كفه... وران بينهما الصمتُ... إلى أن أخذت يده بعد لحظات السكون ومرت عليها بشفتيها تهمس له...

«هل.. هل... هل تعلم أن... أنني ... أنني حامل»!.

أزاح كفه عن عينيه ونظر إليها وتسمّرت نظراته على عينيها.

«لا...» قالها كلمة واحدة فقط.

«وكيف لا...؟ ألسنا زوجين؟ ألم تكن بأصابع رغبتك هذه تتلمس كل موضع من جسدي...!؟» قالت بألم وغضب وعيناها تدمعان بينما بدا الرجلُ صامتاً كتمثال من حجر.

«تبدو كأنما جاء هذا الخبر صدمة لك... أليس كذلك؟»، قالتها وبكلمات باكية أيضاً «نعم...» قال وهو يزفر من العمق وقد بدأت تخبو أمام ناظريه صورة وجهها.

لكنك كنت دوماً تقول: إن عملية تكوّن الجنين في رحم أمه هي أعذبُ إبداعات الخالق في هذا الكون... ألم يحدث ذلك...».

«بلى» قالها وعيناه تائهتان في الفضاء البعيد بنظرة متعبة شاردة لا حياة فيها.

«ولماذا يصدمك خبر حملي بهذا الطفل إذاً؟ ألا تدري أن الحلم بأن يكون لي طفل كامن في كل قطرة دم في جسدي...» قالت هذا وهي تغطي عينيها تداري الدموع.

ومرة أخرى ران صمت طويل بينهما... بينما ظلت نظراته تحدّق فيها... اسمعي... اسمعيني...

ـ ولم ترد المرأة بشيء «سوى تنهدة حزينة» وأمسك بيدها التي كانت تخفي عينيها وهمساتها...

اسمعيني...! إنه في هذا الجحيم من حولنا حيث يشقى الإنسان لاهثاً... وحيث يفرد الموتُ جناحيه كانت عيناها تمتلآن استغراباً وحيرة... كأنما لم تكن تفهم شيئاً مما قال... لكنه استطرد.

«... أنا أفكر في مصير ذلك الطفل في أحشائك... هل سيولد ليموت في أتون حربٍ رهيبة في هذا العصر المتفجّر...؟... ألا ترين هذا الجوع في عالمنا الآن...! هل تريدين أن تضيفي اسماً آخر إلى قائمة موتى المجاعات من الأطفال؟

«عليك منع حدوث هذا...! وغصّت المرأةُ بشهقة من الألم وحرقةِ الغضب المستعرة في جوفها ـ دعيني أقول لك... أنت غيرُ مُدْرِكَةٍ، كيف أن هذا العالم في طريقه للتحول إلى جحيم؟ وكيف سيكون الموتُ فيه بلا أي ثمن وفي منتهى البشاعة؟! سيكون علينا أن نعيش حياة هي نوع من تسمم بطيء ولن نجد على الأرض مكاناً آمناً نهرب إليه على أقدامنا الشقية الدامية... فلا مهرب أمامنا...! هل فقدت عقلك لتقولي ذلك...! هل جننتِ... لن يكون أمام من لا يستطيع التكيُّف مع الرقصة الوحشية لهذا الجحيم إلا أن يُجنّ أو يَنْتَحِرَ... ومع ذلك تريدين أن تنجبي طفلاً... هل تسمعينني...

«كم أنا بحاجة لامتلاك القدرة على الإصغاء لما تقول...! ولا أزعم أنني أملك هذه القدرة!

ضحك الرجل ولم يكن في جوابها ما يضحك... ومرت لحظة تأوّهت في أثنائها

ترجمة: علي محمد محاسنة
عن قصة: نور الهدى شاه. باكستان

المرأة متأملة.. وقالت: «... وأنا لستُ متحمسة لذلك... وربما كان هذا سبب اعتقادك بأنني مجنونة... ولكن عليك ألا تلقي به إلى الموت...».

«إذاً... ما الحل...؟» قالت المرأة بصوت كأنما كان ينبعث من أعماق الهاوية... وساد صمت للحظات...

«عليك أن تُجْهضي حمْلَكِ...!» قال وهو يزفر متنهداً... أحسَّت المرأة وكأنها في وسط دوّامة لا تكفُّ دوائرها المتتابعة عن التوسع مثل تلك التي يحدثها حجر حين يُلقى في بِرْكة ماء راكدة... وإن هذا السيل من النار بلا نهاية.

«لا... لن يكون ذلك أبداً» قالت بكلمات كأنما أرادت لها أن تكون بكل ما في الأرض والسماء من قوة وترفض... بينما بدا في عينيها غضبٌ كأنه ريحُ الصحراء.

«إيه... قال متنهداً بمرارة. أنت امرأة ذات بصيرة... فلماذا لا تفهمين ما أقصد...؟ هناك قنابل ملتصقة بنا... ولا أحد يدري متى ستنفجر ومعها كل شيء ينفجر... أنت... وأنا... وهو أيضاً معنا...!».

«المأساة هي أن الأشياء الجميلة بداخلك قد ماتت. قالت بأسى وبصوت منكسر. أما أنا فأكاد أحس قدميه الصغيرتين تخطوان على مهل في كل ذرة من جسدي... وبِكَفَّيْه الصغيرتين تتلمّسان جوانحي... بل بشفتيه... بثغره الصغير يرضع من صدري...!

«القضية هنا... هي أنك رغم كل شيء مازلت تواصلين دفعه عميقاً أكثر فأكثر في فم الموت... قال وتعلو ثغره ضحكة كلها ألمٌ وكراهية... المجاعة... البطالة... الجحيم... غضب الله...! الهزائم المتلاحقة... الموت والدمار...! عليه أن يأتي إلى هذا العالم شحّاذاً بيده صحْنٌ يتسوّل به...! ويركع ذليلاً أمام القوى المتجبّرة... يتسوّل أسباب البقاء... يتسوّل الطعام... يتسوّل حتى حرية التنفس... نعم... يستجدي كل شيء...!

أخذ المرأة بين ذراعيه... كان ألم الفراق يجتاح كلا الجسدين... مرَّ بشفتيه على البطن الممتلئ... وهو يحبس الدموع في عينيه...

أما هي فكانت تسري في دمها كالسم نيران الأسى والكراهية والتمرد الرافض... مثلما كانت تتأرجح في عينيها أيضاً.

وفجأة انتفضت من بين ذراعيه ونهضت قائمة... وفي عينيها بدلَ النظرات المحبّة التي كانت.. بدت دموع من كراهية على رموشها.

لقد فقدت قلبك... لم يعُد في صدرك قلبٌ... بل حجرٌ صلْدٌ... أنا أكرهُكَ... أكرهك... أكرهك... قالت وهي تتشنج وترتعد.

«إذاً... فقد اخترتِ الفراق»... قال والنار في أعماقه.

«نعم...!» قالت بدموعها... لكن بعضاً يسيراً من بقية أمل ظلَّ في عينيها.

حتى ومع علْمِكِ أن لا أمل في ملاذ آمن في هذا العالم؟!

الملاذ الآمن يكون في القلب... إذا سكن الأمانُ القلب جعل الدنيا من حولك أماناً...!

ومع حركة قدَمها في أول خطوة في رحلة الخروج... كان هناك شيء ما يتحطم داخل قلب ذلك الرجل... ويقوم يعترض طريقها.

لا... لا تتركيني... أرجوك وأتوسل إليك...!

ما الذي بقي بعد هذا... لكي أبقى هنا من أجله...! لقد مات كل ما كان في قلبك من أشياء جميلة... أصبح قفراً لا دفءَ فيه... وأصبحت لا تفوحُ منك إلا رائحةُ الانفجارات والمتفجّرات... دعني... لا تنظر إليَّ هكذا بعيون ليس فيها إلا الموت.

كان يلهث في سباق معها يريد منعها من إنجاب طفل له... كان يغذُ الخطا راكضاً لعله... يقهرها... فيمنعها من ذلك... كلاهما مكدودُ الأنفاس متعبٌ... أما هي فتمضي تريد الابتعاد عن ناظريه...

لا... مهما جرى... لا... لن أجهض حملي... أبداً لن أفعل... أبداً... أبداً...!

كانت الشمس على وشك المغيب خلف الأشجار الظليلة الباسقة... وأوراقها المتهالكة الصفراء تتساقط على الطريق المعتم الموحش... قالت وهي تحدث في الفضاء البعيد... «... لم يعد لك قلب... لقد تحول قلبك إلى حجر صلد... ولكن لا بأس.. إنني أرى في هذا الكثيرَ الكثيرَ من الجمال... وعندما ألده سيبدو كل شيء أكثر جمالاً!!.

«... ومتى وقعت الكارثة وتفجّر العالم جحيماً... سينتهي كل هذا الجمال الذي تتحدثين عنه في لحظات.. سيدمّر في لحظات...».

قال ذلك بكلمات كأنها سهامُ غضب مسمومة.

لا... بل ستظل الشمس تشرق... وكل طفل جديد يولد هو شمس جديدة... أتركني... دعني أذهب فأنت تريد قتل براعم الجمال التي تتكون في أحشائي... ولكن عليك أن تفهم أنه إذا مات هذا الطفل قبل أن يولد فإن نيران الانفجار والجحيم الذي تتحدث عنه سوف تأتي بقوة أشدَّ مما كنت تتصوّر... ولن تبقى من البشر أحياء ليطفؤوها.

«يا لأحلامك هذه...!» قال وهو يبتسم بوجهٍ كلُّه أسى.

«أنا أدرك هذه الحقيقة».

إذا كنت مصممةً وتصرّين على الاحتفاظ بحملك هذا... وأن تمضي في طريقك منفردة هكذا... فعليك أن تقولي له في ما بعد: إنني لم أكن موافقاً على مجيئه إلى هذه الدنيا... لأنني... لأنني.. لم أكن أريد له أن يعيش حياة شقاء ومكابدة مع كل نَفَس يتنفسه... هل ستفعلين...؟ فتخبريه بذلك...؟ أنا أدري أنه بعد أن يولد ويجيء إلى هذا العالم سيأخذ ذلك المجيء حُجّةً ضدك عندما يقف أمامك محتجاً على أنك أتيتِ به إلى هذا العالم وعلى قدرهِ بأن يعيش ويموت في لظى هذا الجحيم.

صمتت المرأة لحظات وحدّقت في وجهه والدموع تتجمع في عينيها... «اسمعني.. الآن في هذه اللحظة حيث يترعرع طفلك في أعماقي أحسُّ بأمان يجتاحني ويملأ الدنيا من حولي... الأمان لن ينتهي على هذه الأرض... أنا هنا التجسيدُ الحيُّ للأمان والتوْق إلى حياةٍ آمنة في مأوى آمن مع طفلي... وتملأني الثقة أنه رغم كل أسباب الفناء... تظل هناك سلسلة لا نهاية لها من عجائب الحياة ومفاجآتها»...

ابتسم الرجل ابتسامة حزينة... فهما الآن أمام مفترق يضع هذه المرأة على طريق آخر... وَحْدَها... «وداعاً... عليك الآن أن ترجع...! لا تحاول اللحاق بي...! أنا سأمضي إلى الأمام... إلى حياةٍ أمْثلَ على هذه الأرض الرائعة... ويوماً ما... عندما يعود قلبك صافياً صادقاً كالمرآة... وعندما ينتصر في ذاتك الإيمان بالحياة... فقد نلتقي على أحد منعطفات المسيرة...».

ظل الرجل واقفاً... صامتاً يتحسس الخريف المقبل... وعيناه وراء المرأة التي راحت تختفي على مهل وراء المنعطف... حتى غابت عن ناظريه... وراح يغطي عينيه براحة كفه وقد غمره اليأسُ والقنوط... ومن خلفه وفي مسامعه أصواتُ القنابل تتفجر... وفي الأمام امرأة تلد طفلاً... وتختلط أصوات الانفجارات بصرخات قوية لطفل جديد يولد في تلك اللحظة ●



شخصيـات

الصحابي بلال بن رباح... نموذج في التضحية والبناء

بقلم: أ.د.حسن عبدالغني أبوغدة. كلية التربية. جامعة الملك سعود



تمهيد

هذه سيرة رجل كريم من رجـالات الإسـلام الذين يعتـز بهم، رفعـه الإسلام كما رفع غيره من الموالي والأرقّاء، ووصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه: «سابق الحبشة». وكيف لا يكون سابقهم وهو الذي أسلم في مـراحل الدعـوة الإسلامية الأولى، وضحّى بكل غالٍ ونفيس، حتى النفس بذلها في سـبيل الله وابتـغـاء مرضاته...؟!

نسبه وبعض صفاته

هو بلال بن رباح رضي الله عنه، أمه حمامة، أصله من الحبشة، وُلِد في مكة قبل البعثة النبوية بثلاثين سنة، وقضت ظروفه أن يكون عبداً رقيقاً لأميَّة بن خلف القرشي، يسعى في خدمتـه وشؤونه، ثم اشتراه أبوبكر وأعتقه حراً لوجه الله تعالى.

كان أسمر اللون، نحيف الجسم، حسن الصوت نديَّه، طاهر القلب، سليم الطويَّة، صـبـوراً، شكوراً، صـادقـاً، أميناً، إدارياً، حـازمـاً، شجاعاً، مقداماً، يعفو ويصفح، ويقبل عذر من اعتذر إليه.

إسلام بلال وصبره على الأذى

سمع بلال بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعـو إلى الإسـلام، ويعرض فضائله ومكارمه، فارتاح إلى كلامه وأُعجب به، وسارع إلى الدخول في هذا الدين الجديد في وقت مبكر من تاريخ الإسلام، حتى قيل: بدأ الإسـلام برجل وامـرأة وصبي وعبد، وكان الرجل أبا بكر، والمرأة خديجة، والصبيُّ علياً، والعبدُ بلالاً. لكنَّ سيده أميَّة بن خلف رأس الكفـر في مكة رفض ذلك، وأراد أن تكون لـه السلطة والسيـادة على فكر بلال وعـقله وقلبه، كما هو الحال على جسده وحريته.

وأُخضع بلال لأشد أنواع الأذى والعذاب لعله يرجع عن دينه، وقابله بلال بالصلابة والصراحة والثبات، وزاد أمية في تعذيبه وبلائه، فرماه مكبَّلاً ممدَّداً فوق الرمال اللافحة، وتحت الصخور اللاهبة، تنهال عليه ضربات السياط في وسط النهار الحار في بطحاء مكة، فكان بلال لا يزيد على أن يردِّد: أحدٌ أحدٌ.

وجاء أبوبكر رضي الله عنه إلى أميَّة يفاوضه في شراء بلال، فطلب أميَّة الكثير من المال، فأجابه أبوبكر إلى ذلك، لكنَّ أميَّة تراجع عن البيع وغالى في الثمن، فأعطاه أبوبكر ما يريد، ثم صحب معه بلالاً وأشهد الناس في مكة على إعـتـاقـه حـراً طليقـاً لوجه الله تعالى، وفي ذلك نزلت الآية: (وما لأحـد عنده من نعمة تُجزى. إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى. ولسوف يرضى) الليل:١٩ - ٢١، وصار بلال يلازم النبي صلى الله عليه وسلم ويجالسه في أي

وقت يشاء.

مسؤوليات بلال بعد الهجرة

دعا الإسلام إلى المساواة بين الناس على اختلاف أجناسهم وأصنافهم وألوانهم، لا فرق بين عربيِّهم وعجميِّهم، ولا بين فقيرهم وغنيهم، ولا بين حسيبهم وسوقتهم، وعمل على جعل معيار التفاضل بين الناس جميعاً: التقوى والعمل الصالح، الذي يرضي الله تعالى وينفع الناس: (يأيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) الحجرات:١٣.

ومن هذا المنطلق قام النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة بإسناد وظائف كثيرة إلى بلال، نظراً لما لمِس منه من كفاءة وأمانة وتضحية واقتدار، وأعظم هذه الوظائف أنه جعله أميناً على الأذان، ذلك النداء العُلْوي الذي يتكرر في اليوم خمس مرات، يعلن تعظيم الله تعالى وتمجيده، ويجمع الناس لأداء أعظم العبادات في الإسلام، بما تتضمنه من تآلف وطاعة ووحدة كلمة، وطهر نفسي وانضباط اجتماعي.

وقام بلال - أول مؤذن في الإسلام - بهذه المسؤولية خير قيام، مع نداوة صوت، وحلاوة حسٍّ، وعذوبة كلمات، واستمر كذلك أميناً على الأذان النبوي - مع آخرين من الصحابة - حتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

كما أسند النبي صلى الله عليه وسلم إلى بلال مسؤوليات أخرى ومن ذلك: تولي نصب خيمته صلى الله عليه وسلم، والإشراف على نفقة البيت النبوي، وجباية الصدقات، ورعاية الغنائم والقيام على حفظها، وتقديم الجوائز والأعطيات للوفود والزائرين، والإشراف على إطعام الجيش في السفر.

رأى النبي صلى الله عليه وسلم بلالاً فقال: «السُّبَّاق أربعة: أنا سابقُ العرب، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبشة، وصهيب سابق الروم» رواه البزار.

لقد كان بلال في هذا المعنى بالمحل الأول والموضع الذي لا يُجهل، كان مضرب المثل عبر الأجيال، وظل اسمه يتردد على كل لسان في تاريخ الإسلام وهو من غير العرب، وهكذا يفعل الإسلام بالعاملين المخلصين المضحِّين.

موقف بلالي للتاريخ

تذكر الروايات التاريخية: أنه حدث خلاف بين أبي ذر الغفاري العربي الأرومة، وبلال بن رباح الحبشي الأصل، فقام أبوذر يُعيِّر بلالاً بأمه السوداء الحبشية حمامة ويقول: يابن السوداء، وفكَّر بلال فيما سمع، وقدَّر أنَّ هذا جرم خطير لا ينبغي السكوت عليه، مخافة أن يستشري بين أفراد المجتمع الواحد فيمزق الصف الداخلي، ويحرق الأخضر واليابس، لكنَّه لم يردَّ على أبي ذر، بل عمد إلى النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الشأن والقرار، ليعالج هذا الخطر ويقتلعه من جذوره، وذكر له ما قاله أبوذر.

وطلب النبي صلى الله عليه وسلم من أبي ذر أن يحضر إليه، ولما تأكد له ما فعله خاطبه معنفاً: «أعيَّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية..». ثم أوضح له ذلك المعنى الخالد بما يشرح صدر كل إنسان ويزيده إعجاباً بالإسلام: «إخوانكم خَوَلُكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليُطعمْه مما يأكل وليُلبسه مما يلبس، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» رواه الشيخان.

فلما سمع أبو ذر هذا الكلام تأثر به أيّما تأثر، وألقى بنفسه على الأرض ووضع خدَّه عليها، وطلب من بلال أن يطأ خدَّه الآخر بقدمه، معتذراً إليه عمَّا فعل، راداً إليه اعتباره أمام الناس، لكنَّ بلالاً أبى ذلك، وأمسك بيد أبي ذر يرفعه إليه قائلاً: غفر الله لك يا أخي...

وهكذا دفن الإسلام العصبية والتفاخر بالأحساب، وجعل الناس إخوة متحابين، يتفاضلون عند الله بالطاعة والعمل الصالح.

ملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم في الحضر والسفر

ظلَّ بلال ملازماً للنبي صلى الله عليه وسلم في حضره وسفره، يشهد معه جميع الرحلات والغزوات، ناشراً للإسلام ومدافعاً عنه وحامياً لأهله.

حضر بدراً، وأحداً، والخندق، وصلح الحديبية، وفتح مكة، وغيرها من المشاهد... وكان شجاعاً مقداماً، تقرُّ به عينا النبي صلى الله عليه وسلم وعيون أصحابه، يتولى شؤون الجيش في طعامه وشرابه وغنائمه.

مشاركته في فتح الشام ونشر الإسلام

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتولِّي أبي بكر الخلافة، رأى بلال أن تكون له مشاركة في إيصال الإسلام إلى بلاد الشام وتبليغه للناس، فجاء إلى أبي بكر مستأذناً في أن يخرج مع الدعاة المجاهدين في جيش أبي عبيدة، فأراد أبوبكر أن يستبقيه إلى جانبه، فقال له: يا أبا بكر، إن كنت أعتقتني لنفسك فاستبقني عندك، وإن كنت أعتقتني لله فدعني أخرج في سبيل الله، فأذن له أبوبكر فخرج - وقد جاوز الستين - مع أبي عبيدة، وكان له خير عضد ونعم المعين.

شارك بلال في نشر الإسلام والدعوة إليه والتعريف به في بلاد الشام، فطاف فلسطين داعياً مجاهداً، ثم قصد دمشق مع الفاتحين واستقر بها فترة، ثم رحل إلى حلب وأقام بها، ثم عاد إلى دمشق عازفاً عن الدنيا وما فيها، يروي الأحاديث التي سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم ويعلِّم الناس أينما حلَّ وارتحل.

وجاءه مرة بعض أصحابه يلتمسون منه الأذان للصلاة، فتمنَّع عليهم، فألحُّوا عليه لعلَّهم يجدِّدون ذكريات أيام النبوة وما فيها من صفاء وحلاوة إيمان، فأجابهم إلى طلبهم وقام يؤذن بهم، فلما بلغ: أشهد أنَّ محمداً رسول الله، خنقته العبرة، وأخذه الإجهاش، فلم يستطع أن يكمل الأذان.

وفاته رضي الله عنه

استمر بلال يقيم في دمشق حتى داهم المسلمين في تلك الديار مرضٌ عُرف بـ«طاعون عمواس»، نسبة إلى البلَد التي استفحل فيها وانتشر، وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه وكان بلال ممن أصيب بذلك المرض، وكان كلما اشتد عليه الوجع قالت له زوجته: وا كرباه، فيقول لها: بل وا طرباه، غداً ألقى الأحبة، محمداً وصحبه، ثم توفي رضي الله عنه وقد جاوز السبعين من عمره، وقيل توفي في مدينة حلب ودفن فيها.

وبعد: فهذا هو الإسلام في بعض رجاله الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهذه سيرة هذا الصحابي الهُمَام المؤمن، الصابر المحتسب، المجاهد القدوة، الذي نال ثقة النبي صلى الله عليه وسلم وشارك في بناء الأمة الإسلامية، وعمل في إدارات مؤسساتها بإخلاص وصدق وكفاءة، لعل فيها حافزاً لنا ولشبابنا في استنهاض الهمم نحو مزيد من الصبر والتضحية، والجد والمثابرة، وجِلاد المشاقِّ لإدراك العظائم، وتحمل المسؤوليات التي تعمر

دفن الإسلام العصبية والتفاخر بالأحساب، وجعل الناس إخوة متحابين

المراجع

١ - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر.
٢ - بعض كتب الحديث الشريف.
٣ - تاريخ دمشق لابن عساكر.
٤ - تفسير ابن كثير.
٥ - حلية الأولياء للأصفهاني.
٦ - مجمع الزوائد للهيثمي.



طب وعلوم

من آيات الرحمن في جسم الإنسان عامل ريزوس (RH)

بعد أن اكتشف العالم النمساوي «كارل لاند شتاينر» (ت١٩٤٣م) فصائل الدم الأساسية الأربع وحصل على جائزة نوبل على هذا الاكتشاف عام ١٩٣٠م، توج اكتشافاته باهتدائه إلى أحد فصائل الدم الأخرى ألا وهو عامل «ريزوس» (Rhesus factor).

ولا عجب، فلقد اكتشف «لاند شتاينر» وجود هذا العامل أو المادة الكيمياوية للمرة الأولى عام ١٩٤٠م في جدران كرات الدم الحمراء عند نوع معين من القردة يسمى قرد «ريزوس» (Rhesus Monkey)... ومن هنا جاءت تسمية هذا العامل بعامل «ريزوس»، ويرمز له اختصاراً بـ «آر... إتش» (RH).

إعداد: د.محمد مصطفى السمري . مصر

ومن رحمة الخلاّق العليم وجود أوجه للتشابه بين الإنسان وبعض المخلوقات مثل الفئران والقردة والأرانب في بعض الصفات التشريحية أو الكيمياوية، حيث يتيح ذلك للإنسان إجراء تجارب ناجحة على الحيوانات في العلم وعلاج الأمراض.

ولقد تبين بعد ذلك وجود هذا العامل في كرات الدم الحمراء في نسبة كبيرة من الناس تصل إلى (٨٥٪) بصرف النظر عن نوع فصائل دمائهم الأساسية (A) أو (B) أو (AB) أو (O)، أي أن هذا العامل مستقل عن العوامل التي تحدد فصائل الدم الأربع الأساسية، أما البقية الباقية من الناس، وتقدر بنحو ١٥٪ فلا يوجد في دمائهم هذا العامل، وتختلف هذه النسبة بين الشعوب.

وعلى ذلك يطلق على الفئة الأولى التي تمثل ٨٥٪ من الناس وهم أصحاب العامل أو الدم الموجب أو (RH+)، والفئة الثانية وتمثل ١٥٪ من الناس هم أصحاب العامل أو الدم السالب (RH-).

أهمية عامل ريزوس

عند نقل الدم:

يمكن للشخص ذي العامل الموجب «ريزوس» (RH+) أن يستقبل دماً من شخص ذي عامل موجب «ريزوس» أو شخص ذي عامل سالب «ريزوس» (RH-). أما الشخص ذو العامل السالب «ريزوس» فلا يمكنه أن يستقبل دماً إلا من شخص ذي عامل أو دم سالب «ريزوس» مثله. فإذا استقبل دماً من شخص عامل دمه موجب فيتشكل في بلازما دمه «أجساماً مضادة»... وعند استقباله دماً للمرة الثانية من شخص موجب فإن ذلك يؤدى إلى حدوث تفاعل والتصاق كرات الدم الحمراء، وقد يؤدي هذا إلى الوفاة... لذا يجب على كل شخص منا معرفة فصيلة دمه الأساسية وكذلك عامل «ريزوس» وهل هو سالب أم موجب؟ نظراً لأهميتها البالغة عند نقل الدم سواء منه أو إليه!.

خلية دم حمراء لدم فصيلة ريزوس - (RH-ve) - سالب

خلية دم حمراء لدم فصيلة ريزوس - (RH+ve) - موجب

في الحمل والولادة

أثبتت الأبحاث العلمية أن عامل «ريزوس» له أهمية كبرى في أثناء الحمل والولادة. فقد تبين أن بعض الأمهات الحوامل يلدن أطفالاً يموتون بسبب تحلل أو تكسر كرات الدم الحمراء في دمائهم، وتبين حدوث هذا في حال واحدة فقط وهي: عندما يكون دم الأم الحامل سالب «ريزوس» ودم الأب - والجنين بالتالي وطبقاً للقواعد الوراثية - موجب «ريزوس».

وللإيضاح أكثر نقول: إذا كانت الأم الحامل لا تحمل عامل «ريزوس» أي أنها ذات دم سالب، وكان الأب يحمل هذا العامل أي ذا دم موجب هنا تحدث المشكلة... لأن الجنين سيحمل هذا العامل كأبيه طبقاً للقواعد الوراثية أي أنه يكون ذا دم موجب، وفي أثناء الحمل يحدث امتزاج بين الدورة الدموية لكل من الأم وجنينها. وعندما يمر هذا العامل من دم الجنين للأم، فإنها تعتبر هذا

العامل غريباً ويبدأ جهازها المناعي في تكوين أجسام مضادة لكرات الدم الحمراء في الجنين التي تحمل هذا العامل، وتبقى هذه الأجسام في دم الأم، وتمر منه إلى دم الجنين عند الولادة أو بعد الولادة مباشرة، فتقوم بتكسير الكثير من كرات الدم الحمراء ويحدث بالتالي تحلل دموي وصفراء وأنيميا شديدة ما يمثل خطراً كبيراً على صحة الطفل الوليد.

أما إذا كان دم الأبوين سالباً، أو دم الأم موجباً، فلا توجد مشكلة أو خطورة على الجنين على الإطلاق، فلا مجال هنا لتكوين أجسام مضادة لكرات الدم الحمراء للجنين.

ولذا يجب على كل امرأة متزوجة أن تكون على دراية بفصيلة دمها وتحديد نوعيته «سالب» أو «موجب» فإن كان موجباً فليس هناك خطورة مطلقاً، أما إذا كان سالباً فمن المهم معرفة دم الزوج، فإن كان دم الزوج سالباً أيضاً فلا مشكلة يمكن أن تحدث. أما إذا كان دم الزوج موجباً «ودمها سالباً» إذن يجب التنبيه عند الحمل لعلاج هذه المشكلة منذ البداية.

ومن رحمه الله ولطفه بعبادة أن الجنين الأول غالباً ما ينجو، فيحذر أبواه حتى يحترسا في الحمل الثاني لأنه في الجنين الثاني تزداد كمية الأجسام المضادة ويؤدي ذلك إلى وفاة الجنين.

وبفضل الله تمكن العلم الحديث من علاج هذه المشكلة «مشكلة إنجاب طفل بدم موجب من امرأة بدم سالب» بحقن الأم الحامل ذات الدم السالب بمصل خاص اسمه «روجام» ويتم ذلك خلال الـ٣٦ ساعة قبل الولادة مباشرة.

وهكذا... فإن قطرة الدم عالم بذاته... ومن يصدق أن كرة الدم الحمراء التي يبلغ قطرها سبعة ميكرونات ونصف الميكرون «الميكرون = ١/١٠٠٠ ملليمتر» تؤدى هذه الوظائف الجليلة والكثيرة والمهمة.

وسبحان الله الخالق المبدع العظيم القائل: (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين) لقمان:١١ ●

سُمُّ النحل يمنع السرطان ويعالج الإيدز

بقلم: البدري محمد الهادي مطاوع

سُمُّ النحل سائل شفاف يجف بسهولة حتى في درجة حرارة الغرفة، رائحته عطرية لاذعة وطعمه مُرٌّ ووزنه النوعي ١,١٣٣١ وهو يوجد في مؤخرة إناث النحل.

محتويات سم النحل

يحتوي على أحماض الأيدروكلوريك والفورميك والأرثوفوسفوريك والكولين والهستامين والتيوفان وفوسفات الماغنسيوم التي تكون ٤,٠٪ من الوزن الجاف والكبريت كما يحتوي رماده على آثار من النحاس والكالسيوم وعلى نسبة كبيرة من البروتينات والزيوت الطيارة التي تتبخر في عملية التجفيف وتحدث الألم عند اللسع وهو يحدث تأثيره السام كأي مادة بروتينية تحقن في الجسم.

طرق الشفاء بسمِّ النحل:

وثبت بالتجربة أن معظم الذين يصابون بلسع النحل أنهم بمنجاة من الحمى الروماتيزمية.

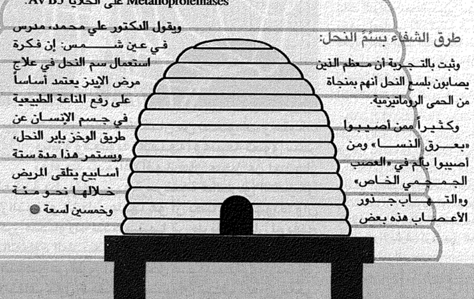
وكثيراً ممن أصيبوا «بعرق النسا» ومن أصيبوا بألم في «العصب الجمجمي الخاص» و«التهاب جذور الأعصاب هذه بعض من آلام الظهر والساق ويسير الألم فيها مسرى العصب الوركي كثير من هؤلاء استخدموا الحقن تحت الجلد بسم النحل في الأجزاء المؤلمة جداً فاختفى المرض.

وفي حالات التهاب القزحية الخطير أي حين تهبط قوة الإبصار إلى ١/١٠٠٪، فإن استعمال سم النحل أتى بنتائج مدهشة فقد زال الالتهاب وخلال ثلاثة أو أربعة أيام تم الشفاء بإذن الله وعاد البصر إلى قوته الطبيعية.

كما ثبت فاعلية سم النحل في علاج الملاريا وكثيرون ممن أصيبوا بالملاريا شفوا باللسع عشر لسعات.

وسم النحل يحتوي على جزء من بروتين هو الأدولابين الذي يوقف انتشار الخلايا السرطانية عن طريق تعطيل مستقبلات Matrix Metalloproleinases على الخلايا Av B3.

ويقول الدكتور علي محمد، مدرس في عين شمس: إن فكرة استعمال سم النحل في علاج مرض الإيدز يعتمد أساساً على رفع المناعة الطبيعية في جسم الإنسان عن طريق الوخز بإبر النحل، ويستمر هذا مدة ستة أسابيع يتلقى المريض خلالها نحو مئة وخمسين لسعة ●

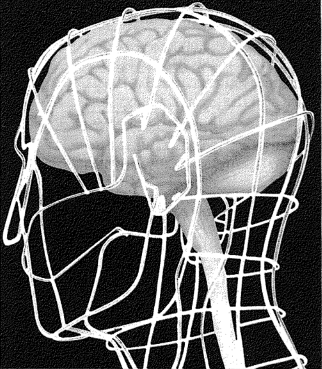




دراسات تربوية

سبل الوقاية من الأزمات النفسية

بقلم: د.محمد محمد عيسوي الفيومي، دكتوراه في التربية والصحة النفسية



لا تخلو حياة الإنسان من صعوبات وعقبات مادية ومعنوية، خفيفة، وعنيفة تعوق سير دوافعه نحو أهدافها، فإن عجز عن اجتياز العقبة بطريقة سريعة مرضية فالطريق الطبيعي لإزالتها أو التغلب عليها هو أن يضاعف جهوده، وأن يكرر محاولاته لتنحيتها من طريقه، فإن لم يفلح فالخطوة الطبيعية الثانية هي أن يأخذ في البحث والتفكير عن طرق أخرى لحل هذه المشكلة، كأن يحاول الالتفاف حول العقبة أو استبدال الهدف المعوق بآخر، أو تأجيل إرضاء الدافع إلى حين.

وقد يلتمس النصيحة أو يتعاون مع غيره أو يعمل على اكتساب معلومات ومهارات جديدة تعينه على حل مشكلته، وقد يقع على الحل بعد جهد وعناء يطول أو يقصر أو يطول تفكيره ومحاولاته دون جدوى، فيمتنع عليه الحل مهما بذل من جهد وتفكير، هناك يقال إنه يعاني «أزمة نفسية» - فالأزمة النفسية حالة انفعالية مؤلمة تنشأ من الإحباط الموصل لدافع أو أكثر من الدوافع القوية.

وتختلف الأزمات من حيث شدتها وطول بقائها واستعصاؤها على الحل، فتكون أشد وأعمق أثراً إن كانت الدوافع المعوقة حيوية مهمة، وكانت أهدافها ذات قيمة كبيرة للفرد وتكون أكثر استعصاء على الحل إن تضمنت دوافع لا شعورية، لا يفطن المتأزم إلى وجودها أو كانت المشكلة تفوق قدرة الفرد على حلها.

وتقترن الأزمات عادة بحالة من التردد والحيرة والقلق والتوتر، هذا إلى ما يترتب على إحباط الدوافع من مشاعر أليمة بالنقص والخيبة والعجز أو الشعور بالذنب والخجل والاشمئزاز والخزي، أو الشعور بالظلم والرثاء للذات أو الشعور بالوحدة والاغتراب أو شعور الفرد بفقد احترامه لنفسه.

أسباب الأزمات النفسية

يمكن إجمال العوامل المختلفة التي تؤدي إلى الأزمات النفسية فيما يلي:

١ - عقبات مادية، فوجود الإنسان في صحراء لا ماء فيها يحبط حاجته إلى الشرب ووجوده وحيداً في السجن يحبط حاجته إلى الاجتماع بالناس، كذلك المزارع الذي أتلف الجدب محصوله أو العامل الذي تعوقه حرارة الجو أو رداءة الأدوات التي يعمل بها عن إنجاز شيء يريد عمله.

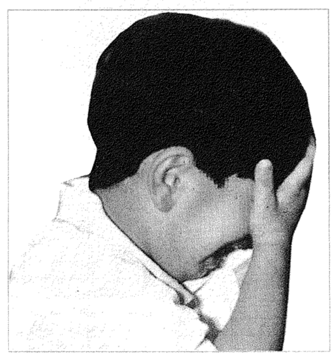
٢ - عقبات اجتماعية، كإجبار طفل يريد اللعب على البقاء في حجرته والاستمرار في المذاكرة أو إجبار شاب على الالتحاق بكلية لا يميل إليها، أو إكراه فتاة على الزواج من شاب لا تميل إليه أو وضع الموظف في عمل لا يرضاه... هذا فضلاً عن ضروب الإحباط التي تنشأ في زحمة تعاملنا مع الناس بما يثبط جهودنا ويعوق رغباتنا أو يمس كرامتنا: كشخص يستعلي عليك أو يغار منك أو يتغفلك أو يتجاهلك أو يخدعك أو يسيء لك ويخلف ظنك أو يتربص بك أو يكيد لك.

٣ - عوامل اقتصادية: في ظل التقدم التكنولوجي وسرعة التغيير التي يشهدها العصر الحديث لا يستطيع الفرد أن يشبع فيه حاجاته الترفيهية إلا بالمال، لكنه قد يواجه صعوبات في الحصول على المال قد

يكون بعيد المنال، وهنا يلاحظ أن الفقر ليس في ذاته مصدراً للإحباط عند جميع الناس... فمن الناس من يتقبلون الفقر ويطيقونه في صبر يدعو إلى الإعجاب، ومنهم من ينعم بدخل كاف لكنه يظل في حال من الضيق المزمن لأنه يطمع في مزيد، فليس المهم هو الموقف الخارجي، بل كيفية إدراك الفرد له، وشعوره به، ويتماشى هذا وفق مبادئ منهج العلاج العقلاني الانفعالي، حيث يرى أن ما يصيبنا بالأمراض ليست الأشياء، ولكن نظرتنا المشوهة لهذه الأشياء، على أن القناعة فيما يتعلق بالعوامل الاقتصادية تمثل جانباً كبيراً من الوقاية، فهي تكون حصناً للفرد يقيه من الوقوع في أحضان الأزمات.

٤ - عيوب شخصية: قد يعوق الفرد عن التقدم والنجاح ضعف صحته العامة أو وجود عاهة جسمية أو مرض مزمن لديه، أو تكون العيوب نفسية كنقص في الذكاء أو الاستعداد أو شخصية غير جذابة، أو ضعف ثقة الفرد بنفسه أو عادة سيئة تتحكم فيه أو عجزه عن عقد الصداقات، أو ضمير صارم يكون مصدر وخز دائم له في أشياء لا تستوجب الوخز، فيكون في حال قلق دائم وتوتر.

صراع الدوافع: الصراع النفسي هو تعارض بين دافعين لا يمكن إرضاؤهما في وقت واحد لتساويهما في القوة أو الحالة النفسية المؤلمة التي تنشأ عن هذا التعارض وحياة الإنسان كلها لا تعدو أن تكون سلسلة من صراعات شتى تختلف شدة وتأثيراً وموضوعاً، فأول صراعات يعانيها الرضيع يدور رحاها بين رغبته في إرضاء دوافعه ورغبته في إرضاء أمه، ولك حين تحاول تقييد حركاته أو تنظيم مواعيد إرضاعه وحين تفطمه عن الثدي ثم تتلو ذلك صراعات أخرى بين رغبته في إرضاء دوافعه وخوفه من العواقب أو ضميره وما أكثر الصراعات التي تخلقها معاملة والديه له



وموقفه من إخوته وأخواته ومعاملة المدرسين له والجو الاجتماعي الذي يسود المدرسة... هذا فضلاً عن الصراعات التي ترهقة في مرحلة المراهقة.

وتلك التي تنشأ في مرحلة الرشد حول حياته المهنية والزوجية والاجتماعية العامة بين حقوقه وواجباته وبين ما يريده وما يقدر عليه، وبين الأدوار الاجتماعية المختلفة التي يؤديها.

وقد يكون الصراع عابراً طارئاً أو دائماً مقيماً، فمن الصراعات العابرة التعارض بين رغبة الطالب في الذهاب إلى السينما ورغبته في البقاء في البيت للمذاكرة... ومن الصراعات الدائمة تلك الصراعات الباقية في نفس الفرد من عهد الطفولة، كتلك التي تدور حول رغبته في الاعتماد على أمه أو كرهه لأبيه، وهذه صراعات لا شعورية في العادة، ويميل علماء النفس إلى قصر اصطلاح «الصراع النفسي» على الصراع الدائم الموصول لا العابر المؤقت، سواء كان شعورياً أو لا شعورياً.

فأما الصراع الشعوري... فهو الذي ينبه الفرد إلى طرفيه أي إلى الدافعين المتعارضين فيه، وأما الصراع اللاشعوري فهو الذي يكون أحد طرفيه أو كلاهما خافياً لا يشعر الفرد بوجوده، كالصراع بين حب الطفل الشعوري لأبيه وكرهه اللاشعوري له أو بين ثقتك الشعورية في شخص وارتيابك اللاشعوري فيه أو بين رغبة محظورة وبين ضمير الفرد، والضمير يعرف بأنه جهاز نفسي لا شعوري، وترى مدرسة التحليل النفسي أن الصراعات الشعورية لا ينجم عنها ضرر بليغ أي أنها لا تسبب اضطراباً في الشخصية لأن الفرد يستطيع أن يحسمها ويحلها إن عاجلاً أو آجلاً بالتوفيق بين الدوافع وترجيح أحدها على الآخر أو تأجيل إشباعه حتى تحين فرصة مواتية.

الصراعات اللاشعورية عامل أساسي في اضطراب الشخصية وتفككها

أما الصراعات اللاشعورية فعامل أساسي في اضطراب الشخصية وتفككها، ذلك أن الصراع الشعوري يمكن سياسته وحسمه بطريقة أو بأخرى، وهذا على عكس الصراع اللاشعوري الذي يستحيل حسمه، فإذا به ينزع إلى الإزمان والدوام، ومن أخطر هذه الصراعات اللاشعورية وأبقاها أثراً في شخصية الفرد تلك الصراعات الأساسية أو الجذرية التي تتكون من مرحلتي الرضاعة والطفولة المبكرة حول الصدمات الانفعالية التي تعرض للطفل فيهما والتي تعتبر من العوامل الممهدة لاضطراب الشخصية في عهد الكبر.

ومن الجدير بالذكر أن نؤكد حقيقة مهمة أيدتها البحوث والدراسات، وهي أن الصراعات النفسية الموصولة تحول دون تكامل الشخصية ووحدتها واتزانها، أي تمهد الطريق لاضطراب الشخصية واعتلال الصحة النفسية.

ونوجز ما تقدم... فنقول: إن الأزمات النفسية تنشأ من إحباط موصول لدافع أو أكثر من الدوافع القوية، وهو إحباط ينشأ من عقبات مادية أو اجتماعية تنشأ من عقبات مادية أو اجتماعية أو شخصية نتيجة صراع بين الدوافع، غير أن العقبات الخارجية ليست في ذاتها مصادر للإحباط والضيق والآلم عند جميع الناس، بل يتوقف تأثيرها على وقعها وصداها في النفوس المختلفة، فالبؤس في ذاته لا يحرك الناس بل الشعور بالبؤس، وكذلك الفقر ومن ناحية أخرى، فقد يشعر الفرد بالإحباط حين يتصور وجود عقبة خارجية لا وجود لها في الواقع.

مصادر أزمات شديدة

من المواقف التي تسبب لأغلب الناس أزمات نفسية شديدة:

١ - الأفعال أو المواقف التي تثير وخز الضمير كما أوضحنا.

٢ - كل ما يمس كرامة الفرد

واحترامه لنفسه، وكل ما يحول بينه وبين توكيد ذاته.

٣ ـ حين تثبت الظروف للفرد أنه ليس من الأهلية أو من القوة ما كان يظن.

٤ ـ حين يستبد به الخوف من فقدان مركزه الاجتماعي أو حين يتوهم ذلك أو حين يفقده بالفعل.

٥ ـ حين يشعر بالعجز وقلة الحيلة إزاء عادة سيئة يريد الإقلاع عنها كالتدخين حين يكلفه مبالغ باهظة يكون هو في أشد الحاجة إليها فضلاً عن الأضرار الصحية والجسمية.

٦ ـ حين يبتلى برئيس مستبد لا يسمح برأي يعلو فوق رأيه حتى وإن كانت أغلب قراراته تعسفية.

٧ ـ حين يعاقب عقاباً لا يستحقه وخاصة في بعض المواقف التي لا تطبق فيها القيم الدينية بل يسودها القانون الوضعي.

٨ ـ حين يشعر ببعد الشقة بين مستوى طموحة ومستوى اقتداره خاصة عندما تتقدم الوسائل التكنولوجية التي تجعل من كماليات الأمس ضروريات اليوم.

٩ ـ حين يمنع من تحقيق ما يريد منعاً تعسفياً.

١٠ ـ حين يشعر ببعد الشقة بين ما يملك وما يراه حقاً له.

١١ ـ حين يرى غيره يكافئون دون استحقاق.

٣ ـ وصيد الإحباط

يختلف سلوك الناس حيال ما يعترضهم من عقبات ومشكلات اختلافاً كبيراً:

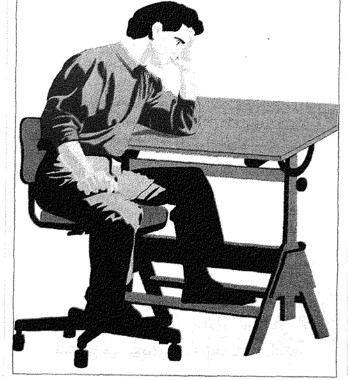
١ ـ فمنهم من يمضي في التفكير والتقدير وبذل الجهد للخروج من المأزق حتى إن كان في حال من التوتر الشديد.

٢ ـ ومنهم من يسارع إلى الاستسلام والتخاذل على الفور.

٣ ـ ومنهم من يضطرب ويختل ميزانه بعد محاولات تطول أو تقصر، فإذا به قد أصبح نهباً للغضب أو الذعر أو الخزي وغير ذلك من المشاعر التي تنجم عن الفشل والإخفاق وبدل أن يتجه مجهوده إلى حل المشكلة إذا به يلجأ إلى طرق وأساليب معوجة أو ملتوية أو متطرفة تنقذه مما يكابده من توتر وتأزم نفس، وهي أساليب لا تدنيه من هدفه، بل تنأى به عنه، أي أنها لا تحقق التوافق بينه وبين بيئته أو بينه وبين نفسه، وبعبارة أخرى، فمن الناس من يلجأ إلى أساليب واقعية إنشائية، ومنهم من يلجأ إلى طرق معوجة أو سلبية أو غير واقعية لحل مشاكله، فالرجل السوي إن فقد عمله جد في البحث عن عمل آخر، لكن غيره قد يثور على النظام الاقتصادي أو ينسب فقد عمله إلى مؤامرات دبرت ضده أو يوقن أنه مضطهد أو يأخذ في استجداء العون واستدرار العطف من غيره أو يظل دون حراك يجتر أفكار الظلم أو ينهار، فيصاب بمرض نفسي أو عقلي، ويطلق اصطلاح وصيد الإحباط على قدرة الفرد على احتمال الإحباط دون أن يلجأ إلى أساليب ملتوية غير ملائمة لحل مشكلته، أي لاستعادة توازنه النفسي.

ولكل إنسان حد معين لتحمل الإحباط والصدمات لا يلبث أن ينهار بعده

فمن كان وصيد إحباطه مرتفعاً استطاع تحمل الإحباط والحرمان واستطاع الصمود أكثر من غيره، وكان نضجه الانفعالي أتم وأكمل من غيره، والوصيد المرتفع من أهم علامات الصحة النفسية السليمة، ويملك القدرة على مواجهة مشكلات الحياة ومتاعبها دون يأس أو فقدان للاتزان الانفعالي أو في الثقة بالنفس أو الاستغراق في المشكلة دون العمل على حلها، ويتوقف وصيد الإحباط على وراثة الفرد إلى حد كبير، كما يتوقف أيضاً على ما يفرغه الفرد على المواقف من دلالة وأهمية نتيجة لخبراته السابقة، خاصة خبرات الطفولة، فالرئيس المستبد قد يكون مصدراً للضيق والقلق عند مرؤسيه، لكنه يكون شيئاً لا يطاق في نظر مرؤوس كان أبوه يستبد به في طفولته، وبعبارة أخرى ليس المهم الموقف بل كيفية إدراك الفرد للموقف.



ولكل إنسان حد معين لتحمل الإحباط والصدمات لا يلبث أن ينهار بعده مهما بلغ إتزانه النفسي، ولقد بينت لنا الحروب الحديثة إن أكثر الشخصيات ثباتاً واتزاناً لا تلبث أن يصيبها التفكك والانهيار حيال مواقف الفزع العنيف التي يتحتم إزاءها الصمود ويمتنع الهرب، ويعرف هذا الحد «بنقطة الانهيار» على هذا الأساس تقوم عملية «غسل المخ» التي تستهدف قسر الفرد على التخلي عن آرائه واتجاهاته ووجهة نظره والأخذ بعقيدة من يتولى غسل مخه.

فمن الطرق الشائعة لهذه العملية... تعريض الشخص لضروب شتى من الإرهاق الجسمي والنفسي والذهني كالحرمان من النوم ومن الطعام أو الكي بالنار وقلع الأظافر والصدامات الكهربائية، وكالحبس الانفرادي، وتوجيه تهم باطلة وتشكيك الفرد في عقيدته بل وفي نفسه وإشعاره بالذنب من أعمال لم يقم بها قط وتعريضه لألوان شتى من الخوف والإذلال، والإهانة، وقسره على الاعتراف بما يُراد منه الاعتراف به، وإرغامه على الاستمرار في المناقشة، والدفاع عن نفسه ساعات طويلة، وتختلف استجابة الناس لهذه العملية، فمنهم من ينهار انهياراً تاماً وقد يُصاب بالجنون، ومنهم من يحاول الانتحار عبثاً، ومنهم من ينكص على عقبيه ويصبح كالطفل في تفكيره وسرعة تصديقه، ومنهم من يسلم ويقتنع.

الوقاية من الأزمات النفسية

لقد منح الله بعضنا قدرة يستطيعون بها الحفاظ على ما لديهم من نعمة باتباع الوصايا التالية:

١ ـ اعرف نفسك... لأن معرفة النفس من أولى دعائم الصحة النفسية (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) لذلك حاول أن تعرف نواحي القوة والضعف من نفسك وأن ترسم مستوى طموحك وفق حقيقتك، لا وفق خيالك، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه.

٢ ـ حاول أن تعرف الدوافع والأهداف التي تحركك، فجهل الإنسان بدوافعه مصدر لكثير من متاعبه ومشاكله واندفاعاته.

٣ ـ حاول قدر ما تستطيع أن تستكشف الحيل الدفاعية التي تصطنعها للتخفيف من متاعبك اليومية، فمعرفتها تساعدك على أن تضع أصبعك على مصادر ما يؤلك ويؤذي نفسك دون أن تكون متفطناً إليه، ومن ثم تساعدك على ضبط هذه الحيل فيباعد بينك وبين الواقع ويجعلك تعمى عن رؤية عيوبك.

٤ ـ واجه مخاوفك وحللها فضوء النهار يطرد الأشباح، سجل على ورقة ما تراه من أسباب قلقك في عملك وفي بيتك وفي صلتك بالناس، فإن كانت هذه الأسباب تافهة فذرها، فإن كان لابد منها فاحتملها، وإن كان لا حيلة لك فيها فقدر أسوأ الاحتمالات وهيأ نفسك للموقف الذي يجب اتخاذه حين يقع هذا الاحتمال.

ومما يعينك على هذه المعرفة والاستبصار أن تقوم بتحليل أحلام اليقظة التي تنساق وراءها خاصة تلك التي يتكرر ورودها فهي مرآة صادقة لما تنطوي عليه نفسك من رغبات وحاجات محبطة معوقة وأن تقوم أيضاً بتحليل المواقف التي تثير في نفسك انفعالات شديدة نحو الآخرين كي تستعد لمواجهتها بطرق أفضل أو تتجنبها.

لا تخدع نفسك

ليس هناك إنسان يخلو من العيوب: الأنانية أو الغرور أو العدوانية أو التعصب.

اعترف لنفسك بعيوبك ودوافعك غير المحددة، ولا تحاول إنكارها أو تجنب مواجهتها والتهوين من أمرها ولاتخدع نفسك بتركها للزمن بل اعترف بها أولاً، ذلك لأن الكبت إنكار للواقع وخداع للذات، وهناك أخطار وأضرار كثيرة تنجم عن الكبت، واذكر أن الجندي لو اعترف لنفسه بخوفه من القتال ما أصابه الشلل في ساقيه، وأن الطالب لو اعترف لنفسه بخوفه من الامتحان ما أصابه الانهيار قبيل الامتحان، إن شر الحروب هي الحرب التي يشنها الإنسان على نفسه، لكنها حرب لا مفر منها إن أراد أن يحتفظ بصحته النفسية.

اشترك في نشاط اجتماعي

أن لا تعتزل الناس ـ على الأقل ـ فكل إنسان في حاجة إلى غيره ليساعده في حل مشكلاته التي لا يستطيع أن يحلها بمجهوده الخاص، وعلى إرضاء حاجاته التي لا يستطيع أن يرضيها بمجهوده الخاص وليشعروه بالأمن ويزيدوا من احترامه لنفسه، وتذكر أن الله عز وجل في عون العبد مادام العبد في عون أخيه، هذا إلى أن الاندماج والاشتراك مع الناس يمد الفرد بأفكار جديدة ووجهات نظر جديدة، كما يعينه على تصحيح أفكاره وتصوراته الزائفة التي يخلقها الخيال، ولا يصححها الواقع، وأهم من هذا أنه يعينه على اكتشاف نفسه، أي اكتشاف قدراته وإمكاناته الخفية أو المهملة، غير أن التفاهم والأخذ والعطاء مع الناس ليس بالأمر اليسير، فكثير من الناس يلجأون إلى التصنع أو لا يحسنون التعبير عن أنفسهم، فلا تتسرع في الحكم على الناس، واعلم أن البعد عن التصنع والتكلف واللف والموارية يعفيك من كثير من الحرج والتورط والصراع ولا يلبس عليك الأمور أو يحرف حقيقة صلاتك بالناس، فلو أصابك من أحد سوء أو مكروه فمن الخير أن ترد الإهانة بدل أن تكتمها في نفسك زمناً تتراكم عليها فيه أمثالها، واعلم أن الإبقاء على الصلاة لا يكون بالتغاضي عن الهفوات، فهذا لا ينجم عنه إلا الانفجار أو صب الأذى على شخص بريء.

حاول أن تحضر اجتماعاً مرة في كل أسبوع، زر جيرانك، قابل زملاءك وأصحابك في النادي أو الجمعية، روِّض نفسك على اللعب مع أحد أو على مناقشته أو قص قصة له وتعلَّم ممن يعرفون.

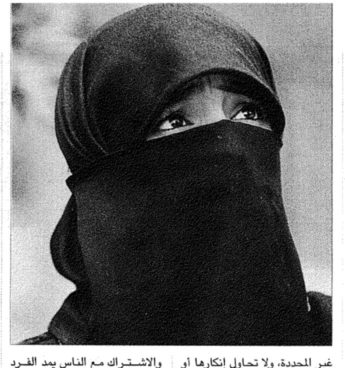
اتخذ لنفسك صديقاً

ليست الصداقة مجرد تبادل الخواطر والأفكار، بل بث الشكوى وتجارب المشاعر والرغبات، فالصديق شخص يسمع ويفهم ويحنو وينصح، والتعبير له عن متاعبك ومشكلاتك باللفظ يهون من شدتها، ويزيدها وضوحاً وتحديداً ويجعلك تنظر إليها نظرة موضوعية مما ييسر تحليلها وفهمها ونقدها والكشف عمَّا قد يكون بها من مبالغات، والبوح للصديق بما تخافه أو تخجل منه أمان من الكبت، والصديق يعفيك من أن تبث شكواك ومتاعبك لكل من هب ودب فلا ينالك من ذلك إلا خيبة الأمل وسوء الظن بالناس، ذلك أن من تشكو إليه قد يستضعفك، والناس لا تحترم ولا تخشى إلا الأقوياء أو يسخر منك أو يشمت بك، أو يكره أن يستمع إليك. لأنك تصور له ناحية يكرهها من نفسه أو لديه من الهموم ما يشغله عنك، وغير بعيد أن يستغل شكواك ضدك إن انقلب عليك ومن ثمَّ كانت الصداقة عاملاً مهماً في تنظيم شخصية الفرد، وكان انعدام الأصدقاء علامة على سوء التوافق خاصة في مرحلتي المراهقة والشباب.

تعلم حل المشكلات بالطرق الصحيحة

الأسلوب العلمي لحل المشكلات هو الأسلوب الوحيد لحلها حلاً واقعياً سليماً لأنه يقتضي الرؤية والتفكير والنظر إلى المشكلة من جميع نواحيها السارة وغير السارة ووزنها وتحليلها، هذا إلى أنه أسلوب موضوعي يتطلب أن يسترشد الإنسان أولاً بالوقائع، والمشاهدات الموضوعية لا بحالته الذاتية ومخاوفه وشكوكه.

أما الأسلوب غير العلمي فقد يخفي المشكلة في الظاهر لتعود



الأسلوب العلمي لحل المشكلات هو الأسلوب الوحيد لحلها حلا واقعيا سليما



شراً مما كانت عليه أو لتتمخض عنها مشكلات أخرى، وحاول أن تحسم مشكلاتك فور ظهورها وأن تبت في الأمور دون تسويف كبير، وأن تصل إلى قرارات حاسمة غير مائعة، فتعليق الأمور يبعث في النفس القلق ويثير الصراعات القديمة، بل يخلق صراعات جديدة، فإن أعجزك حل المشكلة فاستشر، وإن ظلمك الواقع فاستقبل المحتوم ببشر وخذ الأمور هوناً على قدر ما تستطيع ووطِّن نفسك على أن الفشل والحرمان من طبع الحياة فلا مناص من قبولهما ثم تعلم كيف تنحني للعاصفة.

إتقان عملك

لا تحاول أن تنجز ثلاثة أشياء في وقت واحد لأن هذا يعني قصورك عن إتقان أي واحد منها ولو كان شعارك «الكيف قبل الكم» لكان خيراً، وأبقى، ففي الإتقان أمانة وشعور بالنجاح وتذكر «أن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»، وهذا أفضل سبيل إلى زيادة الثقة بالنفس، والإتقان لا يعني أن ترهق نفسك بالإسراف في العمل، فقد يكون هذا الإسراف حيلة دفاعية ضد القلق، وهذا نوع من التبذير يجب أن ينتبه إليه الفرد وأن يعمل على إزالة أسبابه.

ركِّز انتباهك في الحاضر

لا تكثر من التحسر على ما فات والتوجس مما هو آت، بل درِّب نفسك على تركيز انتباهك في الحاضر فهذا خير وسيلة للإتقان وسرعة البت والإعداد للمستقبل، غير أن هذا لا يعني إغفال الخبرة الماضية وما يقتضيه المستقبل، بل يعني أن خير الطرق للاستعداد للغد هي أن نركز اهتمامنا ونشاطنا في إنهاء عمل اليوم على خير ما يكون دون إسراف في تأمل الماضي والمستقبل لذاتهما تأملاً يغشاه القلق، فالقلق لا يسلب الغد أحزانه لكنه يسلب اليوم قوته.

صحتك الجسمية

من الثابت أن الإنسان وحدة جسمية نفسية وما نريد توكيده هو أن الإرهاق الجسمي الموصول أو المرض الجسمي الموصول يخفض من قدرة الفرد على مقاومة الضغوط النفسية، والاجتماعية التي يتعرض لها، أي يعرضه أو يورطه في اضطراب نفسي، وعكس هذا صحيح فالإرهاق النفسي الموصول يقلل بالفعل من قدرة الفرد على مقاومة الأمراض الجسمية، وبعد ذلك لا تتردد في أن تستشير خبيراً نفسياً إن أعجزك الأمر وخصوصاً في الحالات التالية:

١ - إن استبد بك الضيق والقلق أو الشعور بالذنب أو الاكتئاب بصورة موصولة وعجزت عن تحديد مصادر هذه المشاعر.

٢ - إن كنت حيال مشكلة محددة لكنك لم تجد من خبراتك ومعلوماتك ما يعينك على حلها أو إن جربت حلولاً مختلفة واحداً بعد الآخر ولم ترضك هذه الحلول، أو لم تفدك في حل المشكلة بأن كانت حلولاً خيالية أو غير عملية واقعية.

٣ - إذا كنت تتهرب من مواجهة مشكلتك بتجاهلها واستصغارها أو التمويه عليها أو ادعيت العجز عن حلها.

٤ - إذا كنت تنسب قيام المشكلة بأسرها إلى الآخرين والظروف فتلقي كل اللوم عليها دون أن تجد من الشجاعة ما يحملك شيئاً منها.

٥ - إن اشتد اضطرابك وانفعالك من كل ما يذكرك بمشكلتك.

٦ - إن أصبحت سريع الانفعال تثيرك التوافه من الأمور، شديد التردد قبل القيام بعمل عادي أو اتخاذ قرار غير مهم شديد الندم والتحسر على ما تعمله، بادي القلق على صحتك وعملك ومستقبلك.

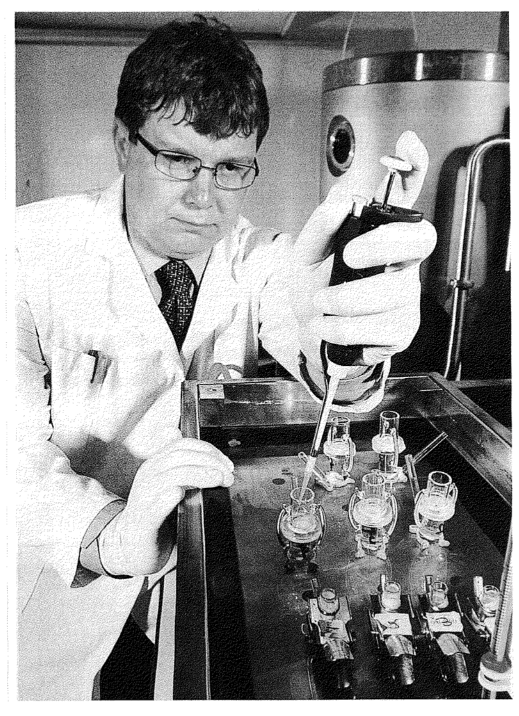
٧ - إن بدأت مشكلتك تعطلك عن أداء عملك كعجز الطالب عن تركيز الانتباه اللازم للتحصيل أو بدأت تشعر بفساد الصلات بينك وبين الناس كأن تصبح شديد الميل إلى الاعتداء أو إلى الشك في نوايا الناس وإستدرار العطف والمعونة منهم أو ظهرت عليك آثار جسمية مزعجة كالصداع والأرق وفقد الشهية للطعام، وكن صادقاً دائماً مع نفسك ●

لا تحاول أن تنجز ثلاثة أشياء في وقت واحد لأن هذا يعني قصورك عن إتقان أي واحد منها


البيت المسلم
إقرأ لهؤلاء
أ.د.عبدالفتاح إدريس
سميرة بنصديق
د.أحمد عبدالعزيز المزيني
تمام أحمد
د.ناصر احمد سنه
محمود النجيري
عولمة الملابس... وارتداء المرأة البنطال
٨٠
٦٨ تحسين النسل جينياً باختيار الأزواج الحاملين لصفات وراثية مرغوبة
٧١ أسلوب المدارة بين الزوجين
٧٢ حقوق المرأة السياسية
٧٤ الكتابة للأطفال فن له هوية وأهداف
٧٧ كيف نلبي حاجة أبنائنا إلى «الأمن النفسي»؟

تحسين النسل جينياً باختيار الأزواج الحاملين لصفات وراثية مرغوبة

بقلم: أ.د.عبدالفتاح محمود إدريس. أستاذ الفقه وأصوله وقواعده في جامعتي الأزهر والإمارات، والجامعة الأمريكية المفتوحة



أولى الاهتمام بالنواحي الصحية للفرد والأسرة والمجتمع، هو شغل الأمم والشعوب، بغية تكوين مجتمع يتمتع أفراده بالقوة البدنية والعقلية، ولهذا فقد انبرت الهيئات والمؤسسات الصحية في كل مجتمع، إلى رعاية أفراده صحياً، سواء قبل الولادة أو بعدها، لتجنيبهم الأمراض التي قد تصيبهم لأسباب بيئية أو وراثية، وقد كان لاكتشاف الجينوم البشري وحل رموز «الشفرة الوراثية» في عصرنا، أثر في الاستفادة منه في مجالات الرعاية الصحية المختلفة التي منها: تحسين النسل وإنجاب ذرية قوية لا تحمل الكثير من الأمراض الوراثية، باختيار أزواج حاملين لصفات وراثية معينة، مثل: قوة البنية، أو طول القامة، أو قوة المناعة، أو زيادة الخصوبة، أو شدة الذكاء، أو عدم حمل أمراض وراثية خطرة من أسلافهم، أو نحو ذلك من صفات مرغوبة.

وتحسين النسل وراثياً يطلق عليه «اليوجينيا» Eugenics، وهي لفظة مشتقة من عبارة يونانية، تعني الفرد الطيب الحسب والنسب، النبيل العرق، ويتم هذا التحسين بانتقاء مجموعة من الأفراد هم الأكثر صلاحية من غيرهم، لاشتمالهم على صفات وراثية مرغوبة، وتشجيعهم على الزواج بمن كان مثلهم، وحضهم على التكاثر، ومعاونتهم على تربية ذريتهم،

تحسين النسل يتم بانتقاء مجموعة من الأفراد الأكثر صلاحية لاشتمالهم على صفات وراثية مرغوبة

ومثل هذا لا يمكن تحقيقه إلا بإجراء الفحوص الجينية على الراغبين في الزواج قبل إتمامه، للوقوف على مدى ما تحمله جيناتهما من تشوهات أو أمراض وراثية، وذلك لتجنب نسلهما الإصابة بالأمراض والتشوهات، التي قد تنتقل إليهم من أسلافهم.

إذ من المعروف أن كثيراً من الناس لديهم استعداد وراثي للإصابة بالأمراض والتشوهات الوراثية، المنتقلة إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم من جهة الأب ومن جهة الأم، منها: أمراض القلب والأوعية الدموية، مثل: وجود ثقوب في تجاويف القلب، أو ضيق في الصمامات، أو مرض الأوعية الرئيسة التي تجهز القلب بالدم، ومرض فرط كلسترول الدم العائلي (Familial Hyperliglyceridemia)، ومنها: أمراض الدم، مثل: أنيميا الخلايا المنجلية (Familial Combined Hyperligyceridemia)، ومرض فرط مجموعة دهون الدم العائلي (Familial Combined Hyper-lipoidemia)، ومنها: أمراض الدم، مثل: أنيميا الخلايا المنجلية (Sickle Cell Anemia)، ومرض الثاليسيميا (Thalasse-mia)، ومرض عدم تجلط الدم (Hemophilia)، ومنها: مرض البول السكري (Diabetes Mel-litus)، ومرض تليف الرئة الكيسي أو الحويصلي (Cystic Fibrosis)، ومرض النقرس (Gout)، ومرض القرحة الهضمية (Peptic Ulcer)، ومرض ضمور العضلات (Mus-cular Dystrophy)، ومرض البله الميت أو مرض تاي ساك (Tay Sachs Juvenile Amau-ratic idiocy)، ومنها أمراض الجهاز المناعي بالجسم، ومرض السرطان، وارتفاع ضغط الدم، والتشوهات الكروموسومية الجسمية والجنسية وغيرها، حيث تمكن العلماء منذ العام ١٩٩٤م من حصر الأمراض والتشوهات الوراثية، التي تنتقل عن طريق الجينات في ٦٦٧٨ مرضاً وتشوهاً وراثياً، ومن العلماء من قال: إنها عشرة آلاف مرض وتشوه وراثي، والكثير من هذه الأمراض والتشوهات يمثل خطورة على صحة وحياة من انتقل إليه، إذ إن بعضها غير قابل للعلاج.(١)

وقد رغَّب الشارع في الزواج، لأنه يتحقق به مقصوده من إنجاب النسل الذي تعمر به الأرض، إذ روي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «النكاح سنتي، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٢)، وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(١).

كما رغَّب كل من يريد الزواج باختيار الزوج الذي يتحقق بالزواج منه، المقصود الشرعي من الزواج، ومن الصفات التي رغب الإسلام في توخيها عند إرادة الزواج: الدين، والعفة، والصلاح، والكفاءة، والخصوبة، وحسن الخلق، والبكارة، والزواج من غير القريبات، ومن النصوص الدالة على ذلك ما يلي:

١ ـ قال تعالى: (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) النساء:٢٤.

٢ ـ قال سبحانه: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) النور:٣٢.

٣ ـ روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم»(٤).

٤ ـ روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تخيَّروا لنطفكم، فإن العرق دساس»(٥).

٥ ـ روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»(٦).

٦ ـ روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»(٧).

٧ ـ روي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لمالهن فعسى مالهن أن يطغيهن، ولكن تزوجوهن لدينهن، ولأمة خرماء ذات دين أفضل»(٨).

٨ ـ روي عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة»(٩).

٩ ـ روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «انكحوا أمهات الأولاد، فإني أباهي بكم يوم القيامة»(١٠)، وفي رواية أخرى من حديث معقل:

«فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»(١١).

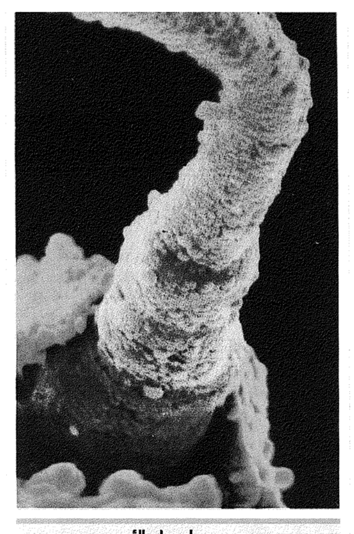
١٠ ـ روي عن المغيرة بن شعبة قال: «خطبت امرأة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك»(١٢).

١١ ـ روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال لبني السائب ـ وقد اعتادوا التزوج من قريباتهم ـ «قد أضويتم فانكحوا الغرائب»، كما روي عنه أنه قال: «اغتربوا ولا تضووا»(١٣).

وجه الدلالة من هذه النصوص

أفادت هذه النصوص أن الإسلام وإن رغب في الزواج، إلا أنه رغب في توخي بعض الصفات في الطرف الذي يُراد الزواج به، لتحقيق دوام العشرة بين الزوجين، وتحقيق مقصود الشارع من إنجاب النسل الكثير الصالح، الذي يتحقق به إعمار الأرض.

وتحقيق ما رغب فيه من هذه الصفات لا يتأتى إلا باختيار وانتخاب الصالح من الأزواج: ديناً، وكفاءة، وخلقاً، وصلاحاً، وعفة، وبكارة، وخصوبة، وبعض هذه الصفات المرغوبة لا يمكن الوقوف على حقيقتها، ومدى توافرها في الطرف الذي يُراد الزواج به، إلا بإجراء الفحوص الطبية السابقة على الزواج، فكان إجراء هذه الفحوص قبل الزواج أمراً مشروعاً، لأنه وسيلة إلى تحقيق أمر مرغب فيه من قبل الشارع، وللوسائل حكم غاياتها.



يتحقق إعمار الأرض بإنجاب النسل الكثير الصالح

ولما كان إنجاب النسل القوي أمراً مشروعاً، فقد استحدث من وسائل الفحص الجيني، ما يمكن به معرفة ما إذا كان الزواج بين اثنين يحملان جينات معينة، يترتب عليه إنجاب نسل سوي، أو فيه أمراض أو تشوهات وراثية، تضعف منه، ولهذا فإن هذا الفحص الجيني مشروع، لأنه وسيلة إلى تحقيق مقصود الشارع، ومن ثم لا يوجد مانع شرعي من توخي الصفات الوراثية في مريد الزواج سواء أكان ذكراً أم أنثى، قياساً على الصفات السابقة، التي رغب فيها شرعاً في النصوص السابقة، وذلك لأن توخي هذه الصفات الوراثية يتحقق به إنجاب الذرية القوية، التي تعمر الأرض، ويتحقق بها مقصود الشارع من الزواج ●

الهوامش:

١ ـ د.محمد الربيعي: الوراثة والإنسان ٥٨ ـ ٦٤، ٦٦ ـ ٧١، ٩٢ ـ ١٠٤، ١٢٠ ـ ١٢٢، ١٣٠ ـ ١٣١، ١٣٤ ـ ١٣٥، د.محمد خليل يوسف، د.عبدالسلام أحمد عمر، د.أحمد يوسف المثيني، د.أميرة يوسف: الوراثة وأمراض الإنسان: ٦ ـ ١١، ٤٠ ـ ٤٤، ١١٦ ـ ١١٩، ١٧٧ ـ ١٧٩، م.ط. عبدالباسط الجمل: عصر الجينات ١٠٤ ـ ١٠٥، ١٤٣ ـ ١٤٤، مبادئ وأساسيات علم الوراثة: ٤٦٦ ـ ٤٧٧، ٤٨٠ ـ ٤٨١، ٤٨٥، ٤٨٦ ـ ٤٨٧، د.عبدالهادي مصباح: العلاج الجيني: ١٧٤ ـ ١٧٥، د.عبدالهادي مصباح: العلاج بالجينات: ١٧٣، ١٨٢، ١٨٣، د.زولت هارسيناوي، ريتشارد هتون: التنبؤ الوراثي: ١٤٢ ـ ١٤٤، أ.د.عدنان العذاري: أساسيات في الوراثة: ١٩٧ ـ ٢٠٥.

٢ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ٣/٢٣٧.

٣ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ٣/٢٣٨.

٤ ـ أخرجه الحاكم وصحح إسناده، وأخرجه البيهقي وابن ماجة في سننيهما، ورمز له السيوطي بالصحة «السيوطي: الجامع الصغير ١/١٣٣).

٥ ـ أخرج الحاكم وابن ماجة والبيهقي بعضه، ورمز له السيوطي بالصحة «المصدر السابق».

٦ ـ أخرجه الحاكم والترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة، وأخرجه ابن عدي من حديث ابن عمر، والترمذي والبيهقي من حديث أبي حاتم المزني، ورمز له السيوطي بالصحة (المصدر السابق ١/١٦).

٧ ـ أخرجه الشيخان في صحيحيهما «عبدالباقي: اللؤلؤ والمرجان ٢/٣٤٣».

٨ ـ أخرجه ابن ماجة في سننه وسكت عنه المنذري «المنذري: الترغيب والترهيب ٣/٤٦».

٩ ـ أخرجه ابن حبان في صحيحه وصححه، وأخرجه أحمد في مسنده والطبراني في الأوسط وقال الهيثمي: إسناده حسن (ابن حجر: تلخيص الحبير ٣/١١٦، والشوكاني: نيل الأوطار ٦/٢٣٢).

١٠ ـ أخرجه الشافعي وأحمد في مسنديهما، وأشار إليه الترمذي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه جرير العامري وقد وثق «تلخيص الحبير ٣/١١٦، ونيل الأوطار ٦/٢٣٢).

١١ ـ أخرج هذه الرواية الحاكم وأبوداود والنسائي، وصحح الحاكم إسناده (الترغيب والترهيب ٣/٤٦ ـ ٤٧).

١٢ ـ أخرجه الشيخان في صحيحيهما (اللؤلؤ والمرجان ٢/٣٤٤).

١٣ ـ أضوى: أي أتى بولد ضاوٍ، أو ضعيف البنية، وتضووا: من ضوي إذا ضعف وهزل، وهذا الأثر أخرجه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ٧٢٤.

أودع الله تعالى في بني الإنسان تمايزاً وتبايناً في المزاج والطباع والفهم والإدراك، وبذلك سهل على المتميز منهم سلوك سبيل المداراة ولين الكلمة لتسهيل سبل المعاملة والعيش المتبادل. ولما كانت العلاقات الاجتماعية بين الناس يطبعها أُسلوب التعاون والتآزر فإن ممارسة «المداراة» أمر طبيعي يفرضه السلوك الأخلاقي الذي يمارسه الإنسان مع أخيه الإنسان.

والمداراة لغة من درأ يدرأ أي دفع، فكل ما يدفعه الإنسان عنه فقد درأه ومنه الحديث «ادرأوا الحدود بالشبهات».

قال الجوهري: ومداراة الناس: المداجاة والملاينة، وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه حديث: «رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس» أي استعمال أسلوب الملاينة معهم واحتمالهم واصطحابهم بالمعروف.

بقلم: سميرة بنصديق . كلية الشريعة . فاس

أسلوب المداراة بين الزوجين

قال ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢) نقلاً عن ابن بطال: «المداراة من أخلاق المؤمنين وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول وذلك من أقوى أسباب الأُلفة، وظن بعضهم أنَّ المداراة هي المداهنة، فغلط لأن المداراة مندوب إليها والمداهنة محرمة، وهي أن ترى مُنكراً أو تقدر على دفعه ولم تدفعه حفظاً لجانب مرتكبه أو جانب غيره...».

وقد يكون في المداراة نوع من إخفاء الحقيقة ومجاوزة الصدق تحقيقاً لمصلحة يراها الشرع ضرورية، إلا أنه حددها كما جاء في صحيح مسلم في ثلاث حالات: الحرب وحديث الرجل لامرأته والإصلاح بين الناس.

والذي يهمنا في هذه العجالة هو مداراة الرجل لامرأته حفاظاً على عش الزوجية وتمتيناً لدعائم الأسرة، فالرجل عندما يعي جيداً كيف أن امرأته تنتابها من حين لآخر تصرفات انفعالية تؤدي إلى نشوء خلافات يضطر لسلوك طريق المداراة، فيستميل زوجته بالحديث اللين والكلام اللطيف الذي تحبه وتسكن إليه حتى إذا سكنت نفسها وهدأت عادت إلى الابتهاج والاطمئنان فيعود الاستقرار العائلي إلى طبيعته الأولى، وقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا إن المرأة خُلقت من ضلع، وإنك إن أردت إقامة الضلع كسرتها، فدارها تعش بها» وكسر الضلع معناه الطلاق، ولذلك قال ابن العربي الأندلسي (ت٥٤٣) في كتابه «عارضة الأحوذي في شرح سنن الترمذي»: «والغالب من النساء قلة الرضى والصبر، فهن ينشزن على الرجال كثيراً ويكفرن العشير، فلذلك سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم المنتزعات أنفسهن من النكاح منافقات».

وقال ابن حجر في شرح رواية أخرى من الحديث: «يؤخذ منه أن لا يتركها على الاعوجاج إذا تعدت ما طبعت عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها أو ترك الواجب وإنما المراد أن يتركها على اعوجاجها في الأمور المباحة، وفي الحديث الندب إلى المداراة لاستمالة النفوس وتأليف القلوب، وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن والصبر على عوجهن».

وكان عليه الصلاة والسلام حريصاً على إرضاء أزواجه وفق مفهوم ما شرع لهن على أزواجهن من حقوق يأتي في مقدمها حسن المعاشرة بالتلطف إليهن وتأليف قلوبهن والصبر على عوجهن، وفي الحديث أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فواطيت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلنقل له: أكلت مغافير «شيء شبيه بالصمغ لكنه حلو» إني أجد منك ريح مغافير، قال: لا، ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً»، وهذا الفعل من النبي صلى الله عليه وسلم اجتهاد منه حتى إن الله تعالى عاتبه في ذلك قائلاً: (يأيها النبي لِمَ تحرِّم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم) التحريم:١.

ولا شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم من منطلق بشريته وإنسانيته السوية يقع له مع أهل بيته من الخلافات والنزاعات ما يمكن أن يحدث بين أي رب أسرة مع زوجه وأبنائه، ولكنه في جميع الأحوال يبقى ذلك الإنسان الكريم ذا الخلق العظيم الذي يلجأ إلى المداراة والمجاملة، لكنه لا يقول إلا الصدق ولا يتصرف إلا بالحق والسداد.

هكذا إذن يتبين أن الاستقرار العائلي واستمرار العلاقات الزوجية يحتاج إلى استعمال أسلوب المداراة والملاينة بين الزوج والزوجة، ولا يفهم من هذا أن الزوج وحده مطالب بسلوك هذه الطريق ولكن الزوجة بدورها تحتاج إلى الاستعانة بهذا الجانب من المعاملة درءاً للخلافات والنزاعات وحرصاً على استمرار الدفء العائلي والمودة المتبادلة، بيد أن اكتساب أسلوب المداراة يتوقف على مدى القدرة على التعود عليه ليصبح سلوكاً ومنهجاً في الحياة الزوجية قوامه الصبر والأناة واللين والرفق والحكمة والموعظة الحسنة وكلها أساليب تربوية حث الإسلام عليها بهدف بناء العلاقات الاجتماعية السليمة في المجتمع وتأكدت أهمية وجدوى الأخذ بها واستعمالها بين الزوجين من أجل تقوية أواصر المودة والرحمة بينهما ●

حقوق المرأة السياسية

بقلم: الدكتور أحمد عبدالعزيز المزيني. الأمين العام لجماعة أنصار الشورى

دعوة غريبة نشاز، مازال يرددها الليبراليون من دعاة تحرير المرأة الذين يخرجون بهذه الدعوات المضللة المشبوهة التي تستهدف تدمير النظام الأسري برمته، وتحميل المرأة عبئاً فوق طاقتها.

فقد كانت الدعوة إلى تحرير المرأة منذ أوائل القرن الماضي وقبله بقليل تحمل في طياتها مظاهر التقليد للغرب، وتنطوي على نيّات غير سليمة، كشفت عنها مجمل كتابات أولئك الدعاة المقلدين له الذين تخرجوا في جامعاته، وبهرتهم قشور حضارته، فقد جاءت الدعوة إلى تحرير المرأة في ظروف معينة، حيث كان العالم العربي والإسلامي خاضعاً للهيمنة الاستعمارية، ولم يكن الإنسان العربي في ظل تلك الظروف متمتعاً بأبسط حقوقه الوطنية في الحرية والتعليم والعمل والحياة الكريمة، فتولدت هذه الدعوة الهجينة في تلك الظروف الاستثنائية، بمنأى عن روح الإسلام، وما تدعو إليه دعوته الحق، ولم يكن التركيز على حقوق المرأة كما هي مقررة في قواعد الشريعة الإسلامية، بل اتجهت إلى تحرير المرأة، لتتماثل وتتوافق - شكلاً وسلوكاً - مع النموذج الغربي، وإلى أمور مريبة، من بينها التحرر وبمعنى أدق: التحلل من الحجاب باعتباره مظهراً إسلامياً اقترن بزي المرأة المسلمة على مدى تاريخ طويل، والتمرد على القيم الدينية والخروج عن الأعراف، والانخراط في الحياة العملية، بما فيها من مظاهر الاختلاط المريب، والسفور العجيب، الذي طال الحشمة، ونال من الحياء أكثر مما كان متوقعاً.

وكما نعلم، فإن قاسم أمين الذي يعد من أوائل الذين دعوا إلى تحرير المرأة صدر له كتابان بهذا الخصوص، الأول: تحرير المرأة سنة ١٨٩٩م، والثاني: المرأة الجديدة سنة ١٩٠٦م، وقد تضمنت كتاباته دعوة إلى سفور المرأة وتعليمها ومشاركتها الرجل في الحياة العامة، ولا يشفع له أن بعض كتاباته اتشحت ببعض المظاهر الدينية التي استغلها هو وغيره ستاراً لتلك الدعوة المريبة التي تبقى في مجملها تنمُّ عن إعجابه وانبهاره بالنموذج الغربي الفرنسي، فقد تخرج في جامعة «مونبوليه» في فرنسا، فكان من بين الذين بهرتهم الحياة الغربية، فراحوا يدعون إلى تقليد الغرب، متجاوزين الشريعة الإسلامية، وما تقتضيه من قيود ربانية على الرجل والمرأة معاً.

لقد نسي القوم من دعاة تحرير المرأة والمفتونين بالنموذج الغربي، أو تجاهلوا أن الإسلام هو أول من نادى بتحرير المرأة من قيود جاهلية صارمة، عانت منها المرأة قبل الإسلام معاناة قاسية، فضاعت أبسط حقوقها في الحياة الكريمة، وكانت من قبله نسياً منسياً، ففي ظل الإسلام نالت المرأة حقوقها كاملة من المكانة والمنزلة والاحترام والتقدير، وقد أضفى الإسلام على تلك الحقوق قدسية دينية ثابتة، فلم تعد تلك الحقوق مجرد كلمات عابرة أو مقيدة بحال طارئة، أو شعارات زائفة مضللة، بل أصبح تجاوزها على مدى التاريخ البشري يعدّ انتهاكاً، وعقوقاً ومروقاً وخروجاً عن طاعة الله وحرماناً من ثوابه، قال تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) الإسراء:٢٣-٢٤، وشاركت المرأة في ظل الإسلام في الحياة، بما تسمح به قدراتها وفطرتها التي فطرها الله عليها، وبما هيأها له من وظائف، وبما متعها من الأمومة والعطف والحنان، وفي مواقف معينة قدمت المرأة «الأم» على الرجل «الأب»، وقصة الرجل الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله: من أحق بصحبته، فقال له النبي «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثمن من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك». وهي قصة ينبغي أن نمتثل لها، ونقتدي بما فيها من توجيه للسلوك الإنساني تجاه الأم «المرأة»، ونستخلص مكانتها في الإسلام. ولا يغيب عنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الجنة تحت أقدام الأمهات».



لقد جعل الإسلام المرأة عزيزة مكرمة في مملكتها «بيتها»، تنهض بأقدس مهمة في التاريخ، وهي تربية الأبناء تربية فاضلة، وتنشئتهم تنشئة صالحة، حتى يكونوا عنصراً فاعلاً في الحياة، وبذلك يُجزى الآباء الجزاء الأوفى، وفاقاً لما قاموا به من تربية لأبنائهم التربية التي يرتضيها الله. وليس معنى ذلك كما يذهب أعداء الإسلام من المغرضين الحاقدين بأن المرأة المسلمة ليس لها



قفز الليبراليون على الحقوق الشرعية للمرأة وتذرعوا بحق المرأة السياسي وجعلوه مشجبا علقوا فشلهم عليه

من دور إلا في المطبخ وتربية الأبناء، فإلى جانب هذه المهمة الكبيرة أعطاها الإسلام حقوقها في التعليم، وفي التملك وفي التجارة، وفي العمل بما يتناسب مع فطرتها وتكوينها.

إن تاريخ الإسلام يشهد بما كان للمرأة المسلمة من مشاركات فاعلة في الحياة العلمية والعملية والثقافية والأدبية والاجتماعية، ولا نبالغ إذا قلنا: والعسكرية الحربية أيضاً، كما كان يحدث في غزوات الرسول، حيث كانت المرأة تقوم بدورها وفقاً لما تقدر عليه. وليت الدول الغربية ذات الطابع العلماني، وغيرها من البلاد العربية والإسلامية التي تنادي بحقوق المرأة السياسية وتدعي التقدم والتحضر أعطت المرأة حقوقها الشرعية وصانتها لها، وحفظتها عليها، كما قررها الدين الإسلامي.

وإذا كان حق المرأة السياسي «الانتخاب ـ الترشيح ـ الوزارة ـ الرياسة» لم يقره الإسلام، ولم يشرعه صراحة، ولم يحدث في تاريخ المسلمين إعطاء المرأة هذا الأمر، الذي يسمونه ـ هذه الأيام ـ حقاً سياسياً، ففي ذلك أعظم تكريم للمرأة المسلمة في إبعادها عن هذه المهمات الخطيرة التي يعجز عنها صناديد الرجال، وفي ذلك صون لكرامتها، وحفظ لآدميتها ومنزلتها وعفتها، ومعروف أن نظام الشورى يسمح باستشارة المرأة، ويمكن تعيينها بعد سن الخمسين في مجلس الشورى عملاً بقوله تعالى: (القواعد من النساء)، لتكون عضواً فيه لاستشارتها فيما يتصل ببنات جنسها والتعرف إلى مشكلاتهن عن قرب، ولكنا نعرف أن عمر بن الخطاب استشار ابنته حفصة في مدى قدرة المرأة على تحمل غياب زوجها عنها.

ولكن الليبراليين والعلمانيين، والمقلدين للغرب أرادوا أن يقفزوا على تلك الحقوق الشرعية متذرعين بحق المرأة السياسي، ومتخذين منه مشجباً يعلقون عليه فشلهم في تطويع المجتمع لرغباتهم، وجسراً يعبرون من فوقه إلى الطعن في الإسلام، وإلى تحقيق أهدافهم في تغريب المجتمع وإخضاعه إلى النموذج الغربي، وها هي المرأة قد نالت في بعض الدول العربية والإسلامية حقوقها السياسية التي كان ينادي بها الليبراليون، وبدأ ينادي بها ليبراليون في الكويت، منذ وقت غير قريب، فماذا كانت النتائج والمحصلات النهائية؟ نترك الجواب عند الليبراليين في تلك البلاد وفي الكويت وغيرها. وها هي المرأة في الكويت قد خرجت من خدرها، ونالت حظاً وافراً من الحرية بلا حدود، وبلا قيود، فماذا كانت النتائج؟

- أطفال يخضعون في تربيتهم وتنشئتهم إلى مربيات آسيويات غريبات عنهم في الدين والطباع والعادات والقيم!
- أطفال يفقدون حنان الأمومة ولا يجدون ما يملأ حياتهم العاطفية من حب وحنان!.
- أطفال بلا أسر، تحنو عليهم وترعاهم!.

والنتيجة: تفكك أسري، يعرفه القاصي والداني.

إن جماعة أنصار الشورى على يقين بأن المرأة المسلمة التي شرح الله صدرها للإسلام، واطمأن قلبها للإيمان تنأى بنفسها عن الخوض في معترك الحياة السياسية، ولا تقبل لنفسها منصب وزير أو رئيس للوزراء أو عضوية المجالس النيابية، وبمعنى آخر: تترفع عن هذه المشاركة السياسية، وتتخلى عنها للرجال القادرين عليها، وعلى المواجهات الحادة، والخلافات المتباينة، والصراعات التي تحتدم بين وقت وآخر في أروقة السياسة ودهاليزها المعتمة، وليس تخلي المرأة المسلمة عن العمل السياسي لعجز في قدرتها أو نقص في شخصيتها أو عدم تمكنها من تقويم المواقف وتقديرها حق قدرها، إنما ذلك لصون شرفها وكرامتها وعفتها ومنزلتها، ابتغاء لوجه الله ومرضاته ●

د.طارق البكري لـ الوعي الإسلامي :

الكتابة للأطفال فنٌّ له هويّة وأهداف

يحتاج الطفل المسلم إلى زاد ثقافي يومي يوطد مفاهيمه الدينية ويعزز قدراته الشخصية، ما يمنحه روافد بنائية، تهيئه للمستقبل، في سياق جملة من الاستجابات الحية التي يحتاجها الطفل، بدءاً من خطواته الأولى... فإلى أي مدى تحقق قصص الأطفال وكتبهم الغاية البنائية المرجوّة، وهل ما لدينا الآن يجسِّد المطلوب...؟ في هذا الحوار مع الكاتب والصحافي اللبناني المتخصص في شؤون الطفل الثقافية، الدكتور طارق البكري، الذي سبق له أن تولى الإشراف على تحرير ملحق «الوعي الإسلامي»، «براعم الإيمان»، والذي أجرى على الملحق دراسة موسعة كانت أطروحته لنيل الدكتوراه... حديث حول هموم الطفولة وآدابها وصحافتها.

أجرى الحوار: تمام أحمد

● صدر لك قبل أيام عن مركز ثقافة الطفل، هنا في الكويت مجموعة قصصية جديدة، ترى ما الجديد فيها؟

ـ في البدء نشكر مجلة «الوعي الإسلامي» ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية على اهتمامهما الكبير بعالم الطفولة، وحرص المجلة على التواصل مع الأدباء والكتاب المتخصصين بقصص الأطفال وكتبهم.

وبالفعل صدر لي أخيراً خمس قصص عن مركز ثقافة الطفل التابع لمؤسسة فهد المرزوق الصحفية، وهي قصص إسلامية غير مباشرة عنوانها: بائع الحلوى ـ لعبة الحب ـ صديقتي التي أحبها وتحبني ـ الباب الوفي المزعج ـ نور والقطة الجريحة.

والهدف الأساسي من هذه القصص ترجمة منهج رؤية تربوية الذي أعدته المربية الداعية نسيبة عبدالعزيز العلي المطوع، والمقدم إلى اللجنة العليا لتطبيق الشريعة الإسلامية في الكويت، وجميع هذه القصص معتمدة من الداعية المطوع، باعتبارها ترجمة قصصية للمنهج، وهي موجهة لأطفال المرحلة الابتدائية والمتوسطة.

● وهل هنالك إصدارات أخرى جديدة؟

ـ نعم، لقد صدر لي في بيروت أخيراً ٢٠ قصة دفعة واحدة، بعضها مترجم إلى الإنكليزية، كما صدرلي في دمشق، مجموعات عدة منها «مجموعة الانتفاضة»، وهي تحكي عن شهداء الانتفاضة والمقاومة في الأقصى المبارك «الأطفال»، وهنالك مجموعة ثانية عنوانها: «الشهداء الأبطال، وتروي سيرة عدد من الشهداء في العصر النبوي الأول، إضافة إلى مجموعات متنوعة أخرى، كما أن هنالك قصة عنوانها «الأميرة كهرمان والسلطان شرهان»، وهذه ستصدر قريباً، وتتناول بصورة رمزية الواقع الذي أصاب العراق الشقيق من قبل النظام السابق، وتقدم للأطفال بطريقة بسيطة تبين عاقبة الظلم والظالمين.. كما صدر لي شريط أناشيد، يتناول نعمة الحواس الخمس، مع بعض التفاصيل العلمية... وغير ذلك من الإصدارات التي تجاوزت ١٥٠ قصة و٢٠ «سي دي» رسوم متحركة وأناشيد.

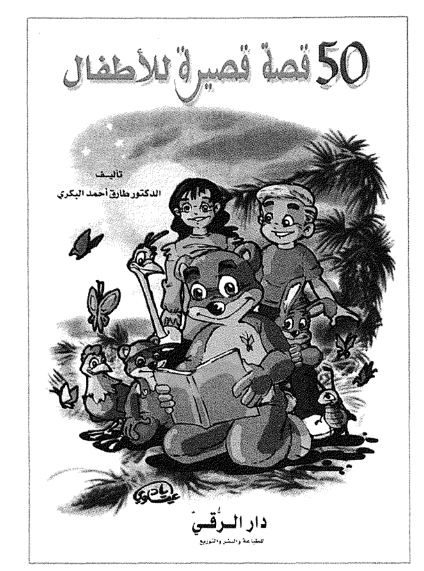
● كيف ترى واقع كتب الأطفال اليوم في العالم العربي؟

ـ أعتقد أن الواقع يؤكد وجود انطلاقة واسعة لكتاب الطفل المسلم، فالناشر بصفة عامة بات يدرك تجارياً وتربوياً أهمية نشر الكتب المناسبة للأطفال لمختلف مراحلهم السنيَّة، وبتنا اليوم نجد ملايين القصص والكتب والإصدارات على مدى العالم العربي، تحتوي قيماً ومفاهيم إسلامية سليمة، مع العلم أن هذه التجربة تعتبر من التجارب الجديدة نسبياً، وذلك لإدراك الناشر العربي أخيراً الجدوى الاقتصادية لكتب الأطفال، وحاجة الأسواق، ثم إدراك كثير من الناشرين مدى تأثير الكتاب بعامة والقصة بخاصة في عملية البناء المطلوب... ونحن في مركز ثقافة الطفل في الكويت لدينا أبعاد ثقافية دينية بعيدة تماماً عن الأهداف المالية، وكل القصص التي أصدرها المركز تباع بسعر أقل من التكلفة، فليس للمركز أي سعي للربح، بل إن رئيسة المركز السيدة غنيمة المرزوق معروفة بأعمالها الخيرية الممتدة من الكويت إلى كازاخستان إلى الهند والسودان، ولبنان، وأميركا... وهي تبنَّت القيام بمشروع ترجمة منهج الرؤية الإسلامية وقُدم للأطفال على شكل قصص لمختلف المراحل السنية بدءاً من ثلاث سنوات حتى نهاية المدرسة.

● ألم تيأس بعد؟

ـ قال: مم... لم أجد تعثراً بالإصدار.

● أقصد من الناحية المالية...



ـ الحق معك... يعلم من يعمل في مجال التأليف... وبخاصة الأدبي منه... وبشكل أخص وأدق ما يتعلق بالطفولة... يعلم هؤلاء أن المردود ضعيف جداً... وهذا أمر يشكو منه كثير من الكتّاب... لكني لست أكتب للطفل لأكوّن ثروة... ولست لاهثاً وراء شهرة.

● أقاطعه... ماذا تريد إذاً؟

ـ يسكت قليلاً ويقول: ما كنت أتمنى أن يسألني أحد هذا السؤال... لكنني اعتدت أن أسأل عن ذلك ـ لا مال ولا شهرة... لست غنياً... ولطالما وقعت في أزمات... وربما بت جائعاً في أيام... ومرة ألبست طفلي ثياباً صيفية فوق بعضها بعضاً لأنني لم أكن أمتلك قيمة ثوب شتوي واحد... كل إنسان يمر بمأس.. لكن ذلك لم يكن دافعاً لي لأعود وأتكسب من وراء الكتابة للطفل... أحترم كثيراً من يقدر العاملين في هذا الإطار... ولا أنسى فضل امرأة فاضلة تعي ما للطفل من أهمية، رعتني في ظروف قاسية... مدت إلي يداً لنكتب للطفولة... لننشر للطفولة... ولا أنكر أن أجمل ما كتبت كان بعد رعايتها.

● هذا يعني تكسباً؟!

ـ ليس بهذا المفهوم... هذا جزء... جزء بسيط، لكنه أساسي... لأن الكتابة للطفل رئة أتنفس بها في هذه الأجواء التي نعيش...

● وضّح لي... ماذا تقصد بالرئة؟!

ـ الحياة اليوم مليئة بالعفونة... التعامل لا يكون إلا على قاعدة المصلحة، فالطفل الذي يقرأ لي... لا يعرفني... ليس لدي مصلحة به وكل ما يربطنا هو الكلمة... كنت في معرض الكتاب في الكويت أقف أمام الأرفف التي تعرض كتاباً لي، أتأمل الأطفال وهم يأخذون القصص... يقلبونها بين أيديهم... يشترونها.. لا أستفيد فلساً من الشراء، فلا تقل لي إنها حالة تكسب... سمها نرجسية... رضا نفسي... انقلاب من الداخل... المهم أننا نعيش الطفولة في كليّة... تلك الأنامل الناعمة... والعيون المتألقة... تشجعني... تقول لي: مزيداً... مزيداً... وهذا ما يجعلني لا أتوقف... حتى يجف نبع العطاء.

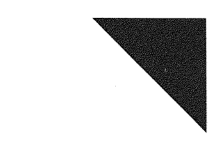
● وأنت تتأمل ذلك... ألا تشعر أننا مقصرون نحو الطفولة؟

ـ ليأكل الأطفال نحتاج إلى طعام... وهذا ما نعمل كآباء وأمهات دوماً لتأمينه... ولكن لينمو الأطفال في صحة نفسية وعقلية فهذا آخر هم لكثير من الناس، ليس البسطاء منهم فقط بل حتى المثقفين المتعلمين.. هناك مؤتمرات.. ندوات.. دراسات.. الأحلام شيء والواقع شيء آخر... الكويت تشهد من حين لآخر لقاءات خاصة بالطفولة، وكذلك.. مصر.. سوريا.. بيروت.. وغيرها من عواصم العرب.. لكن من استفاد منها.. هناك فئة معينة من الأطفال هم المستفيدون غالباً... معظم الأطفال العرب لا يجدون ما يشترون به كتبهم المدرسية، فكيف يشترون قصصاً غالية الثمن.

معظم الناشرين متأثرون بما يصدر في بلاد الغرب... يريدوننا نسخة عن الغرب... يريدون أطفالنا نسخة مشوهة عنهم، يرطنون بالإنكليزية ويعادون العربية.. يعيدون نشر الكتب الإنكليزية المترجمة، وكذلك الفرنسية وبلغات العالم، وكأن العربية تخلو من عطاء وسناء.

● هل هذا يعني رفضاً

قدمت مجموعة قصص في الكويت بناء على منهج رؤية تربوية أعدته الداعية نسيبة المطوع



للإصدارات الأجنبية أو المترجمة؟.

- حبذا لو نعطي الكلام موضوعية... فلا نحمله أكثر من قصده... أنا أهتم كثيراً بمتابعة ما يصدر في الغرب والشرق من كتب ومجلات وقصص خاصة بالطفل... لكن هذا لا يعني أن أخلع ثوبي وأغوص في قيعان الآخرين.. الأمم تتلاقح.. الأفكار تتبادل... لكن أن نظن أن كل ما يأتينا من بلاد الغرب هو الأعلى والأفضل، وأن كل ما يأتينا من الشرق هو الأقل... فتلك أفكار قاصرة... هي التي لا تعرف قيمة ما في أرضها... هنالك فنانون وأدباء وعباقرة... هويتهم عربية... انتماؤهم عربي... صناعتهم عربية... لو تأمن لهم المستوى الذي تؤمنه دور النشر الغربية لكان عطاؤهم أكبر وأهم... ولكنا بصراحة نريد أن نطلب الأفضل والأحسن... والأعلى... بينما لا نقدم إلا القليل... وليس ذلك فقط... لو بدا على أحدهم حمرة الخجل والجوع في خديه... لظننا أنها نعمة الرخاء... فنبدأ نفكر... من أين له هذا؟ لنبن أولاً ما في داخلنا... لنسخوا على مطبوعات الأطفال... ليتجه الأغنياء إلى هذا الجانب.

● أقاطعه... ما يكون دورهم؟

- دورهم كبير... كثير منهم لا يزال غير مهتم بأدب الأطفال... صديق لي... يملك موقعاً على الإنترنت... سماه «أدب الأطفال» لا يكاد يملك ما ينفقه على هذا الموقع... فهو ينفق من جيبه الخاص... فإلى متى يصمد... الله أعلم... وغيره أيضاً... ينفقون الملايين على ندوات تظل حبيسة الأدراج... نسمع عن مؤتمرات عن الصغار تكون بمثابة علاقات عامة... هنالك من يستفيد كثيراً من ورائها... وهناك من يركب الموجة.. وهناك بالفعل كثير ممن عشق الطفولة ومستعد لبذل ما يملك من أجل أطفال لا يعرفهم.. وربما لم يولدوا بعد.

● لم تحدد لي ماذا تريد من الأغنياء!!

- لا أقصد الأغنياء تحديداً.. بل أقصد غيرهم ممن يملك سلطة معنوية وأدبية على امتداد العالم العربي... لماذا لا ننشئ كليات خاصة بأدب الأطفال... يكون هنالك المحرر والمخرج والفني والمصحح والتربوي في كل المجالات المرئية والمكتوبة والمسموعة من المتخصصين بشؤون الأطفال... ومن أقدر من هؤلاء على الاضطلاع بهذا الدور الخطير... كما يجب أن يكون هناك دعم لكتاب الطفل... لا نريد أن يكون النشر محققاً استفادة اقتصادية على حساب الطفل، كما أن بعض الناشرين يعمدون إلى رفع الأسعار لتغطية التكاليف لأن إصدارات الطفل كما هو معلوم تكاليفها الطباعية مرتفعة، ومن تم يجب الالتفات إلى أهمية تأمين مردود يكفل للناشرين الاستمرار والمواظبة على الإصدار.. فليمد الجميع أيديهم، وخصوصاً من يمتلك المال... فعليهم مسؤوليات كبيرة في إطار ثقافة الطفل ولا سيما الإصدارات الخاصة بالطفل المسلم.



● ماذا عن إصدارك الذي كان تحت عنوان: «من دوحة الطفولة»؟

- هذا الإصدار مكوَّن من أربع كتيبات، صادر عن دار الحافظ الدمشقي، ورسمته الشابة المبدعة دينا قباوة، وهي شابة في مقتبل عمرها، لكن رسوماتها تتميز بالدقة والبساطة، وتتضمن المجموعة أربع قصص تمس الطفل داخل أسرته، وعلاقاته الاجتماعية، وتتعلق بحياتنا العربية، وبيئتنا الخاصة، أطفال ينشؤون في أحياء عربية إسلامية، ينهلون من النبع العذب الصافي.. وهي موجهة للأطفال في المراحل الابتدائية، وبخاصة السنة الأولى والثانية ابتدائي تقريباً، ولكني وجدت في المعرض الأخير في الكويت أطفالاً في المرحلة المتوسطة يقبلون على شراء المجموعة... وبسؤالهم علمت أنهم يشترونها لأنفسهم.. وهذا بالطبع ماأفرحني.

نحن نحتاج إلى تفكير عملي يوسع دائرة العطاء ويوحد الأداء

● حديث الطفولة لا ينتهي.. ماذا تتوقع لأدب الطفل بعامة... ولك بخاصة... هل سينهض هذا الأدب وتستمر؟

- هذا أمر لا شك فيه.. إني أرى ذلك كما أراك الآن.. هنالك وعي ثقافي في هذا الجانب... الاتجاه السائد يميل نحو الطفولة... أما أن استمر أنا شخصياً، فهذا في علم الغيب ولا يعلمه إلا الله... أما إذا قصدت أنني قد أيأس، فذلك أمر لا أظنه واقعاً أبداً... وأخشى أن يتسلل الملل إلى روحي كما تسلل إلى أرواح كثيرين قبلي... وخصوصاً عند فقدان التشجيع المتوقع... وحتى ذلك الحين سأستمر.. وسأصمد... إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً ●

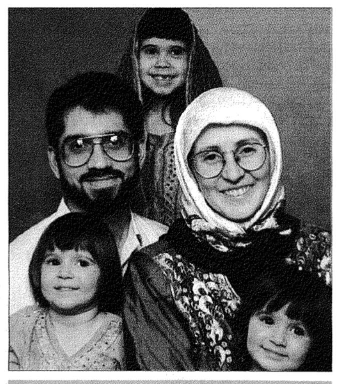
كيف نُلبي حاجة أبنائنا إلى «الأمن النفسي»؟

استوقفتني دراسة أشرف عليها قسم طب الأسرة والمجتمع في كلية الطب والعلوم الطبية في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، وقد جاء فيها أن ١٠٪ من الطلاب والطالبات المراهقين حاولوا الانتحار، و١٧٪ يستنشقون المواد«الطيارة»، ونحو ٣,٢٠٪ من الطلبة وكذلك ٣,٩٪ من الطالبات يدخنون السجائر(١). وإذا كنت قد أمضيت نحو عقدين من الزمان في مجال التدريس الجامعي، فإنني لم أستغرب نتائج الدراسة، فهناك الكثير من مثيلاتها في مختلف الدول العربية والإسلامية، بيد أن الدهشة إنما تتأتى مما هو معروف عن الخلفية الثقافية الإسلامية للشباب السعودي. ومما يثير الاهتمام بهذه الدراسات أنها تدق ناقوس الخطر منبهةً إلى أن أبناءنا في حاجة ماسة إلى «الأمن النفسي». وإذا كانت الأمم تسعى جاهدةً لإعداد الجيوش والحصول على أحدث الأسلحة لتحقيق الأمن المنشود للجماعة والأفراد، فإن هذه الوسائل لن تغني شيئاً إذا ما كان السلام الاجتماعي مهدداً من الداخل.. في صورة عدوان على الأنفس والأموال والأعراض وشيوع المفاسد والمخدرات والقمار ومحاولات الانتحار وتصدع أركان الأسرة والمجتمع والوطن(٢).

بقلم: د.ناصر احمد سنه. أستاذ مساعد ،جامعة القاهرة

أبناؤنا.. والبحث عن «الأمن النفسي»:

يؤكد علماءُ النفس والصحة النفسية على أهمية «الحاجة إلى الأمن» تغلباً على مشاعر«الخوف» التي تقع على رأس قائمة الانفعالات الأصلية للإنسان، وأن هذه الحاجة تظهر معه منذ نعومة أظفاره وتصاحبه عبر مراحل عمره المختلفة وبخاصة مرحلة الشباب(٣)، ولذا يمتن الله تعالى على قريش بإطعامهم وبتوفير نعمة الأمن لهم، يقول تعالى: (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) قريش:٣-٤، ولأهميتها فإنها قد تسبق نعمة الرزق من الثمرات، يقول تعالى: (وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطَّف من أرضنا أولم نمكن لهم حرماً آمناً يُجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) القصص: ٥٧، ويقول تعالى: (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وأرزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب



الحاجة إلى الأمن النفسي اليوم أكثر إلحاحا عند الشباب

النار وبئس المصير) البقرة:١٢٦، ولقد ذهب «ماسلو» إلى ما أكده القرآن الكريم فوضع في هرمه - المكون من خمس درجات - «الحاجة إلى الأمن» في الدرجة الثانية بعد الحاجات البيولوجية بما فيها من (طعام وشراب وملبس ومأوى الخ...)(٤، ٥).

أبناؤنا..والمخاوف التي تحتاج إلى «الأمن النفسي»

وإذا كانت «الحاجة إلى الأمن» من الأهمية بمكان، فما المخاوف التي قد تجعل الشباب أكثر إلحاحا في البحث عن «الأمن النفسي»؟، المخاوف متعددة منها:

١ - الخوف من الفشل في تحقيق الذات التي وضعها «ماسلو» على قمة هرمه) وتحديد الهوية والاستقلال الاقتصادي واختيار المهنة.

٢ - القلق والتساؤلات المصاحبة للتغيرات الجسمية والعقلية والنفسية والعاطفية والروحية.

٣ - مخاوف من «القابلية الشديدة للاستهواء» وبخاصة من النماذج السلبية.

٤ ـ الحيرة والقلق المصاحب بكيفية شغل أوقات الفراغ وتأثير «جماعات الرفاق».

إن الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أي مفسدة

٥ ـ بروز ما يسمى «صراع الأجيال» والمتمثل في نقد الأسرة والمدرسة والمجتمع والعالم(٦).

ويأتي السؤال: كيف نُلبي حاجة أبنائنا لـ«الأمن النفسي»؟

١ ـ بدءاً بحُسن اختيار الأم ذات الدين(٧)، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»(٨)، و«الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعباً طيب الأعراق».

٢ ـ بحُسن اختيار الاسم، وإن كان ذلك يبدو أمراً بسيطاً إلا انه قد يترك ظلالا قاتمة إذا لم يتم وفق هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم(٩).

يجب على المجتمع أن يضبط قيمه وثقافته وإعلامه وتعليمه ومؤسساته وفق رسالة الإسلام

٣ ـ بملازمة الأم لأطفالها ـ وخصوصاً في سنواتهم الخمس الأولى ـ، ليشعروا بالطمأنينة والأمن وهما سياجان ضروريان لنمو سليم، وفي هذا يروي أبو هريرة رضي الله عنه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «نساء قريش خير نساء ركبن الإبل، أحناه على طفل وأرعاه على زوج في ذات يده»(١٠).

٤ ـ وفرّ العطف والحنان والحب لأبنائك، وأعلم أنهم يريدون ذلك في جميع مراحل حياتهم ـ وخصوصاً في فترة المراهقة ـ أخبرهم بحبك لهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أتقبِّلون الصبيان ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة» (١١).

٥ ـ أظهر قيمك الإسلامية الصحيحة وطبِّقها كما تريدها في سلوك أبنائك بلا تناقض بين الأبوين بشأنها، واصطحب أبناءك للمسجد دوماً.

٦ ـ حقق استقراراً لأسرتك بعدم التوتر والشقاق والشجار أو التمييز بين أولادك، ولتكن الخلافات بعيداً عن أعين الأطفال، وعوّدهم على الاهتمام بمشاعر وأمور المسلمين ليعرفوا أنهم ضمن كيان كبير(١٢).

٧ ـ كن قريباً من أبنائك عندما يلجأون إليك طلباً للنصح والدعم الأبوي ولا تدع شواغلك أو شواغل الأم تمنعانكما عن أداء دوركما التربوي(١٣)،وقدّر واحترم مشاعرهم وآرائهم وخبرتهم منصتاً إليهم بصدق يقول الشاعر:

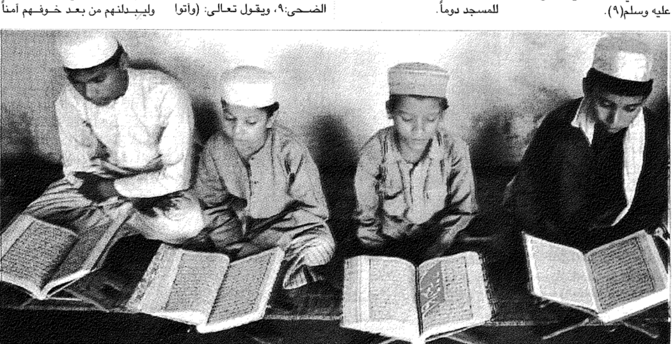
ليس اليتيم من انتهى أبواه
من همِّ الحياة وخلّفاه ذليلاً
إن اليتيم هو الذي تلقى
له أماً تخلَّت أو أباً مشغولاً

٨ ـ «اكفل يتيماً» أو ارع طفلاً معاقاً، فهؤلاء حاجتهم «للأمن النفسي» أكبر وآكد، والإسلام ينهى عن الإساءة إلى الأيتام وانتقاص حقوقهم(١٤)، يقول تعالى: (فأما اليتيم فلا تقهر) الضحى:٩، ويقول تعالى: (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً) النساء:٢. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه، ثم أشار بإصبعيه السبابة والوسطى وقال : «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين» (١٥).

٩ ـ وفرّ دعما اجتماعياً لأبنائك عن طريق صلة الرحم ولقائهم بأعمامهم وأخوالهم الكبار.

١٠ ـ احرص على وضعهم في المدرسة والجامعة الآمنة ذات الدور التربوي المهم والمساعد للأسرة، وتابع تحصيلهم الدراسي وإنجازاتهم ورفاق الدراسة.

١١ ـ صحح عقيدة أبنائك، عوِّدهم المسؤولية عن أنفسهم وإيمانهم، فعندما ننجح في مساعدة أبنائنا في معرفة عقيدتهم سليمة من كل شائبة فسوف ينهضون من كبوتهم آمنين، ويحدون أمتهم الإسلامية لصدارة الأمم، يقول تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً





يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) النور:٥٥.

١٢ ـ ربِّ أبناءك على قيم الشكر والصبر والاستغفار والعفو، فهي من أهم القيم الباعثة على «الأمن النفسي»، فعن عبد الله بن سخبرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أعطي فشكر ومنع فصبر وظلم فاستغفر وظُلم فغفر» وسكت قال فقالوا: يا رسول الله ما له؟ قال: (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)(١٦).

١٣ ـ عوّد أبناءك ـ عملياً ـ على عدم الركون إلى الدنيا وعدم الإسراف في زينتها وتحمل ابتلائها، فالابتلاء من سنن الله في عباده: عجبت لأمر المؤمن إن أمر المؤمن كله له خير وليس لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» (١٧).

١٤ ـ عوّد أبناءك ـ عملياً ـ على العيش في حدود يومهم، راضين بالاستقرار الأسري والعافية، وقوت يوم واحد، دون حزن على مفقود، أو تكلف بموجود، أو قلق على غدٍ موعود: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أصبح آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»(١٨).

١٥ ـ الإسراع بإعفاف أبنائك بالزواج وتيسير نفقاته مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(١٩).

ترقية الأبناء على قيم الصبر والاستغفار والعفو تعتبر من أهم القيم الباعثة على الأمن النفسي

١٦ ـ على المجتمع أن يضبط قيمه وثقافته وإعلامه وتعليمه ومؤسساته كلها وفق رسالة الإسلام وشريعته لكي تختفي الازدواجية والتناقض التي ينتقدها أبناؤنا(٢٠).

خلاصة القول: لكي نحقق «الأمن النفسي» لأبنائنا لابد من توجه صادق العزم لتحديد اختياراتنا الأخلاقية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفق شريعة الإسلام الغراء فهي الكفيلة بتحرير المسلم من كل صور الخوف بينما تملئه بموفور «الأمن النفسي» ●

الهوامش :

(١) انظر الوعي الإسلامي العدد ٤٥٥، رجب ١٤٢٤ هـ، ص٩١.
(٢) انظر د. عبد العظيم المطعني:الفراغ وأزمة التدين عند الشباب المعاصر..الداء والدواء، ط١، دار الأنصار، ١٣٩٨هـ ـ١٩٨٧م.
(٣) انظر د. سيد صبحي: الإنسان وصحته النفسية: الدار المصرية اللبنانية، مكتبة الأسرة ٢٠٠٣م.
(٤) د. سيد صبحي مرجع سابق.
(٥) انظر د. حسان داود: إكمال هرم «ماسلو» منار الإسلام، العدد٤ السنة ٢٨، ١٤٢٣هـ، ص ٦٤.
(٦) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ج٢، دار الشروق، ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨م، وانظر أيضاً د.محمد عماد الدين إسماعيل: «دليل الوالدين إلى تنشئة الطفل»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠١م
(٧) انظر عبد الله علوان: تربية الأولاد في الإسلام، ج١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣ ١٤٠١،٣هـ ـ ١٩٨١م.
(٨) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٩) عبد الله علوان مرجع سابق.
(١٠) رواه مسلم.
(١١) رواه البخاري.
(١٢) انظر د.أحمد عمر هاشم: أبناؤنا بين الحاضر والمستقبل في رحاب الإسلام: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٣م.
(١٣) انظر: أبناؤنا وأسباب النجاح: ترجمة علي عفيفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٣م.
(١٤) د. أحمد عمر هاشم، مرجع سابق.
(١٥) رواه البخاري.
(١٦) رواه ابن مردويه.
(١٧) رواه أحمد.
(١٨) رواه الترمذي، وانظر محمد الغزالي: «جدد حياتك» دار الكتب الإسلامية١٩٨٢ص ـ١٣.
(١٩) رواه الجماعة.
(٢٠) د. عبد العظيم المطعني وعبد الله علوان مراجع سابقة.

عولمة الملابس...
وارتداء المرأة البنطال

امتنّ الله سبحانه على عباده بنعمة الثياب التي يتجمل بها الإنسان ويستر عورته، يقول سبحانه: (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذّكرون) الأعراف:٢٦.

ولا شك أن الملابس مع تقدم الإنسان في الحضارة - صار لها فلسفتها، فلم تعد تقتصر على ستر العورة فقط، وإنما تعتبر خصوصية ثقافية، ورمزاً محسوساً على تفرد كل أمة، لذا نجد لكل قوم لباساً يعتزون به، وزياً يحقق لهم التميز والتوحد.

ومعلوم أن الإسلام لم يفرض على أتباعه زياً معيناً يتزيون به، وإنما اشترط التستر، وحرّم على المرأة أن تُبدي شيئاً من جسدها أو تبرز زينتها حتى لا تكون سبب فتنة في المجتمع، كما أمر المسلمين بعدم التشبه بغير المسلمين في أزيائهم، قال الله تعالى: (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) النور:٣١، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم»(١).

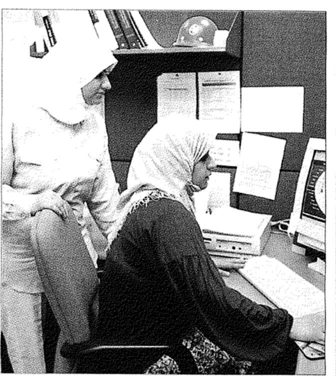
بقلم: محمود محمود النجيري

وذكر علماؤنا عن لباس المسلمة أنه ينبغي أن يميزها عن غير الشريفة، فيكون لباس عفة وحشمة ووقار، لا ضيقاً يصف، ولا خفيفاً يشف، حتى لا يتعرض لها من في قلبه مرض كما قال الله تعالى: (يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً) الأحزاب:٥٩.

أي أن إدناء المسلمة الجلباب على جسدها أقرب إلى أن يُستدل به على أنها عفيفة شريفة، فلا يقترب منها أصحاب الأهواء، ولا ينالها لسان ولا يد بسوء.

صرعة البنطال

ظاهرة غريبة تفشت في بعض مجتمعات المسلمين، وهي ارتداء كثير من النساء للبنطال في الشوارع والمتاجر وأماكن الترفيه والعمل حتى صارت صرعة تنتشر انتشاراً سريعاً من مكان لآخر وكأنها صرخة شيطان هوى بها في



البنطال صرعة انتشرت عند المجتمع النسوي انتشار النار في الهشيم

آذان أهل الأرض فاتبعه هؤلاء كما قال الله تعالى: (إن يَدْعُون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً. لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً. ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً) النساء:١١٧ - ١١٩.

وتبين هذه الآية الكريمة أن الشيطان اللعين تعهد بأن يقتطع نصيباً من بني آدم، يضلهم ويمنيهم الغرور، ويأمرهم بتغيير خلق الله عز وجل، ومن ذلك التغيير لبس النساء ملابس الرجال، فتصير المرأة بذلك من المسترجلات.

ولهذا البنطال أنواع متعددة منه «الجينز» الأميركي و«شيرلستون» الفرنسي، الذي يضيق من أعلى حتى الركبة فيصف العورة، ويتسع عند القدمين وينجر على الأرض، ومنه «جيب شورت» وهو بنطال قصير واسع، ومنه «ستريتش»

مطاطي يلتصق بالجسم فيظهر معالمه، و«تي شورت» وهو بنطال قصير إلى منتصف الساقين... وهذا ما تلبسه المرأة اليوم، ويلبسه الرجل أيضاً، حيث لم يعد من الممكن التفريق بين بنطال الرجل وبنطال المرأة!.

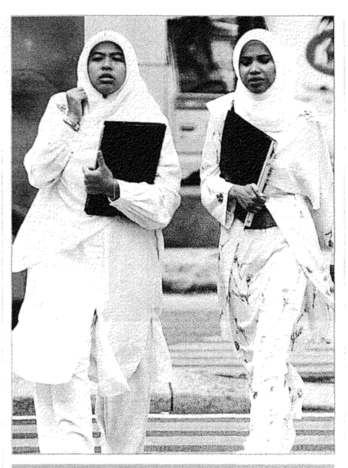
وبعض موديلات البنطال تصنع بحيث ينتهي عند أسفل السرة، ثم تلبس المرأة تنورة قصيرة يظهر معها جزء من بطنها وظهرها، وبعض الأقمشة التي يصنع منها البنطال النسائي لها خاصية الالتصاق بالجسم وتسمى «الاستريتش» فتظهر معالم الجسد تماماً، وقد تشف عما تحتها، فتكون سبب فتنة شديدة، بدلاً من أن تكون ستراً.

وبعض النساء يلبسن البنطال الضيق ليتباهين برشاقتهن، والسمينات لا يستحين من إبراز ضخامة سيقانهن، وكذلك العجائز، فيثرن السخرية من مظهرهن المتصابي.

وهناك بعض من يرتدين البنطال والقميص القصير ويضعن خماراً على رؤوسهن، وهذا عجيب أن يجتمع لبس الخمار والبنطال معاً! فلا ندري لماذا سترت شعرها بخمار، وأبرزت معالم جسدها بالبنطال؟!

والمؤسف له أن بعض المتنقبات يلبسن عباءة مفتوحة من أمام، وقد تكون الفتحة كبيرة، فيظهر البنطال في حال المشي محدداً للسيقان، ولافتاً للأنظار، وربما تكون العباءة شفافة ترى العيون المتفحصة ما تحتها، فتصير المرأة كاسية عارية، وكأنها لا تلبس إلا البنطال.

وبعض البناطيل تشتريها النساء جاهزة، وبعضها يفصلنه عند خياط، ويحرصن على أن يكون الخياط رجلاً، لأن النساء - فيما يقال - لا يحسنَّ تفصيل الثياب كالرجال، ويمد الخياط يده ليأخذ المقاس ويلمس جسدها، وهذا ما لا يجوز شرعاً ولا خلقاً!.



المرأة المحتشمة تتجنب خلع ثيابها في المحلات التجارية للقياس

وقد تخلع المرأة وتلبس كثيراً في المحال التجارية حتى تستقر أخيراً على البنطال المطلوب، وتستشير الباعة في جمال البنطال، كما أنها تجري تجربه عند التفصيل، قبل أن ترضى عنه رضاء نهائياً، فيعاين الحائك صناعته، ويبدي رأيه في كل جزء من أجزاء البنطال، وهي تطلب منه أن يوسعه أو يضيقه، أو يطيله أو يقصره ولا يصح هذا لمسلمة صالحة متمسكة في دينها!.

لماذا البنطال؟

انتشار لبس المرأة البنطال في بلادنا دليل على ضعف في العقيدة عند كثير من النساء، وتشوه في الوعي الديني، وغلبة نزعة التشبه بالغرب، وفقدان الإحساس بالخصوصية، والانتماء لحضارة الإسلام بما عرف عن المسلمين في تاريخهم من أزياء سابغة تدل على العناية بالأخلاق والحشمة والوقار والتستر.

ومن المؤكد أن الفضائيات والمجلات النسائية التي تنبع من الغرب وتنتشر في العالم، ساعدت على انتشار هذا اللباس الفاحش، فالأزياء الغربية تهاجمنا وتقتحم علينا حياتنا، وتجد من الكثيرين رغبة في المحاكاة دون تفكير، والحضارة الغربية حددت صورة الرجل المثالي «الجنتلمان» والمرأة المثالية، وأرادت توحيدها في العالم كله، وهي تسعى لفرض أزيائها فيما يمكن أن يسمى عولمة الثياب.

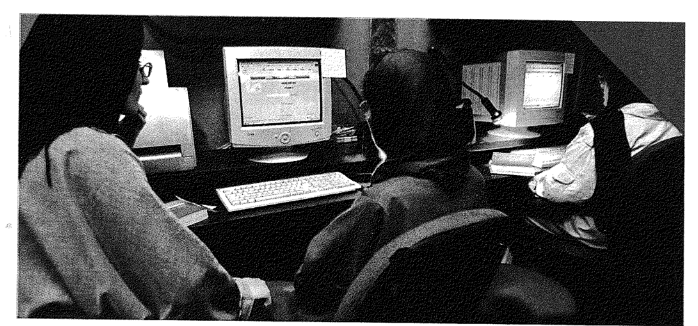
ومن عجب أن نسمع فتاوى لبعض المنتسبين للعلم تبيح للمرأة ارتداء البنطال والصلاة فيه، حتى رأينا بعض النساء يذهبن إلى المساجد للصلاة وهن يرتدين البنطال، وفي صلاة العيدين يُرى من ذلك الكثير الكثير!.

الجلباب بديلاً عن البنطال

ارتداء المرأة البنطال في بيتها كان حتى وقت قريب يعد منقصة، وقدحاً في مروءتها، فما بالنا نرى اليوم كثيراً من النساء تجرأن بل اعتدن ارتداء البنطال خارج بيوتهن، ثم إن لمرأة من الجيل الماضي كانت تستحي أن تلبس ذلك أمام محارمها، فصارت الآن ترتديه من دون خجل، وقمصاناً قصيرة في كل مكان، وتزاحم الرجال دون أن تستحي من نظراتهم الحادة إلى مفاتنها، بل ربما تزهيها نظرات الإعجاب الجائعة التي هي سهام مسمومة من سهام إبليس.

والأكثر عجباً أن ترى الرجل يصاحب زوجته أو ابنته ليشتري لها بنطالاً ضيقاً، وتسير في الطريق إلى جواره تلاحقها نظرات الرجال، وهو لا يشعر بالغيرة على عرضه، ولربما يزدهيه هذا الإعجاب بابنته أو زوجته، وكأنها سلعة يعرضها على أعين المارة!.

ولا ريب أن المرأة التي ترتدي البنطال تثير شهوة الرجال، وتجعل من الشباب العابث يتتبعها ويعاكسها، وقد يندفع للاعتداء عليها، فارتداء البنطال ليس عنواناً على العفة، بل عنوان على التحلل من الخلق القويم، وكأنه دعوة سافرة من صاحبته إلى الطمع فيها، والله عز وجل حذَّر المرأة من



لينها في الكلام حتى لا يجعل أصحاب الأهواء يطمعون فيها فقال: (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض) الأحزاب:٣٢ وكم من فتاة خطفت وانتهك عرضها بسبب ارتداء البنطال أو الملابس الضيقة!

ومن هنا كان طبيعياً أن نرى العفيفات من النساء يرفضن لبس البنطال، أما صاحبات الهوى، فهوين في شراكه حتى لم يعدن يرتدين إلا البنطال، ويدعين أنه أكثر راحة لهن، وهذا منقصة للمروءة.

وليس غريباً أن نرفض عولة الثياب لأنها تشبه بغير المسلمين ومحاكاة لهم في خصوصياتهم، ومن تشبه بقوم فهو منهم، ومعلوم أن المرأة الغربية هي التي لبست البنطال في الشارع وفي المكاتب، لأن لها حرية مطلقة في لباسها لا يحكمها في هذا دين ولاخلق ولا عرف اجتماعي.

ولا يجادل أحد في أن ارتداء البنطال حتى وقت قريب كان عنواناً على أن المرأة أجنبية أو متفرنجة، وكان هذا المشهد نادراً ما يُرى في بلادنا نحن المسلمين، إلى أن صار كالنار تنتشر في الهشيم، ولا ينجو منها إلا قليل من النساء اللواتي يحفظن عفتهن ويخفن الله تعالى في أنفسهن، ويجدن في أزواجهن وآبائهن ناصحين ومربين.

وغير خاف أن كلمة «بنطال» نفسها غير عربية، عرّبها بعضهم بكلمة «بنطال» ويقابلها قديماً «السروال»، وهي كلمة فارسية معربة كما في القاموس المحيط، وما لبس الرسول صلى الله عليه وسلم «السراويل»، لكن أذن لأصحابه في لبسها وكان غالب لبسه الإزار.(٢)

ودليل ما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من لم يجد إزاراً فليلبس سراويل»(٣)، وروى مالك بن عميرة الأسدي قال: «قدمت قبل مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشترى مني سراويل»(٤).

والثابت أن النساء كن يلبسن أيضاً الأُزر، وهي الملاءات والملاحف، روى البخاري أن عائشة كانت تقول: لما نزلت هذه الآية: (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) النور:٣١، أخذن أُزرهن فشققنها من قِبَل الحواشي فاختمرن بها» الإزر هنا: الملاءة.(٥)

وثبت في الصحيح «لعن النبي صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»، وفيه أيضاً: «لعن النبي صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء»(٦).

وروى أبوداود بسند صحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل».

وقد حدد الله سبحانه لباس المرأة في القرآن الكريم بالجلباب، وأمر بإدنائه، أي أن تنزله المرأة حتى يستر قدميها، بقوله تعالى: (يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) الأحزاب:٥٩.

ومع الجلباب أمر القرآن الكريم المرأة أن تختمر بخمار، وتطيل هذا الخمار حتى يستر صدرها وعنقها، بقوله تعالى: (وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن...) النور:٣١.

فأين البنطال من ذلك؟

ولا يعني هذا أننا نحرِّج على المرأة في لبس البنطال، بل لها أن تلبسه في بيتها، وأسفل جلبابها عند الخروج من البيت، وللطفلة الصغيرة أن تلبس البنطال قبل بلوغها، والأفضل أن تُدرب في الصغر على ارتداء الجلباب والخمار، وأن ترغّب في ذلك، وتعرف فضله، وترى في نساء قومها قدوة حسنة يشجعنها على أن تتجه بفطرتها إلى الاحتشام في الملبس والكلام، يقول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) التحريم:٦

أمر الله النساء المؤمنات أن يدنين جلابيبهن حتى القدمين للستر

الهوامش:

١ - رواه أحمد.
٢ - انظر فتح الباري، طبعة العبيكان، ٢٨٤/١٠، زاد المعاد، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٩هـ، ١٣٤/١.
٣ - رواه البخاري.
٤ - رواه أحمد.
٥ - فتح الباري، طبعة العبيكان، ٣٥٧/٨.
٦ - الحديثان في صحيح البخاري.

ضوابط النشر

حرصاً من إدارة المجلة على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة منضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً للشروط التالية:

● ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته أو ذا ثقافة تؤهله للكتابة.

- أن يرسل صورة شخصية لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية متضمنة اسمه الثلاثي باللغتين العربية والإنجليزية.

- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.

- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف والفاكس واضحين إن وجدا.

● ما يتعلق بالمادة العلمية للمقال:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة، أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي والثقافة النيّرة والعلم الشرعي.

- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.

- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرَّجة.

- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب، واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.

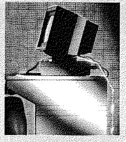
- ألا يزيد المقال عن ثلاث صفحات فلسكاب، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.

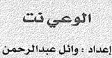
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.

- لا تنشر المقالات والبحوث المأخوذة من كتب منشورة.

- ألا يكون المقال منشوراً في المجلات الأخرى.







الوعي نت

إعداد : وائل عبدالرحمن

من أجل حماية ملفاتك الخاصة

هل ترغب بحماية بعض ملفاتك؟ هل ترغب بتشفيرها من دون الدخول في التفاصيل العلمية لعالم التشفير؟

هناك الكثير من البرامج التي تستخدم لتشفير الملفات لحماية المعلومات التي تحتويها، إلا أن الجانب السلبي في الكثير من هذه البرامج هو ضرورة تذكر الكثير من الكلمات السريعة وبعض الخطوات التي قد تكون معقدة بعض الشيء، كما أن أي ملف يتم تشفيره، يجب فك شفرته أولاً قبل إجراء أي تعديل عليه وإعادة تشفيره عند الانتهاء، وهذا الإجراء قد يعتبر مملاً نوعاً ما إذا كانت هذه الملفات تتعرض للكثير من التعديل والتغيير من قبل صاحبها، وإذا كانت المعلومات التي تحتويها ليست خطيرة، بحيث يجب تشفير كل ملف على حدة بكلمة سرية مختلفة.

والبديل في هذه الحال هو برنامج يحمل اسم Safehouse الذي يقوم بتشفير مجموعة ملفات تحت كلمة سرية واحدة، ليسهل عملية فتح وتعديل هذه الملفات.

تعتمد فكرة عمل البرامج على حجز مساحة معينة من القرص الصلب لحفظ كل الملفات المطلوب حمايتها مع بعضها، يطلق على هذه المساحة اسم «القرص الافتراضي»، حيث إنها تمثل قرصاً منفصلاً افتراضياً عن القرص الأصلي، مشفراً بشكل عام ومحكماً بكلمة مرور سرية، يتم التعامل معه كأي قرص صلب عادي يحتوي على الملفات، يستطيع تخزين ملفات يصل حجمها إلى (٤) Gigabyte وإذا ما أردنا الوصول لأي ملف من الملفات المشفرة فما علينا إلا إدخال كلمة المرور السرية لنتمكن من الوصول إلى كل الملفات التي يحتويها القرص الافتراضي، أما فيما يتعلق بميكانيكية التشفير المستخدمة، فتستخدم مفتاح بطول ١٢٨ bit التي يصعب اختراقها من قبل «الهاكرز»، حيث تتطلب عملية اختراقها جهاز DES Cradker المتوافر حالياً ما يصل إلى ١٤٩ تريليون سنة!.

يمكن الحصول على برنامج SafeHouse من المحلات المتخصصة ببيع البرامج أو من الإنترنت من خلال موقع: www.pcDynamics.com

حيث يجب تحميل البرنامج أولاً من القسم المخصص له، وعند انتهاء عملية التحميل يجب البدء بعملية التثبيت Installation، ليكون البرنامج جاهزاً للاستخدام.

في بداية الاستخدام تظهر الشاشة المبينة بالشكل رقم(١)، حيث يطلب البرنامج من المستخدم تحديد مساحة القرص الصلب الافتراضية التي سيستخدمها لتخزين ملفاته المهمة التي يرغب بتشفيرها، ويطلق على هذه المساحة اسم Container Volume، حيث تظهر هذه المساحة كملف كبير الحجم بين بقية الملفات المكونة لجهاز المستخدم. كما يطلب من المستخدم اختيار كلمة المرور السرية لهذه المساحة، وبعدها تكون هذه المساحة جاهزة لحفظ أي ملف فيها إذا أراد المستخدم تشفيره.

بعد إتمام عملية التثبيت يلاحظ المستخدم وجود عدة «أيكون» في سطح المكتب، أحدها يستخدم لربط المستخدم بهذه المساحة الافتراضية الجديدة ليتمكن من فتح واستخدام ملفاته المشفرة، وذلك بوساطة الكلمة السرية، فلمجرد الضغط على «أيكون» Map Icon تظهر شاشة قبول الكلمة السرية كما هي مبينة بالشكل رقم(٢) ليقوم المستخدم بإدخالها.

في هذه الحال يكون البرنامج جاهزاً للاستخدام بكل بساطة بمعاملته كأي ملف من ملفات النظام، حيث يمكن نقل الملفات من وإلى المساحة الافتراضية.

فإذا ما أراد المستخدم تشفير ملف ما، فإن كل ما عليه هو سحب الملف إلى هذه المساحة ليتم تشفيره أوتوماتيكياً ومباشرة لمجرد وصوله لهذه المساحة.

وعند انتهاء المستخدم من العمل بملفاته، فإن كل ما عليه القيام به هو الضغط على «أيكون» Unmap Volume فتظهر شاشة الخروج المبينة بالشكل رقم(٣)، لقفل المساحة الافتراضية ومنع أي مستخدم آخر من الدخول فيها والعبث بمحتوياتها.

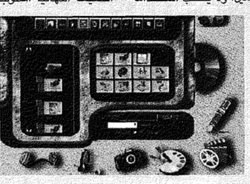
وبالطبع فإنه بإمكان المستخدم تغيير كلمته السرية في أي وقت وذلك عند الضغط على «أيكون» Chhange Password، فتظهر شاشة التغيير كما هي مبيّنة بالشكل رقم(٤) ●

برامج

صمم حافظة شاشتك بنفسك وبالعربية

لعلك حلمت أن تكون لديك حافظة شاشة screen saver من تصميمك، تضم صورتك وصور أسرتك وصوت طفلك الصغير، أو أن يكون لديك عرض تنفيذي يحتوي على المعلومات التي تريد بالصوت والصورة ولقطات الفيديو، هذا الأمر أصبح متاحاً الآن، وباللغة العربية من خلال برنامج «المخرج السريع» الذي أنتجته شركة العالم للحاسب الآلي في جدة، ويقدم للمستخدم العادي قدرات متقدمة، ولكن سهلة لتصميم مشاريع فنية عالية الجودة، يمكن استخدامها كحافظات شاشة أو ملفات عرض تنفيذية، ويوزع البرنامج في أنحاء المملكة العربية السعودية والبلدان العربية الأخرى بسعر يبلغ ٢٢٥ ريالاً سعودياً، أبرز ما يميز هذا البرنامج أنه موجه للطبقة العادية من المستخدمين، ولا يتطلب استخدامه الكثير من الإلمام بفن التصميم وأساسيات الإخراج الفني، وبقليل من التخطيط البسيط لهدف الملف المطلوب وعناصره، وبعد جولة عامة على وظائف وأوامر البرنامج، يستطيع المستخدم أن ينتج ملفه الغني بالوسائط المتعددة بالصيغة المطلوبة وبالحد معرباً عن برنامج أجنبي، مما أتاح توافر عناصر عربية مناسبة للمستخدمين العرب، وإضافة إلى دعمه النصوص العربية بشكل كامل في ثنايا الملف المستهدف، فإن البرنامج يدعم إدخال ملفات الصوت والصور والفيديو بأشكال عدة، وبحيث يتم تضمينها جميعاً في الملف الناتج سواء كان ملف حافظة شاشة أو ملفاً تنفيذياً، ومفيد هنا أن نشير إلى أن البرنامج يقوم بدعم الخطوط المتوافرة في الجهاز، بحيث يقوم بتشغيل الخط المطلوب من ملف مساعد عند تشغيل الملف، لتسريع عملية العرض.

ويحتوي البرنامج على برنامج فرعي اسمه معالج التركيب يتولى عملية تصدير الملف قيد التصميم إلى الصيغة النهائية المطلوبة، كحافظ شاشة أو كملف تنفيذي، مع حفظ جميع الملفات الفرعية المستخدمة كجزء من الملف النهائي، ومن ثم تخزينه وتجهيزه للتوزيع أو الحفظ على وسط تخزين مناسب لاستخدامات أخرى ●



من أخبار الإنترنت

- سجل تقرير إحصائي نُشر أخيراً ارتفاع عدد مستخدمي شبكة الإنترنت في تونس إلى نحو ٥٥٠ ألف مستخدم في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافة.
- أعلنت بلدية دبي وحكومة دبي الإلكترونية عن إطلاق خدمة متطورة للدفع الإلكتروني عبر الإنترنت، تسمح للعملاء بإتمام ومتابعة الإجراءات الخاصة بدفع الفواتير الخاصة بالخدمات البلدية عبر قنوات إلكترونية مبتكرة.
- بدأ الاتحاد الأوروبي في إقامة منظمة جديدة لتنسيق أعمال مكافحة الجريمة على الإنترنت وستساعد منظمة أمن المعلومات والشبكات الأوروبية على توعية الأوروبيين بأخطار الفيروسات الإلكترونية وهجمات المخترقين والقراصنة.
- أعلنت الكلية الإلكترونية للجودة الشاملة في دبي أنها ستقدم خدمات تعليمية عبر وسائل التعليم الإلكتروني، لنحو ٥٠ ألف متدرب في الإمارات والكويت والسعودية العام المقبل. وقعت الكلية اتفاقات مع مؤسسة اقتصادية في الكويت والسعودية، إضافة إلى شرطة دبي لتقديم دورات متخصصة في الجودة الشاملة بقطاعاتها المختلفة. تهدف هذه الخطوة إلى دعم البرامج الأكاديمية التي تقوم الكلية بتوافرها، علاوة على تعزيز الوعي بأهمية تبني استراتيجيات متطور لإدارة الأداء والجودة الشاملة في منطقة الشرق الأوسط ●

مواقع مفيدة

قاموس مصطلحات الكمبيوتر

http://wombat.doc.ic.ac.uk/

يعتبر هذا الموقع أحد أهم مواقع القواميس العلمية التي تهتم بشرح وتفسير مصطلحات الكمبيوتر التي هي آخذة بالتزايد باستمرار، يتم تجديد القاموس وزيادة محتوياته بشكل دوري، الموقع سهل الاستخدام وتعاريفه دقيقة ومبسطة.

الفتاوى الاقتصادية

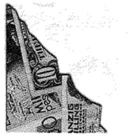
htt://fatawa.al-islam.com/Default.asp

تعرف على فتاوى اقتصادية في الإجارة، الاستصناع، الأوراق المالية، البيوع، التبرعات، الودائع الاستثمارية، الخدمات المصرفية، الديون والقروض، الربا والفوائد، الرشوة، الزكاة، الرهن، الصرف، اللقطة، المرابحة، المضاربة، الوقف، الوكالة، وغير ذلك من الفتاوى الاقتصادية، فمثلاً في البيوع يتناول الموقع أنواع البيوع، الإيجاب والقبول، المعقود عليه، البيع الآجل، ثمن البيع، العربون، وما المراد بعبارة البيعتان في بيعة وما حكمهما، هل تجوز عمليات الخيار؟ وكذلك كيف يتداول المشاركون الرأي حول بيوع الخيار؟ وشراء حق الاختيار، ما الخطوات الشرعية لعملية تبديل السيارات المستعملة من عميل يريد شراء سيارة؟ وغير ذلك من الفتاوى.

محرك البحث العربي

http://www.aldalil.com/

يبحث في شبكة الإنترنت عن الأمور والمواضيع العربية بشكل خاص، يكفي أن تكتب له كلمة بالعربية عن موضوع يهمك ليقوم بالبحث عن أماكن وجوده في الشبكة العنكبوتية، يؤمن هذا الموقع أيضاً عملية الوصول السريع للكثير من مواقع الإنترنت عن طريق الوصلات الجاهزة التي يعرضها على صفحته الأولى ●



الاقتصاد الإسلامي

إعداد:
معن خليل

الصندوق الكويتي قدم ٨,٤ مليارات دولار لمشروعات التنمية في العالم الإسلامي

كشف تقرير اقتصادي متخصص صدر حديثاً أن الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية أسهم في دعم مشروعات التنمية في العالم الإسلامي بقيمة إجمالية بلغت ٨,٤ مليارات دولار لـ٤٢٩ قرضاً.

وقال التقرير الخاص وعنوانه «إسهامات الصندوق الكويتي في دعم التنمية بالعالم الإسلامي» الذي أصدره الصندوق: إن إجمالي المنح والمعونات الفنية المقدمة للدول الإسلامية بلغت ١٠٤ منح بقيمة إجمالية ١٨١١٣٨ دولاراً.

وذكر التقرير أن إجمالي القروض المقدمة لتونس بلغ ٢٩ قرضاً وبقيمة ٤٤٦ مليون دولار فيما بلغ إجمالي عدد القروض المقدمة للجزائر أربعة قروض بقيمة ٩٦ مليون دولار.

وبيّن أن عدد القروض المقدمة لسورية بلغ ٢٦ قرضاً بقيمة إجمالية بلغت ١,١ مليار دولار، بينما بلغ إجمالي القروض المقدمة لليمن ٢٩ قرضاً بإجمالي ٢٢٨ مليون دولار في حين بلغ عدد قروض الصندوق المقدمة للبنان ١٤ قرضاً بإجمالي ٤٤٠ مليون دولار.

وأوضح تقرير الصندوق الكويتي أن القروض للأردن بلغت ٣٠ قرضاً تقدر بقيمة ٣١٣ مليون دولار، مشيراً إلى أن إجمالي القروض المقدمة للمغرب بلغت ٢٨ قرضاً بقيمة ٨٥٤ مليون دولار.

وأضاف: أن عدد القروض التي أسهم الصندوق الكويتي في تقديمها للسودان بلغت ١٨ قرضاً وبقيمة ٣٥١ مليون دولار، فيما بلغ إجمالي القروض المقدمة للصومال أربعة قروض وبإجمالي ٩٩ مليون دولار، مبيناً أن إجمالي القروض المقدمة للعراق قرضين وبقيمة ٢١ مليون دولار، في حين بلغ عدد القروض المقدمة لجمهورية القمر الاتحادية الإسلامية أربعة قروض وبقيمة ٢٢ مليون دولار.

وأشار التقرير إلى أن إجمالي القروض لـ«جيبوتي» بلغت ثمانية قروض وبإجمالي قيمة بلغت ٧٣ مليون دولار، في حين بلغ عدد القروض المقدمة لـ«مصر» ٢٥ قرضاً وبقيمة ١,٢ مليار دولار، مبيناً أن إجمالي عدد القروض المقدمة إلى «موريتانيا» عشرة قروض وبإجمالي ١٣٢ مليون دولار.

وعن سلطنة عُمان ذكر التقرير أن عدد القروض المقدمة إليها بلغ ١١٨ قرضاً وبإجمالي قيمة بلغت ٣٦٧ مليون دولار فيما بلغ عدد القروض إلى مملكة البحرين ١١٢ قرضاً وبإجمالي قيمة ٢٧٤ مليون دولار، في حين بلغ عدد القروض المقدمة إلى «البوسنة والهرسك» ثلاثة قروض وبقيمة إجمالية بلغت ٤٧ مليون دولار.

يذكر أن نشاط الصندوق الكويتي تقتصر على الإسهام في تمويل المشروعات، بل إنه يستمر في تمثيل دولة الكويت في عضوية المؤسسات الإنمائية الإقليمية والدولية، حيث أسهم في سداد حصة دولة الكويت في رأسمال تلك المؤسسات سعياً منه لزيادة مواردها المتاحة للإقراض في الدول النامية، وقد بلغت إسهامات الصندوق المكتتب بها في رأسمال هذه المؤسسات ٩٥٥ مليون دولار ●

قطر تصدر سندات إسلامية بقيمة ٧٠٠ مليون دولار

تم التوقيع على اتفاقية بين دولة قطر وكل من بنك قطر الدولي الإسلامي وبنك «اتش اس بي سي» على إصدار السندات الإسلامية على شكل صكوك إجارة تبلغ قيمتها «٧٠٠» مليون دولار أميركي ولمدة سبع سنوات.

وتهدف الاتفاقية إلى فتح آفاق تمويل طويل الأجل للحكومة القطرية بالإضافة إلى المؤسسات القطرية الأخرى بعد أن نجحت الحكومة في السابق بإصدارين عاديين في سوق السندات الأميركية بالإضافة إلى طرحها قروضاً مشتركة على ضوء النمو الاقتصادي المزدهر في الأسواق المالية ●

بنك الاستثمار الإسلامي الأول يعقد صفقة بقيمة ٢٨٠ مليون دولار

أعلن بنك الاستثمار الإسلامي الأول في البحرين، عن عملية بيع لجزء من شركة «ميديفاكس - إي دي آي إنك» (ميديفاكس) على شركة «ويب إم دي كوربوريشن» (ويب إم دي)، وهي شركة مساهمة مسجلة في مؤشر «ناسداك» تحت الرمز (NAS-DAQ:HLTH) ومقرها الولايات المتحدة.

وقامت شركة «ويب إم دي» بالتوقيع على اتفاقية نهائية من أجل شراء قسم الخدمات الطبية «إم إس دي» التابع لشركة «ميديفاكس» بمبلغ وقدره ٢٨٠ مليون دولار أميركي متضمناً مديونيات الشركة، وقبل إقفال الصفقة ستقوم «ميديفاكس» بمبلغ وقدره «٢٨٠» مليون دولار أميركي متضمناً مديونيات الشركة، وقبل إقفال الصفقة ستقوم «ميديفاكس» بنقل ملكية القسم المتبقي من الشركة، وهو قسم الخدمات الدوائية «بي إس ي» إلى شركة تابعة للإسلامي الأول، وتتم الآن عملية بيع منفصلة لقسم الخدمات الدوائية ●

نقد البحرين تعتزم إصدارين لصكوك تأجير إسلامية

تعتزم مؤسسة نقد البحرين طرح إصدارين جديدين من صكوك التأجير الإسلامية الحكومية بقيمة ثلاثمئة مليون دولار أحدهما بقيمة ٥٠ مليون دولار والآخر بقيمة ٢٥٠ مليون دولار.

وقال المدير التنفيذي للعمليات المصرفية في المؤسسة «وليد رشدان»: إن هذا الإصدار الأول الجديد ستتم فترة استحقاقه بعد ثلاث سنوات وتنتهي في منتصف شهر ديسمبر العام ٢٠٠٦م على أن يدفع عائد التأجير مرتين بالسنة، وأوضح «رشدان» أن فترة الاكتتاب على هذا الإصدار ستكون مفتوحة إلى جميع البنوك وشركات التأمين الوطنية العاملة في مملكة البحرين فضلاً عن أنه يحق للمؤسسات والأفراد من داخل وخارج البحرين الاستثمار فيها من خلال المؤسسات المحلية.

وبيَّن أن الحد الأدنى للاكتتاب في هذه الصكوك عشرة آلاف دولار، إذ سيتم توزيع حصص المشاركين في هذه السندات بناء على نسب المشاركات الإجمالية إضافة إلى أن هذه السندات سيتم إدراجها وتبادلها في بورصة البحرين حسب أسعار السوق من خلال التداول المباشر بين البنوك المشاركة.

وأشار «رشدان» إلى أن حكومة مملكة البحرين تتعهد بشراء سندات الإجارة بقيمتها الإسمية في نهاية فترة التأجير حيث منحا وكالتا التصنيف الدولية «ستاندرد اندبورز» و«فيتش. ابكا» تصنيفاً ممتازاً وسالباً لهذا الإصدار ●

بيت مصرفي إسلامي لأوروبا رأسماله ٥٠ مليون استرليني

عدنان أحمد يوسف رئيس مجموعة المشاركات المالية لـ«الشركة القابضة» ـ لأول بنك إسلامي بريطاني التي تتخذ من المنامة مقراً رئيساً لها ـ قال: إن هذا البنك الذي يحمل اسم «البيت البريطاني الإسلامي»، يعتبر بمثابة تأشيرة دخول رسمية لصناعة الصيرفة الإسلامية إلى أوروبا بعد سنوات طويلة من الاجتهاد على طريق توليد القناعة بهذا الفكر المصرفي الجديد «نسبياً» على العالم، مشيراً إلى أن هذه الصناعة سنذهب بها إلى أوروبا ولدينا فكرة كاملة عن طبيعة حاجات المواطن الأوروبي كما أننا سنعيش الحال الأوروبية وفي حوزتنا أنظمة محاسبية جديدة موفقة حسب الشريعة ولا تتناقض مع المعايير العالمية «اقتحام مخطط».

وأضاف: سنذهب إلى أوروبا وفي حقائبنا العشرات من الأنظمة الرقابية والمؤسسات المساندة ووكالات التصنيف التابعة ما يؤهلنا لاقتحام أكبر أسواق العالم وأكثرها قابلية.

عدنان أحمد يوسف يرى أيضاً أن هذا البنك الذي يبلغ رأسماله المبدئي «٥٠» مليون جنيه استرليني سيكون «المفتاح» الذي يخرج بصناعة الصيرفة الإسلامية من بوتقة التقليد إلى مرحلة الإبداع، ومن قمقم الإقليمية إلى آفاق العالمية ومن عثرات ضيقة الفرص الاستثمارية إلى الانطلاقات غير المحدودة لقنوات الاستثمارية المجدية.

ويؤكد عدنان يوسف أن مؤتمر المنامة العالمي هو خيط رفيع سيقود إلى مرحلة خاصة جديدة من التوعية بالدور التنموي للمصارف الإسلامية وبالأفق المتألق حديثاً في سماء أسواق المال شديدة الخصوصية والتقلب ●

«بنك طيب» يطرح ٣ صناديق إسلامية

أعلن «بنك طيب» ومقره البحرين أنه بصدد طرح ثلاثة صناديق استثمارية إسلامية جديدة تستثمر في البورصات الخليجية وبورصة لندن، بالإضافة إلى الاستثمار في العملات العالمية، وقال نائب الرئيس التنفيذي للبنك «جيم شلاجيك» في مؤتمر صحفي إن الصناديق الثلاثة التي توقع أن تجذب استثمارات لا تقل عن ١٠٠ مليون دولار ستكون متوفرة للاستثمار.

وقال: إن صندوق «طيب» الإسلامي للعملات الذي يسمح الاستثمار فيه بحد أدنى يبلغ ١٠٠ ألف دولار سيستثمر في عملات عالمية مختلفة على أساس تجاري اعتماداً على التغيير في أسعار العملات، وذكر «شلاجيك» أن الصندوق الثاني هو صندوق طيب الإسلامي لأسهم دول مجلس التعاون الخليجي الذي سيتعامل مع الأسهم الخليجية، ولكن بعد «غربلة أسهم الشركات التي لا تتعامل بما يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية» ●

من هنا وهناك

● حذَّرت دراسة صدرت في القاهرة من زيادة اعتماد الدول العربية على استيراد الغذاء، مؤكدة أن المنطقة العربية أصبحت من أكثر مناطق العالم التي تعاني عجزاً في هذا المجال، على الرغم من أنها تمتلك كل المقومات التي تمكِّنها من أن تكتفي ذاتياً.

● وافقت الجمعية العمومية للبنك العقاري الكويتي غير العادية من حيث المبدأ على تعديل كل الأنشطة المصرفية للبنك بما يتفق وأحكام الشريعة الإسلامية.

● قالت مصادر اقتصادية خليجية إن هناك تحالفات استثمارية بين رجال خليجيين لتأسيس شركة عقارية إسلامية كويتية تحت اسم «التعمير الخليجي».

● أعلن «بيت التمويل» الكويتي في البحرين عن بدء تنفيذ خطط مشروع «درة الخليج» البحرين بتشكيل مجلس إدارة جديد واعتماد برنامج عمل للمكتب الاستشاري.

● انعقد في المنامة «عاصمة البحرين» يومي ٧ ـ ٨ ديسمبر ٢٠٠٣ المؤتمر العالمي للمصارف الإسلامية بحضور أكثر من ٥٠٠ مصرفي إسلامي ●



نافذة على العالم

المسلمون الأميركيون كتلة ضد بوش في انتخابات ٢٠٠٤

قرر قادة أربع منظمات تمثل مسلمي الولايات المتحدة ككتلة واحدة ضد الرئيس الأميركي جورج بوش في الانتخابات الرئاسية العام ٢٠٠٤م احتجاجاً على معاملة العرب والمسلمين في البلاد، كما أعلنوا.

وأعلن «نهاد عواد» المدير التنفيذي لمجلس العلاقات الأميركية - الإسلامية أن المسلمين الأميركيين سينتهزون فرصة الانتخابات للتعبير عن «استيائهم» من إدارة بوش التي تمارس على حد رأيهم، تمييزاً بحقهم.

وأضاف «عواد» أن «المسلمين يريدون التصويت للدفاع عن حرياتهم ومستقبلهم» وذلك في ختام مؤتمر سنوي عقد خلال نهاية الأسبوع في شيكاغو «ايلينوي - شمال» وضم أربع أبرز منظمات مسلمة: مجلس لعلاقات الأميركية - الإسلامية وهو الأكبر، والمجلس الأميركي المسلم والتحالف الأميركي المسلم ومجلس الشؤون العامة الإسلامية. وقال: «نشعر بانتقاص من الحريات المدنية في هذا البلد».

وأضاف «عواد»: «نريد أن تتم معاملتنا بالطريقة نفسها وبالاحترام نفسه أمام القانون».

وأعلنت المنظمات الأربع أنها بدأت التوجه إلى المساجد لتشجيع المسلمين على التسجيل على اللوائح الانتخابية ●

بيع المخدرات في صيدليات هولندا



أمستردام - رويتز - أصبحت هولندا أول دولة في العالم تسمح للصيدليات ببيع القنب لمرضى مصابين بالسرطان والايدز وأمراض أخرى مؤلمة.

وجعلت هولندا المخدر متاحاً على نطاق واسع لمرضى الأمراض المزمنة وسط ضغوط على دول مثل بريطانيا وكندا وأستراليا والولايات المتحدة بتخفيف القيود على استخدام القنب كعلاج.

وسيسمح للأطباء الهولنديين بوصف القنب في علاج الآلام المزمنة والغثيان وفقدان الشهية لدى مرضى السرطان والايدز ولتسكين آلام التشنجات لدى مرضى تصلب الأطراف وتخفيف التقلصات اللاإرادية.

وقالت وزارة الصحة: «اعتبر الأول من سبتمبر ٢٠٠٣م يسمح للصيدليات ببيع قنب علاجي لمرضى يحملون وصفات طبية».

ولهولندا التي شرعت البغاء وبيع القنب في المقاهي تاريخ في الإصلاحات الاجتماعية الرائدة كما كانت أول دولة تشرع قتل الرحمة ●

الدول الإسلامية تسعى إلى إرجاء قرار أممي بشأن الاستنساخ

قالت متحدثة باسم رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة: إن الدول الإسلامية تعتزم تقديم طلب إلى المنظمة الدولية بتأجيل قرار بشأن وضع ميثاق حول «الاستنساخ البشري» لمدة عامين على الأقل، وهي القضية التي أثارت انقسامات عميقة بين الأعضاء.

وستقدم إيران إنابة عن الدول الإسلامية، اقتراحاً إلى اللجنة القانونية في الجمعية العامة للأمم المتحدة المؤلفة من ١٩١ دولة عضو يدعو إلى «عدم اتخاذ إجراء» بشأن مشروعي قرار متناقضين طرحهما المعسكران في قضية الاستنساخ البشري.

وقالت المتحدثة «ميشال مونتاس»: إنه في حال رفض اللجنة القانونية للاقتراح الايراني، فستضطر الجمعية لإجراء اقتراع حول مشروعي القرارين المتناقضين.

وتقود بلجيكا واليابان والصين بدعم من ٢٠ دولة مشروعاً آخر يقترح تبني ميثاق للأمم المتحدة يحظر استنساخ اجنة بشرية لإنتاج بشر، ولكنه يسمح باستخدام الأجنة المستنسخة في الدراسات الطبية ●

قتلت ٢٠ ألف العام الماضي

٢٠٠ مليون لغم أرضي في العالم

قال تقرير جديد إن ثلاثة من الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي من بين الدول التي لم توقع بعد على اتفاقية لحظر الألغام الأرضية.

وتقول منظمة «العمل لحظر الألغام الأرضية» أن (١٤٧) دولة أو ما يعادل أكثر من ثلاثة أرباع دول العالم، وقعت أو صدَّقت على اتفاقية «أوتوا» لعام ١٩٩٧م التي تسعى لحظر الألغام الأرضية.

إلا أن الصين وروسيا والولايات المتحدة وباكستان والهند وكوريا الجنوبية، التي تملك جميعها نحو ٢٠٠ مليون لغم أرضي، من بين ٤٧ دولة لم توقع على الاتفاقية بعد.

وقال «ريتشارد لويد» مدير المنظمة أن ٢٠ ألف شخص على الأقل قتلوا أو بترت أطرافهم بعد انفجار ألغام أرضية العام الماضي.

وأضاف: «من الواضح أن اتفاقية أوتوا قد نجحت في تحقيق أهدافها بتوقيع ثلاثة أرباع دول العالم عليها الآن».

وقال: «لكن مع وجود مخزون يزيد على ٢٠٠ مليون لغم أرضي، ووجود ملايين أخرى في انتظار نشر الفوضى على الأرض، لا يمكننا أن نتقاعس».

وكشف تقرير «مراقبة الألغام الأرضية» لعام ٢٠٠٣م عن أن ٨٥٪ من الضحايا هم من المدنيين الذين يعيشون في دول كانت تشهد صراعات.

وقال التقرير: إن أكثر من ١٢٠٠ شخص قتلوا أو أصيبوا في أفغانستان العام الماضي بسبب الألغام، كما تضرر ٤٣٤ شخصاً في كمبوديا. ويوجد في الشيشان أكبر عدد من ضحايا الألغام الأرضية، حيث وصل تعدادهم إلى (٥٦٩٥) شخصاً ●

مليار طفل في العالم يعانون من آثار الفقر

أعلنت الأمم المتحدة أن مليار طفل في أنحاء العالم يعانون نقص الطعام والماء وحقوق الإنسان والمأوى.

وقال باحثون في مركز أبحاث الفقر التابع لجامعة «بريستول» وكلية «لندن» للاقتصاد: إن الدراسة التي أجراها صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة «اليونسيف» هي واحدة من أكثر الدراسات دقة، حيث استخدمت أكبر عينة من الأطفال في ٤٦ دولة.

وأفادت الدراسة التي صدرت في مجلس العموم البريطاني، أن أساليب البحث الجديدة أظهرت أن العديد من الأطفال في البلدان النامية يفتقرون إلى الدخل ومحرومون من حقوق الإنسان الأساسية مثل المسكن والمأكل والمشرب والصرف الصحي والرعاية الصحية والتعليم والمعلومات.

وأشارت الدراسة إلى أن واحداً من كل ثلاثة أطفال يسكن في منزل، حيث يعيش أكثر من خمسة أشخاص داخل غرفة واحدة أو يسكن منزلاً سقفه من الطمي، وأن نحو ٢٠٪ من أطفال العالم لا يمكنهم الحصول على الماء النقي، وأنه يتعين عليهم السير ١٥ دقيقة للوصول إلى مصادر المياه.



وذكرت الدراسة أن ١٥٪ من الأطفال دون الخامسة من عمرهم في الدول النامية يعانون بشدة سوء التغذية، وأشارت الدراسة إلى أن عدد هؤلاء الأطفال يربو على التسعين مليوناً في جنوب آسيا وأنهم يجوعون كل يوم.

وهناك ١٣٤ مليون طفل تتراوح أعمارهم بين ٧ و١٨ عاماً ومعظمهم من الإناث، لم يذهبوا أبداً إلى المدرسة.

وأكدت الدراسة وهي بعنوان «الفقر بين الأطفال في العالم» أن الفقر يمكن أن يتسبب في معاناة تلازم للأطفال طوال حياتهم ●

الكنائس الانغليكانية تدين سيامة أحد مثليي الجنس أسقفاً في أميركا

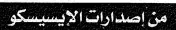
دان الرؤساء الروحيون للكنائس الانغليكانية في دول العالم الثالث سيامة أسقف من مثليي الجنس في الولايات المتحدة. وأكد بيان أصدره رئيس أساقفة نيجيريا «بيتر اكينولا» ونشر في لاغوس أن «الشراكة مهددة» مع الكنيسة الانغليكانية الأميركية.

وأضاف الأسقف «اكينولا» أسقف «أبوجا» ورئيس الطائفة الانغليكانية النيجيرية باسم «رؤساء أساقفة الجنوب»، الذين يمثلون بين خمسين وسبعين مليون انغليكاني في العالم، أن هذه السيامة «تخالف القواعد الواضحة» للكتاب المقدس.

وقد قرر روبنسون ٥٦ عاماً وهو أب لولدين ومطلّق، تجاوز التهديدات بقتله التي واجهها وتحذيرات رؤساء الكنيسة وتمت سيامته في مدينة «دورهام» الجامعية في «نيوهامشير» ●

ثمرات الفكر

إعداد: محمد هاني



لغات الرسل وأصول الرسالات باللغة الفرنسية

صدرت الطبعة الفرنسية لكتاب «لغات الرسل وأصول الرسالات: موسى - عيسى - محمد عليهم الصلاة والسلام» ضمن مطبوعات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - والكتاب من تأليف خمسة من العلماء الباحثين في تاريخ الأديان والدراسات الدينية المقارنة، هم: الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله، والدكتور محمد المختار ولد أباه، والدكتور أحمد شحلان، والدكتور عبدالعزيز شهير، والدكتورة هبة نايل بركات.

وترجم الكتاب من العربية إلى الفرنسية الدكتور موسى الشامي، وراجعه الدكتور محمد المختار ولد أباه، ويقع في ٢٨٦ صفحة من القطع المتوسط.

ويتألف الكتاب من خمسة أبواب، تتناول الوحي في حياة البشر، ولغة موسى عليه السلام، ورسالته، ولغة عيسى ابن مريم عليه السلام، ورسالته، ولغة محمد صلى الله عليه وسلم، ورسالته الخاتمة، ونماذج من المصاحف والمخطوطات القرآنية.

وكتب المدير العام للإيسيسكو الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري، تقديماً للكتاب، أكد فيه على أهمية البحث في أصول الرسالات السماوية وتوثيقها، لأن الوثائق التي تمثل أصول الرسالات المنزّلة على الأنبياء تهم شعوب الأرض جميعاً، وهي حق للناس كافة، وأشار إلى أن الحفاظ على هذه الوثائق هو فرض على البشرية، إذ إن ضياعها يؤدي إلى ضياع معالم الدين، وتفرق الناس عن الصراط المستقيم ●

استثمار القطاع الخاص في المجال التربوي في دول الخليج

عن مكتب التربية العربي لدول الخليج، صدر كتاب «استثمار القطاع الخاص في المجال التربوي في دول الخليج العربية».

والكتاب الذي يقع في نحو ٢٣٠ صفحة من تأليف الأستاذ الدكتور أنطون حبيب جمعة.

ويحاول هذا الكتاب وضع رؤى مستقبلية لاستثمار القطاع الخاص في المجال التربوي بدول الخليج العربية من خلال تعرف تجارب القطاع الخاص في المجال التربوي، واستعراض الفرص المتاحة للاستثمار فيه، واقتراح الوسائل والسياسات التي تحفز القطاع الخاص على الاستثمار فيه، واقتراح معايير وضوابط لتنظيم هذا النوع من الاستثمار بما يحقق الأهداف التربوية المناسبة للمجتمع الخليجي.

واقع القراءة الحرة لدى الشباب

عن كتب التربية العربي لدول الخليج في الرياض وفي نحو ٥٣٧ صفحة من القطع المتوسط، صدر كتاب «واقع القراءة الحرة لدى الشباب» للدكتور علي بن عبدالله الحاجي

والكتاب عبارة عن دراسة مطولة تعالج القراءة لدى الشباب، باعتبارها قناة أساسية تسهم في تنمية الثقافة العامة لديهم، ومنطلقاً يبني فيه الشباب شخصيتهم الحضارية.



وتهدف هذه الدراسة إلى تشخيص واقع القراءة الحرة في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج، واستعراض تجاربها في هذا المجال، والوقوف على معوقات القراءة الحرة وصعوباتها لدى أبنائها، وأسباب العزوف عنها، واستقصاء توجهات الشباب نحو الموضوعات التي يفضلونها، كما تهدف إلى مقارنة هذا القواع مع نماذج من تجارب عربية وأجنبية، وصولاً إلى نتائج وتوصيات تساعد في رسم الخطط المستقبلية للارتقاء بمستوى القراءة الحرة لدى الشباب وتنمية إقبالهم عليها.

محمد ﷺ في الإنجيل والتوراة

صدر في الكويت الطبعة الأولى من كتاب «محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإنجيل والتوراة» للشيخ أحمد زكي وهذا الكتاب الذي جاء في نحو مئة وعشر صفحات من القطع المتوسط، يتحدث عن البشارات بالنبي الكريم في التوراة والإنجيل والزبور، وما صرح به أهل الكتاب قديماً وحديثاً وشهدوا به من أدلة نبوة الرسول الخاتم، وقد اعتمد الكاتب على مجموعة من المصادر والمراجع القديمة والحديثة لإثبات ما ورد في الكتاب من حقائق وأدلة دامغة... ●

كتب للأطفال

الطفولة وبناء المستقبل

هذا الكتاب من إصدارات كتاب الأمة رقم ٩٢ تأليف الأستاذ «نبيل سليم علي» وهو يعتبر إلى حد بعيد استدراكاً واستدعاء لبعض المواقع التي تعتبر من الثغور المفتوحة، وفتح ملفها، والدعوة إلى استرداد المعاني الغائبة عن أسرنا، والاستشهاد والتدليل على ذلك من واقع الحضارة الغالبة والمعاصرة.

وإذا كانت اهتمامات السلسلة في المسألة الثقافية وإعادة التشكيل في ضوء معطيات الواقع وتجلياته في المجالات كلها، حتى يمكن محاولة تقويمه بقيم الإسلام، فإن الالتفات صوب الطفولة بكل أبعادها ومحاضنها وغذائها، والعوامل الكامنة وراء إذكاء ذكائها، وحفظ صحتها، هو عمل مستقبلي، بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى.

إن معرفة الوحي اختصرت لنا الطريق، وجنبتنا الكثير من المعاناة والتجارب التي أضاعت الأجر والعمر، وخصوصاً أن الكثير من الحقائق العلمية المكتشفة عالمياً جاءت لتشكل دلائل وبراهين على صوابية وعصمة معرفة الوحي... فالدعوات العالمية اليوم: تتجسد بالعودة إلى الرضاعة الطبيعية، والتأكيد على دورها في صحة الطفل النفسية والعضوية، وتنمية خصائصه والارتقاء بذكائه، وليس ذلك فقط وإنما صحة المرأة وتجنيبها الكثير من الإصابات الصحية المستعصية كسرطانات الثدي وغيرها، فالرضاعة الطبيعية تنمي العواطف، وتربي النفس، وترتقي بالخصائص الإنسانية، وتمتن الروابط الاجتماعية، وتحمي من الأمراض، والعودة إليها عودة إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها ●

مركز ثقافة الطفل في الكويت يصدر مجموعة قصص جديدة

الباب الوفي المزعج، لعبة الحب، نور والقطة الجريحة، بائع الحلوى، صديقتي التي أحبها وتحبني، أسماء لخمس قصص جديدة صدرت أخيراً عن دار ثقافة الطفل التابع لمؤسسة فهد المرزوق الصحفية، وهي من أقدم المؤسسات الصحفية في الكويت.

المجموعة القصصية الجديدة هي من تأليف مؤلف قصص الأطفال الدكتور طارق البكري الصحفي والكاتب المتخصص في مجال أدب الطفولة، الذي صدرت له مجموعات قصصية كثيرة ترجم بعضها إلى الفرنسية والإنكليزية.

وتهدف إصدارات مركز ثقافة الطفل في الكويت إلى غرس المبادئ والقيم الدينية والاجتماعية النبيلة، في خطة متكاملة تعتمد على منهج المربية الكويتية المعروفة نسيبة عبدالعزيز العلي المطوع رئيسة لجنة الإسراف العليا في مدرسة الرؤية النسائية اللغة، وهو منهج تربوي اجتماعي ثقافي إسلامي وقد طبق في العدد من المدارس والمعاهد والجامعات.

وفي مقدمة كل قصة كلمة لنسيبة المطوع تقول فيها:

«هذه السلسلة القصصية، بفضل الله تعالى، تم بفضل الأخت غنيمة فهد المرزوق، مساهمة رائعة في تحويل منهج «رؤية تربوية» بأنسامه السبعة ومزروعة العديدة إلى أدب قصصي يفهمه صناع المستقبل من «جيل الغد» وأتمنى من التربويين، من الآباء والأمهات والمعلمين في كل مكان أن يسمحوا لعقول أولادنا صناع المستقبل بإذن الله تعالى، أن تتعرض لمثل هذا النوع من الأدب القصصي المسلي الموجه، مؤمنين بأن القصة من أفضل الأدوات التربوية المرغوبة في إيصال المعلومة».

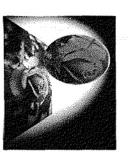
وتقول المطوع: «رؤية تربوية» منهج طبق في المحاضرات والصول الدراسية من رياض الأطفال إلى حملة الماجستير والدكتوراة يتبلور من خلاله تطبيق شرعنا من الكتاب والسنة، في صورة طرح عصري يناسب الجميع.

نائبة رئيس مركز ثقافة الطفل منى فجحان المطيري تقول في مقدمة القصص:

«الطريق إلى بناء الغد يبدأ بالطفل، فالطفل يعني المستقبل، وهو أيضاً نقطة البداية لبناء أمة حضارية مرتبطة بماض عريق تساير روح العصر، وتستلهم آفاق المستقبل، وهدفنا في مركز فهد المرزوق لثقافة الطفل تحقيق هذه المعادلة، وهذا الإصدار محاولة جادة على الطريق، حاولنا من خلالها ترجمة تقديم ترجمة لمنهج «رؤية تربوية» الذي صاغته السيدة المربية الداعية نسيبة المطوع، ونرجو أن تكون محاولتنا خطوة على طريق الإعداد المنشود لأبنائنا» ●

أخبار ثقافية

- أُعلن أخيراً في طهران أنه سيتم قريباً إصدار أول صحيفة إيرانية شهرية للمكفوفين باللغة العربية، وأنه سيتم توزيعها في بعض الدول العربية، وسيتولى إصدارها مؤسسة «إيران الثقافية» الصحفية التابعة لوكالة الأنباء الايرانية «إيرانا».
- أكد رئيس الرقابة المركزية على المصنفات الفنية السمعية والبصرية في مصر الدكتور مدكور ثابت أن إدراته طلبت من الأزهر التصريح بعرض فيلم «الرسالة» بنسختيه العربية والإنكليزية بعد ٢٢ سنة من حظره في مصر.
- قرر المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة منح المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «السيسكو» صفة عضو مراقب وتخول هذه الصفة للايسيسكو المشاركة في الاجتماعات الدولية والإقليمية التي يعقدها المجلس أو يشرف عليها أو تعقدها الأجهزة التابعة له.
- منع مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر أخيراً نشرة تداول كتاب «الإنسان وسرمدية الوجود» للمؤلف عبدالسلام محمد بدوي، وكتاب «ماذا يقول القرآن على وجه التحقيق» وهو من تأليف ابن وارن، وعن أسباب المنع قال مجمع البحوث: إن الكتاب الأول تجرأ على آدم وحواء، وأما الكتاب الثاني فينادي بصياغة جديدة للقرآن الكريم!! ●



حديقة الوعي

إعداد: أحمد عبدالجبار

حبات شعير

قال الجاحظ: استلف زبيدة بن حميد الصيرفي من بقال كان على باب داره درهمين وأربع حبات شعير، فلما قضاه بعد ستة أشهر قضاه درهمين وثلاث حبات شعير، فاغتاظ البقال وقال: سبحان الله أنت رب مئة ألف دينار، وأنا بقال لا أملك مئة فلس، وإنما أعيش بكدي وباستفضال الحبة والحبتين، سلفتك درهمين وأربع حبات شعير فقضيتني بعد ستة أشهر درهمين وثلاث حبات شعير، فقال زبيدة: يا رجل أسلفتني في الصيف فقضيتك في الشتاء، وثلاث شعيرات شتوية ندية تزن أربع شعيرات صيفية، ما أشك أن معك فضلاً.

من هدي كتاب الله

(وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون. والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون. قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)

سبأ:٣٧ ـ ٣٩.

حكمة

قال الحسن بن علي رضي الله عنه:

الناس ثلاثة: فرجل رجل، ورجل نصف رجل، ورجل لا رجل، فأما الرجل الرجل فذو الرأي والمشورة، وأما نصف الرجل فالذي له الرأي ولا يشاور، وأما الرجل الذي ليس برجل، فالذي لا رأي له ولا يشاور.

من هدي رسول الله ﷺ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى:

«ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة:

رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»

رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

كيف تركت الناس؟

خرج عمر بن عبدالعزيز يوماً متنكراً إلى مفارق طرق تعبرها قوافل المسافرين، فسأل أحدهم:

كيف تركت الناس في بلدك؟

فقال:

تركت البلاد الظالم بها مقهور، والمظلوم منصور، والغني موفور، والفقير مجبور.

فابتعد رضي الله عنه ودموع الشكر تفيض في عينيه فقال لغلامه:

والله لئن تكن البلاد كلها على ما وصف هذا الرجل أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس.

قالوا

من أفضل البر العفو عند المقدرة.

ويل للظالم من يوم المظالم.

لا تجارة كالعمل الصالح.

الأخ جناح.

التجربة أمُّ العلم.

التجارب خير من المدارس.

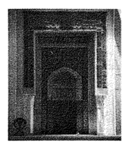
لا قرين كحسن الخلق.

... وقالوا

العلم مروءة لمن لا مروءة له.

الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الأكل والشرب.

كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة.



مرض السكر ليس سبباً شرعياً لرفض شريك الزواج

في فتوى جديدة صدرت، أكد مفتي مصر السابق د.أحمد الطيب أن مرض السكر ليس سبباً شرعياً لرفض الشاب أو الفتاة الزواج بالطرف الآخر وأن مسألة الإنجاب أو عدمه تخص الزوجين فقط.

جاءت فتوى د.الطيب رداً على سؤال لإحدى الفتيات عن «موقف الشريعة الإسلامية من زواجها بمن تحب على الرغم من رفض أهلها له لأنه مريض بالسكر مع إمكانية عدم إنجابه... وهل يحق لها أن ترفض من يختارونه لها أهلها؟».

وأشار الطيب إلى أن من حق الفتاة شرعاً أن ترفض من يختاره لها أهلها إذا لم تكن راضية، لما روي عن عائشة رضي الله عنها:

«أن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع خسيسته وأنا كارهة، قالت: اجلسي حتى يأتي رسول الله، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر إليها قالت: يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلم أن للنساء من الأمر شيء؟.

تحريم الاحتفال بعيد الحب على المسلمين

صدرت فتوى شرعية عن هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية... تضمنت التحريم على المسلم الإعانة على «عيد الحب» أو غيره من الأعياد المحرَّمة بأي شيء من أكل أو شرب أو بيع أو شراء أو صناعة أو هدية أو مراسلة أو إعلان...

وطلبت الفتوى محاربة بدعة هذا العيد وجميع رموزه مثل: «رموز الحب، وقلوب العشاق المرسومة باللون الأحمر، كشعار أساسي» لهذا العيد... أو العبارات التي تحمل كلمات «كل عام وأنت الحب، أو وأنت حبيبي».

الجراحات المجانية لا تعد زكاة

قال عضو مجمع البحوث الإسلامية في مصر وعميد كلية الحقوق جامعة حلوان الدكتور محمد الشحات الجندي: «إنه لا يجوز إخراج زكاة المال في صورة منفعة لمن يستحقها».

وأشار الدكتور الشحات إلى «أن الطبيب الذي يجري عمليات جراحية بالمجان للفقراء والمحتاجين لا يعد ذلك ضمن مصارف الزكاة التي شرعها الله سبحانه وتعالى لنا في القرآن الكريم».

وأوضح أن الزكاة فريضة شرعية شرعها الإسلام كعبادة لله تعالى وقيام بحق الفقراء والمساكين وأصحاب الدخول المحدودة التي لا تكفي ضرورات حياتهم المعيشية، لذلك كانت مكانتها في الإسلام الركن الثالث بعد الشهادة وإقامة الصلاة.

وأضاف: أن الزكاة قرنت بالصلاة في الكثير من النصوص في القرآن الكريم والسنَّة النبوية وأمر الله رسوله الكريم أن يأخذها من الأغنياء لصالح الفقراء، قال الله تعالى في الآية ١٠٣ من سورة التوبة: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها).

وأكد أن للزكاة شروطها وهي «أن تخرج من المال نفسه الذي يملكه المزكي الذي بلغ نصاباً بعد مضي عام هجري كامل، وعليه فلا يجوز أن يؤدي المزكي زكاته على شكل منفعة من المنافع كأن يؤدي الطبيب الزكاة وإجراء عمليات جراحية أو بتوقيع الكشف الطبي على أحد المرضى الفقراء».

وأوضح الدكتور الشحات أن الزكاة يجب أن تؤدى على حسب أوامر الله لأن إجازة إخراج المزكين لزكواتهم في صورة منافع من شأنه أن يفرغها من مضمونها ويجردها من فحوى العبادة فيها وهي أن يتقرب المزكي بها إلى الله تعالى بإطعام الفقراء والمحرومين من جنس ما أمرنا به.

المجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للإجابة عليها في قطاع الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت.

هاتف مباشر
خدمة الفتوى داخل الكويت
149

من خارج دولة الكويت
المفتاح الدولي 00965
244 44 05
242 29 34
246 69 14

فاكس:
245 25 30

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء

دار الإفتاء المصرية تبحث في سؤال
هل يجوز نقل الأعضاء التناسلية من إنسان لآخر؟

في كل يوم تتلقى جهات الفتوى في مصر عشرات من الأسئلة العادية، وبينها أسئلة تشبه الفوازير التي لم تخطر من قبل على بال شخص ما، وقبل أيام فاجأت سيدة دار الافتاء المصرية باستفسار غريب مؤداه: «هل يجوز نقل وزراعة الأعضاء التناسلية»؟ وهل يمكن استخدام الأعضاء الصناعية في حال الضرورة؟

حتى الآن لم تجد دار الافتاء إجابة وإن كان السؤال محل بحث ودراسة وربما لأن الدراسة لم تكتمل بعد رفض الدكتور أحمد الطيب مفتي الدار المصرية الإجابة، واعتبر أن القضية تحتاج إلى تدقيق وتمحيص، لكنه رفض اعتبار نقل الأعضاء التناسلية .... ضمن فتوى نقل الأعضاء الأخرى قائلاً: «من المؤكد أن لكل منها شأنه لتغير الوظائف».

المفاجأة التي كشفها المستشار الفقهي للمجمع الفقهي في جدة الدكتور جمال الدين عطية، هي أن أن السؤال سبق طرحه من قبل، وأفتى فيه المجمع الفقهي لمنظمة العالم الإسلامي في العام الماضي، قائلاً: بعدم جواز نقل وزراعة هذه الأعضاء مطلقاً، وتحت أي ظرف، لخصوصية الوظائف التي تقوم بها، وأضاف: «الفتوى استندت إلى أبحاث علمية قدمها أطباء حذرت من احتمال اختلاط الأنساب، لكن المجمع أرجأ إصدار فتوى بشأن الأعضاء التناسلية الصناعية إلى الدورة المقبلة».

لكن طُرح سؤال على وكيل وزارة الأوقاف المصرية الأسبق الشيخ منصور الرفاعي عبيد فقال: «إن الرأي الأول في هذه القضية للأطباء فإن قالوا جائز دون حذر ودون اختلاط الأنساب من المكن في هذه الحال الافتاء بجوازه، لكنه تساءل: ماذا عن الإنسان الذي نقل منه العضو هل يسبب له هذا اكتئاباً نفسياً وعاطفياً وكبتاً جنسياً، أليست هذه مضرة كبيرة، والقاعدة الفقهية تقول: لا ضرر ولا ضرار».

إلا أنه تابع: «أما إذا كان نقل العضو من شخص ميت ميتة كاملة ففي هذه الحالة لن يفلح النقل، وإذا كان من ميت موتاً دماغياً فإن هذا قد يجوز شرط موافقة صاحبه قبل أن يموت، وأن يكتب صاحب العضو إقراراً بذلك في حياته أو يكون بإقرار من ورثته وإذا لم يكن معروفاً يتم استئذان النيابة العامة».

وقبل أشهر كان الشيخ الرفاعي في لندن، حين شاهد محال بيع الأعضاء التناسلية الصناعية، وتلقى أسئلة من مسلمين هناك حول جواز استخدامها، وقال: «قد يجوز الاضطرار إلى هذه الأعضاء خشية الوقوع في «الحرام الأكبر» وهنا نحن نأخذ «بحكم المكروه لجائز».

ولكن وكيل لجنة الشؤون الدينية في مجلس الشعب وعضو مجمع البحوث الإسلامية الدكتور عبدالمعطي بيومي تعجب ممن يقول بجواز نقل الأعضاء التناسلية، وقال: «الخصيتان والمبيضان وما يحتويان لا يجوز نقلهما ألبتة، والعلماء متفقون على تحريم نقل هذه الأعضاء، فالخصية أصل النطفة وحلقة الجنين تتكون من مفرزات المبيض والخصية معاً، وهذا يؤدي إلى اشتباه في اختلاط الأنساب وهذا حرام».

بيد أن بيومي أحال الأمر بدوره إلى علماء الطب إذا كان هناك جديد في الأمر، إذا قالوا إن نقل الخصية سيؤدي إلى إفراز مني مختلف تماماً، فإن لهم الكلمة الأولى، وإذا أكدوا عدم اختلاط الأنساب فإن الفتوى الدينية تتبع الحقيقة العلمية.

أما الشيخ يوسف البدري فالأمر عنده يأخذ حكم نقل الأعضاء، وهو حرام في رأيه، لأن الواهب يجب أن يملك ما يهب، وجسم الإنسان ليس ملكاً له وإنما لله.

في حين نحا الدكتور عبدالصبور شاهين منحى آخر قائلاً: «الاستنساخ يحل هذه الإشكالية دون عدوان على شخص الإنسان، واستنساخ الأعضاء لحاجة المريد، وعندما قيل له إن العلماء يحرمون الاستنساخ فقال معقباً: «استنساخ الأعضاء وليس استنساخ الإنسان بالكامل، لا بأس به لأن فيه فائدة علاجية طبية». وأكمل: «نقل الأعضاء التناسلية من الشخص الميت جائز، وأكد أن الوظائف الجنسية للأعضاء تقوم على العصب، وإذا انتهى العصب بموت الإنسان أو قطعه من الحي لن يؤدي إلى هذا التخوف المثار من اختلاط الأنساب».

الأزهر: الإسلام لا يبيح إجهاض الحامل في توأمين ملتصقين

أكد وكيل الأزهر الدكتور محمود عاشور «أن الإسلام لا يبيح الإجهاض إلا إذا كانت هناك خطورة على حياة الأم أو إذا كان الطفل مشوهاً أو مريضاً كما لا يجوز إجهاض الحامل في توأمين ملتصقين لأن الله أراد لهما أن يكونا على هذه الصورة».

وقال الشيخ عاشور: «إنه ليس من حق أي شخص أن يمنع إرادة الله»، مشيراً إلى أن هناك الكثير من التوائم الملتصقة عاشوا ومارسوا حياتهم بالشكل الذي خلقهم الله عليه ومن بينهم التوأمان الايرانيتان «لاله» و«لادان» اللتان درستا في الجامعة وعاشتا حياتهما حتى بلغتا ٢٩ عاماً.

مفتي مصر يدعو لعدم تكرار الحج والعمرة

دعا مفتي الديار المصرية الدكتور أحمد الطيب السابق المصريين إلى عدم تكرار رحلات الحج والعمرة على سبيل التنقل إذا كان المجتمع في حاجة لسد حاجات الفقراء والمساكين والمرضى وتحسين الأوضاع الاقتصادية للبلاد.

وقال الدكتور الطيب في فتوى «إن على المسلم أن يوازن بين متطلباته ومتطلبات المجتمع الذي يعيش فيه في ضوء الحاجات والضرورات والكماليات أو التحسينات له ولمجتمعه».

وأكد مفتي مصر في الفتوى «ضرورة أن يقدم المسلم ضرورات وحاجات مجتمعه على الكماليات والتحسينات المتعلقة به».

وتأتي الفتوى في الوقت الذي واصل فيه سعر الدولار ارتفاعه في السوق الموازية وسط إقبال ملحوظ من المتعاملين وخصوصاً المعتمرين الراغبين في أداء العمرة في شهري شعبان ورمضان وفي ظل ارتفاع سعر الدولار مقابل الجنيه المصري.

ويشهد السوق المصري إقبالاً شديداً على الريال السعودي الذي اتسم بندرة العرض، وارتفاع سعره ليتجاوز حد الـ «٢١٠» قروش مع انتعاش موسم العمرة.

مفتي مصر: يجوز تعيين المرأة مفتية لكن المشكلة في الموروث الثقافي

حسم مفتي مصر «علي جمعة»، الجدل الدائر حول إجازة تعيين المرأة «مفتية» وقال: «إنه يجوز ولا شيء في ذلك»، موجهاً ضربة قاضية للمعترضين على تعيين المرأة في هذا المنصب.

وأضاف: أنه «يجوز للمرأة أن تعتلي منصب المفتي على رأس دار الإفتاء في مصر وفي أي مكان»، مدللاً «أن المرأة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى مئة سنة قبل هذا العهد، كانت تدرس العلوم الشرعية وتنقل الحديث النبوي عن رواته، وكانت في أحيان كثيرة تتفرد ببعض الفتاوى عن العلماء، وأن المثل في ذلك كان في السيدة «عائشة» والسيدة «أم سلمة» زوجتي الرسول اللتين نقلتا عن الرسول أحاديث تفردتا بها نقلتها كل كتب السيرة والحديث»، مشيراً إلى «أن البخاري ومسلماً وعدداً من الكتب الستة توجد بها أحاديث لهما، كما أن هناك الكثير من العالمات بالدين كن يدرسن العلوم ويدرِّسنها حتى ما قبل انتهاء الخلافة العثمانية بعشرات السنين».

وأضاف جمعة أن: «السبب وراء قول بعضهم بعدم وجود المرأة كمفتية هو الموروث الثقافي الذي توارثناه في القرن الأخير، وهو أن المرأة بعد ما تركت دراسة العلوم الشرعية ولم تعد تهتم بالعلم ولا بتحصيله مثلما كانت في الماضي، أصبحت لا تصلح لهذه المهمة. الأمر الذي ليس على الصحة منه في شيء»، مؤكداً أن «الأصل في المرأة أنها جزء من المجتمع المسلم الذي وجب عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم».

غير أن قول مفتي مصر لاقى معارضة من قبل المفتي السابق الرئيس الحالي لجامعة الأزهر «أحمد الطيب»، الذي قال: «لا تصلح المرأة لهذا المنصب في الوقت الحالي على الأقل، لأن هناك أشياء يجب أن تدركها، كما أن هناك أشياء لا تصلح لأن تفتي بها المرأة، وإن كان فلابد لها أن تتدرب على أمور عدة وهي اكتشاف كل الحالات التي يجب الإفتاء فيها. الأمر الذي لا يمكن أن يتحقق للمرأة في العصر الحالي»، مشيراً إلى أن «منصب الإفتاء هو بالضبط منصب القاضي الذي ينادي بعضهم أيضاً بجواز تولي المرأة له»، وأضاف أنه «يجب قبل أن تكون كذلك أن تتدرج في الوظائف حتى تصل إلى المنصب كأن تكون مثلاً معاوناً للنيابة ووكيلاً، وهي بذلك تتدرج في المعارف والخبرات ثم تتكون الحصيلة الكبرى والأخيرة التي تحصل بها على الإجازة في ذلك».

لا يجوز التبرع بالأعضاء البشرية أو بيعها

أكد مفتي مصر الجديد الدكتور علي جمعة حرمانية التبرع بالأعضاء البشرية على خلفية الجدل المثار حالياً في مصر حول هذا الموضوع.

وقال الدكتور جمعة في تصريح صحافي: «إن التبرع بالأعضاء سواء بالهبة أو بالبيع حرام لأن الإنسان لا يملك نفسه».

وأضاف قائلاً: إن الإنسان ليس مؤهلاً ليكون «قطع غيار» بل إن الله أكرمه وجعل الملائكة تسجد له.

وهناك آلاف من المرضى يتطلعون إلى إقرار قانون ينظم التبرع بالأعضاء البشرية غير أن هذا القانون يواجه مقاومة عنيفة من البرلمان إذ يحذر أعضاء في البرلمان من أن إقرار القانون يفتح الباب أمام تجارة الأعضاء البشرية.

ولا تجري في مصر حتى الآن جراحات زرع الأعضاء من الموتى إلى الأحياء، بل تقتصر جراحات زرع الأعضاء في مصر على نقل إحدى الكليتين أو نقل جزء من الكبد من شخص حي إلى آخر لإنقاذ حياته.

ويتصل بإصدار القانون جدل طبي وفقهي آخر حول تحديد وفاة مرضى جذع المخ أو ما يعرف بالموت «الإكلينيكي» حيث يخشى بعضهم من أن الحاجة للأعضاء البشرية ربما تؤدي إلى التسرع في اعتبار هؤلاء المرضى من المتوفين.

وكان المفتي الأسبق الدكتور «نصر فريد واصل» قد أفتى بجواز نقل الأعضاء البشرية من الأحياء والأموات، غير أنه أكد ضرورة التحقق من أن النقل سيكون سبباً يؤدي إلى الشفاء وتحقيق الحياة للإنسان مع منع الضرر على المتبرع من الأحياء.

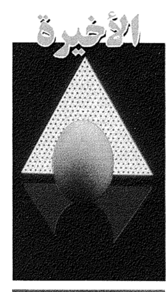
وقال: إن الفصل في الخلاف على موت جذع المخ وهل يعتبر موتاً شرعياً أم لا يجب أن يعود إلى الأطباء باعتبارهم أهل الذكر غير أنه اشترط التحقق من الموت الشرعي بيقين ومن دون شبهة حتى إن كانت واحدة في المليون.

الأزهر: الطلاق عبر الهاتف ممكن

قال الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشيخ سيد وفا أبوعجور، إنه إذا أرسل الزوج رسالة بوساطة جهاز الهاتف الجوال تحمل ألفاظ الطلاق الصريح وتيقنت الزوجة من أن هذه الرسالة صادرة عن زوجها، يقع الطلاق، ويجوز للزوج مراجعتها مادامت في فترة العدة.

وأكد الشيخ سيد وفا اهتمام المجمع بمناقشة الموضوعات المرتبطة بمستجدات العصر والتكنولوجيا الحديثة وإحالتها للجان المتخصصة حسب طبيعة كل موضوع، وكان المجمع قد تلقى استفسارات من بعض المواطنين في ماليزيا حول فتوى وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الماليزي، التي أكد فيها وقوع الطلاق عبر الهاتف الجوال، سواء عن طريق التحدث أو إرسال رسائل قصيرة تحمل ألفاظ الطلاق الصريحة.

النافذة الأخيرة



بقلم: عبدالستار خليف

إرث الأجداد

تحاول كل أمة من الأمم، الحفاظ على تراثها من الاندثار أو الضياع، لأنه رمز الأصالة والهوية . لهذه الأمة . منذ القدم، وحتى اليوم.

هذا التراث هو النبع الصافي الذي يتدفق من داخل الأفراد والمجتمعات، من داخل أعماقهم الثرية.

والتراث له الخصوصية والذاتية. ولكل أمة من الأمم أو جماعة بشرية لها تراثها الخاص بها، النابع من الديانات والعادات والتقاليد والطقوس والفنون والثقافة والأماني والآلام واللغة الواحدة والطبيعة الجغرافية المشتركة والتاريخ القديم. ولذا فإن كل الشعوب والأمم والجماعات تعتز بتراثها الخاص بها المعبِّر عن شخصيتها وهويتها وحضارتها، والدال على أصالتها الحقيقية المتفردة. كما يرمز لهم بالإرث الضخم الذي تركه لهم الأجداد والسابقون خلال مختلف العصور.

هذا الإرث الرائع، له الجانب المادي والجانب المعنوي. فمازالت الآثار التاريخية باقية تدل على الجانب المادي من حضارات الأقدمين والسابقين، ومازالت المخطوطات الإسلامية والكتابات والفنون والصناعات اليدوية خير شاهد على الحضارة الإسلامية، على ابتكارات، على المستوى الفردي والجمعي.

والتمسك بالتراث الإسلامي هو إصرار على الهوية الأصيلة، والوقوف على الأرض الصلبة القوية للانطلاق إلى آفاق المستقبل، على نحو أحكم وأمتن مزودين بالدين والعلم والتقدم لمواصلة السير في الدرب الطويل بقوة، درب السلف الصالح، هذا القلب أو الدرب الذي يضخ الدماء الذكية إلى العروق والشرايين وكل الأطراف البعيدة عن مركز الجسم.

وتراث الإنسانية، يحتوي على التجربة البشرية للأسلاف السابقين، وهو سجل حافل لحياتهم اليومية وأساليب معاملاتهم وعلاقتهم مع الآخرين وأيامهم في الحروب والقتال والدفاع عن الشرف والكرامة والأرض والديار والقبيلة.

الاهتمام بهذا التراث هو اهتمام بالآباء والأجداد والسير على هداهم واستكمالاً لمسيرتهم النابعة من الفضائل والقيم العليا والأخلاق والفروسية والمروءة والكرم وإغاثة الملهوف.

هذا التراث، يمكن استلهامه في الأشكال الأدبية كالشعر والقصة والرواية التاريخية وسائر الفنون والآداب للاستفادة به والحفاظ على جوهره مع تطوير الشكل الخارجي حسب متطلبات العصر والزمن الذي نحياه.

وهناك اعتراض . على الرأي السابق . وهي وجهة نظر مغايرة تماماً، ترى أنه يجب علينا الحفاظ على هذا الإرث العظيم كما هو قلباً وقالباً، دون زيادة أو نقصان باسم التحديث أو التطوير، وترفض وجهة النظر هذه التغيير في مظهره الخارجي، حتى لو احتفظنا بروحه أو مضمونه الداخلي ●



هدية العدد

هدية

الوعي الإسلامي

مع مطلع العام الهجري الجديد 1425 هـ

خريطة العالم الإسلامي

اقل من ١٪	١٪ ~ ٤٪	٥٪ ~ ١٠٪	١١٪ ~ ٢٠٪	٢١٪ ~ ٥٠٪	أكثر من ٥٠٪